مدارس الشعر الحديث

دكتـــور
محمد عبد المنعم خفاجى

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م

النـاشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ الإسكندرية

مدارس الشعر الحَديث

الناشـــــــــر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
العنــــــــوان: بلوك ٣ ش ملك حفنـي قبلـي السكة الحديـد - مسـاكن دربالة فيكتوريا - الإسكندرية.
تليفـــــاكس: ٥٢٧٤٤٣٨/ ٠٠٢٠٣ (٢ خط) موبايل/ ٠١٠١٢٩٣٢٣٣
الرقم البريدى: ٢١٤١١ الإسكندرية جمهورية مصر العربية.

E- mail

dwdpress@yahoo.com
dwdpress@biznas.com

Website

http:/ www.dwdpress.com

عنوان الكتاب: مدارس الشعر الحديث
المؤلـــــف: د. محمد عبد المنعم خفاجى
رقــم الإيـداع: ١٠٩٩٨/ ٢٠٠٣
الترقيم الدولى: 3 - 373 - 327 - 977

تصــدير

الشعر الحديث فصل طويل في باب الشعر العربي، وصفحات كثيرة مملوءة بفكر شعراء كبار أشعلوا نار النهضة، ورفعوا لواء التجديد، وحملوا رسالة القريض وأدوها دون التواء، وترنموا على قيثارة الشعر بأحلى ألحان الجمال والطبيعة والحرية.

مدارس كثيرة متعاقبة، ورواد كبار أعلام، وحركات تجديد متصلة، ومعارك نقدية لا تنتهي، وتطور كبير للقريض لم يشهد مثله عصر من العصور.

وهذه المدارس، والحديث عنها، ودراسة آثرها وجهودها من أجل نهضة الشعر وازدهاره .. هو موضوع هذا الكتاب الذي أسعد اليوم بتقديمه إلى القراء والنقاد.

وأرجو أن يكون للكتاب أثره في خدمة الشعر، والنهوض به، ورفع رايته خفاقة ترفرف في آفاق العروبة والإسلام.

المؤلف

مع مدارسنا الأدبية

١- الشعر العربي المعاصر وآثاره تتمثل مفاهيمه في كثير من التيارات الظاهرة والخفية التي توضح تطوره، وتصور ملامحه، وتترجم عن مضامينه وعن إبداعاته الفنية.

٢- وأبدأ فأقول إن الشعر المعاصر في مصر يبدأ ببدايات القرن العشرين كما يرى الدكتور طه حسين، أو بثورة عام ١٩١٩ كما يرى الدكتور محمد مندور، أو ببداية عام ١٩٢١ حيث ظهر كتاب الديوان للعقاد والمازني كما ذهبت إليه في بعض محاضراتي، أو ببداية عام ١٩٣٠ كما ذهبت إليه في بعض آخر من محاضراتي.

والأرجح أن نعد ظهور كتاب الديوان عام ١٩٢١ هو بداية الشعر المعاصر في مصر، لما أحدثه الكتاب من ظهور المدارس الشعرية، وفي مقدمتها مدرسة الديوان، ثم مدرسة أبوللو، بل لما أحدثه كذلك من سيادة المذهب الرومانسي وغلبته للمذهب المحافظ (الكلاسيكي) في الشعر، الذي كان يتزعمه شوقي وحافظ وشعراء مدرستهما مدرسة البعث والإحياء.

٣- وقد ظهرت مدرسة الديوان الشعرية عام ١٩٢١ بظهور كتاب "الديوان" النقدي.

ثم ظهرت مدرسة أبوللو عام ١٩٣٢ بريادة الدكتور أحمد زكي أبو شادي.

وتبع ذلك ظهور شعر الطبيعة، والشعر الوجداني والشعر التأملي، والشعر الإنساني، والشعر الغنائي .. من حيث كانت أهم الألوان الذائعة عند شعراء مدرسة شوقي وحافظ هي: "الشعر السياسي أو الوطني، والشعر الاجتماعي، والشعر الديني، والشعر الوصفي، والشعر الحكمي ..

وقد تولدت المدرسة الواقعية في الشعر بالبذور الأولى لشعر الشاعر محمود أبو الوفا وأحمد محرم ومحمد الأسمر ومحمود غنيم، ثم توالى شعراء الواقعية جيلاً بعد جيل ..

ومن بيئة المدرسة الواقعية تولد الشعر الحر الذى يختلف الباحثون فى أول رائد له، وفى اسمه، وفى مضمونه، اختلافا كثيرا..

٤- على أن التيارات الخفية التى أثرت فى الشعر المصرى المعاصر كثيرة، وفى مقدمتها: الأصول التراثية للشعر العربى خاصة وللثقافة الأدبية عامة، وذيوع الثقافات الشعرية الحديثة العالمية فى مصر، بالترجمة، وبالاتصال المباشر بالآداب وبمدارس الشعر العالمية، إلى انتشار حركة الرومانسية فى الشعر المعاصر التى قادت خطى التجديد والمجددين فى الشعر المصرى، والتى تزعمت كل حركات الإبداع الفنى لشعرائنا المصريين؛ والتى حملت عصا الحوار بين العموديين من الشعراء المعاصرين وشعراء الشعر الحر الذين تحرروا من قيود العمودية، ولاذوا بأنفسهم، وعكفوا على موسيقى خاصة لهم، ينظمون منها شعرهم المتحرر من القافية وحدها حينا، ومن القافية والوزن حينا آخر.

****

الباب الأول

مدرسة البعث والأصالة

مدرسة البعث

(١)

شهد الأدب العربى قبل العصر الحديث أحداثا جساما. وعاش فى ظلال دول لم توجه اهتمامها إلى الأدب والشعر. وسكن إلى الراحة والنوم العميق. لم يعبر عن صخب الحياة وضجيجها من حوله. ولم يصور المحن والآلام التى كانت تعيش فيها شعوب العرب. وباعد بينه وبين الحياة والناس والطبيعة من حوله.

فكان الشعر أيام الأتراك العثمانيين على ما عرف من ركاكة الأسلوب وضعف المعنى والولوع بالمحسنات البديعية. والنظم فى تافه الأغراض وسقيم المعانى. ووجدنا العامى والدخيل يملأ ألفاظه بالعى والعجز والحصر. وعاش الشعراء بعيدا عن الأمراء وأشياعهم. إذ لم يجدوا فيهم آذانًا صاغية أو قلوبًا واعية ولم يجدوا فيهم نفوسًا تطمح إلى نهضة أدبية مزدهرة. فلم يجد الشعر من أسباب النهوض ما يرفع شأنه أو يقوى فى الوجود سلطانه. وكان لسوء الحالة الاجتماعية من فقر ومرض وجهل أثره الشديد فى ركود الشعر وضعفه، وأخذت البديعيات والألغاز والتاريخ الشعرى تملأ صفحة الشعر بالوهن، إلى الخيال السقيم والصور الشعرية الباهتة.

ومضى على ذلك الحال عصر "محمد على" ومن بعده إلى "إسماعيل". وكانت حركة الإصلاح السريعة مادية عسكرية ولم تكن أدبية أو فكرية فلم ينتفع بها الشعراء إلا قليلاً. بيد أن بعض الولاة عرفوا للشعراء مكانتهم فقربوهم وأدنوا منهم مجالسهم واختصوهم بقصورهم. فكان السيد على الدرويش شاعر عباس الأول. وعلى الليثى شاعر إسماعيل. واتصل الشعراء بالأمراء وسجلوا محامدهم. وكانت هذه ظاهرة اجتماعية جديدة فى الشعر. كما إنهم ولعوا بالتاريخ الشعرى ولعا شديدا يسجلون به أعمال الأمراء ومنشآتهم ووفياتهم.. وكان من بين شعراء هذا العصر:

-الشيخ محمد المصرى المتوفى عام ١٨١٥م.

-السيد حمد البيروتى المتوفى سنة ١٨١١م.

وفي عهد إسماعيل أخذ الشعر ينهض من كبوته. ويفيق من رقدته. وتظاهرت أسباب على رقي الشعر، فتمرس الأدباء والشعراء بأساليبها. وتعمقوا عباراتها، ووعوا معانيها. واستظهروا بلاغتها. وهاجرة أدباء الشام إلى القاهرة حيث عاشوا فيها بالقرب من قصر إسماعيل. ينالون بره ورعايته ويرفعون من شأن الشعر ويشيدون بذكر القصر. ثم كانت الصحف والمجلات ودار الكتب المصرية والبعثات العلمية التي سافرت إلى أوربا وعادت إلى وطنها. حيث أفاد أعضاؤها من معارف الغرب وأدبه وفنه. إلى ما نقل من آداب الغرب إلى اللغة العربية. مما هذب ذلك كله من أذواق الأدباء والشعراء، ونظم من أفكارهم وأخيلتهم.

وكان لإسماعيل شاعران من خاصته. هما: الشيخ علي الليثي. والشيخ علي أبو النصر المنفلوطي. فنهض الشعر وقوى نسجه واستحكم معناه ورق لفظه.

ونبغ من الشعراء في هذا العهد:

-السيد صالح مجدي.

-الساعاتي المصري المتوفي عام ١٨٨٠م.

-علي أبو النصر المنفلوطي المتوفي عام ١٨٨٠م.

-محمود قبادو التونسي من أدباء تونس المتوفي عام ١٨٦٨م وسواهم.

(٢)

وظهر البارودي وصار علما في الشعر العربي وأصبحت نماذجه صورا للبلاغة الجديدة وعلامة من علامات البعث الأدبي الجديد. وصار الشعر العربي الحديث الذي نقرؤه ونتذوقه ونحفظ روائعه التي أبدعها الشعراء العرب في كل مكان مدينا لمحمود سامي البارودي رائد شعراء النهضة الأدبية الحديثة بدين كبير.

ظهر البارودي في سماء الشعر العربي. نجما ساطعا ليجدد للشعر شبابه ويحيي له دارس عروبته. وقد كان منذ حداثته يميل إلى الأدب. ويتذوق روائع الشعر. ويستمع إلى ما يلقى في أنديته ومجالسه من منثور ومنظوم. ثم صار يقرأ على الأدباء والشعراء النماذج المختارة ويشاطرهم فقه ما يقرأ. ثم استقل وحده بقراءة

الدواوين الشعرية لأعلام الشعر القديم. وبخاصة الشعراء الجاهليون والإسلاميون والمحدثون حتى وصل في قليل من الزمن إلى ما لا يدرك في متطاول الأيام. فنظم الشعر وهو دون العشرين وصار يحذو فيه حذو القدامى. فلا يقصر عنهم ولا يقع دونهم.

والبارودي مع أنه لم يدرس في مطلع حياته العروض والقافية. ولا قرأ النحو والصرف ولا طاف بمعاجم اللغة إلا أنه اتخذ الأدب هوايته والشعر حرفته تذوقا وطبعا ولا أثر للصناعة في شيء من ذلك كله. ووصل إلى ما وصل إليه عن طريق محاكاته لبلاغات القدماء حتى لا نجد له لفظا نابيا ولا أسلوبا ضعيفا وكأنما هو من الأعراب الناشئين في البلاغة والأدب .. فطرة سليمة ونفس صافية وذوق رفيع وإلهام صادق.

وكان شعره في مطلع شبابه يمثل طموحه الأدبي، وأمنيته في الوقوف بجانب فحول الشعراء الأقدمين، وبخاصة شعراء العصر العباسي، جزالة لفظ، وفحولة نظم، ورصانة قافية، وإشراق ديباجة، وصفاء عبارة، وجمال أسلوب.

وكان الإمام محمد عبده يقوم في النثر بما يقوم به البارودي في الشعر، إحياء للقديم، وبعثا له، ليقوم عليه جديدنا في الأدب والشعر وبلاغة القول.

وعن البارودي يقول أستاذه المرصفي صاحب كتاب "الوسيلة" الأدبية.

أولع البارودي، وهو غض الحداثة، بحفظ الشعر، وأخذ نفسه بدراسة دواوين الفحول من الشعراء المتقدمين، حتى شب فصيح اللسان، مطبوعا على البيان، دون أن يتعلم النحو، فانطلق يقول الشعر في أغراضه المختلفة، ونهض به نهضة عظيمة، فأعاد إليه حلته العربية حتى شاكل شعر الشريف الرضي والمتنبي، في جزالة اللفظ، ومتانة النسج، وقوة الأسلوب، وروعة الديباجة، ولم يتخلف عن متقدمي الشعراء في شيء، على أنه ربما أربى عليهم، بما جال به في فنون المعاني، التي تجلت بها الحضارة الجديدة، وما وصف من مخترعات كشف عنها العلم الحديث.

وبذلك كان البارودي أول شعراء النهضة الحديثة، وهو الذي رد الديباجة الشعرية إلى بهائها وصفائها القديمين، ووضع البارودي في القوالب الفنية المأثورة تفكير عصره، وأحلام معاصريه.

وصار يطلق على شعره وشعر معاصريه ممن تأثروا به شعر مدرسة البعث والإحياء والتجديد.

كان يعاصره في العراق: عبد الغفار الأخرس، ومحمد سعد الحبوبي النجفي، وحيدر الحلي، وعبد الحميد الشاوي، وكان أشهرهم هو الحبوبي الذي اشتهر بموشحاته الغنائية، وبشعره الوجداني، كما اشتهر الشاوي بوطنياته، وكان الموجه للشعر والشعراء في العراق محمود شكري الألوسي. وفي السعودية كان من معاصريه: ابن عثيمين، وأحمد إبراهيم الغزاوي، وابن بليهد.

وفي تونس: صالح السويسي وحسين الجزيري، ومحمد الشاذلي خزانة دار، وسعيد أبو بكر، وسواهم.

وفي المغرب: محمد المختار السوسي، والمكي الناصري، ومحمد بن إبراهيم، وعبد الرحمن حجي حمد العثماني، وغيرهم.

ولكن البارودي من بينهم كان أكبر تأثيرًا في النهضة الأدبية والشعرية الحديثة وكان أكثر أصالة وتجديدًا للشعر من كل معاصريه. وكان رائد حركة البعث وزعيم مدرسة الإحياء في الشعر الحديث.

(٣)

ورث البارودي في مصر شاعران كبيران، هما:

-أحمد شوقي (١٨٦٩ – ١٩٣٢).

-حافظ إبراهيم شاعر النيل (١٨٧٢ – ١٩٣٢).

وبجوار هذين الرائدين الكبيرين عاش أعلام كبار من مثل: إسماعيل صبري، وأحمد محرم، ومصطفى صادق الرفعي، وحفني ناصف وسواهم ممن تابعوا خطى البارودي وساروا في ميدانه، وجالوا في حلبته. رافعين أعلام البلاغة العربية، والذوق الأدبي الرفيع، وتأثر بالبارودي أمثال: الزهاوي، والرصافي. والشبيبي. والصافي النجفي في العراق، وفؤاد الخطيب وشكيب أرسلان وخليل مردم وبشارة الخوري وفخري البارودي في الشام، وهذه الطبقات من الشعراء، أثروا الشعر العربي،

وجعلوه تعبيرا صادقًا عن كل ما يتعلق بالمجتمع العربى فى مختلف شئونه وآلامه وآماله وكان أمير هؤلاء هو أحمد شوقى الذى كان شعره كما يقول هو نفسه:

كان شعرى الغناء فى فرح الشر
ق، وكان البكاء فى أحزانه

وإذا كان البارودى هو الرائد الأول لمدرسة البعث، فإن شوقى هو الرائد الثانى لها. ومدرسة البارودى وشوقى، وهى مدرسة الإحياء والعمودية، ومدرسة البلاغة العربية، ومدرسة الأصالة والتجديد فى الشعر الحديث. لا تزال مؤثرة فى ميدان الشعر، ولا تزال أعلامها مرفوعة.

فى العراق وجدنا: محمد على اليعقوبى، وحافظ جميل، ومحمد بهجة الأثرى، والسيد بحر العلوم، ومحمود الحبوبى، ومحمد على الحومانى.

وفى مصر وجدنا حفنى ناصف، ومحمد عبد المطلب، والسيد محمد توفيق البكرى، وعلى الجارم (١٩٠٠ — ١٩٥٦)، وعلى الجندى (٤ يونيو ١٩٧٣)، ومحمود غنيم (١٩٠٢ — ٢٤ سبتمبر ١٩٧٣)، وعزيز أباظة (١٨٩٥ — ١٩٧٣)، ومحمد عبد الغنى حسن، ومحمد مصطفى الماحى، والشاعر على الفقى، وسواهم من شعراء (الكلاسيكية) كما يطلق عليهم، أو شعراء العمودية والأصالة والتجديد كما أسميهم.

ويقول العقاد عن رائد مدرسة البعث محمود سامى البارودى وذلك فى كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى":

إن له ميزة واضحة لا نظير لها فى تاريخ الأدب المصرى الحديث، وتلك أنه وثب بالعبارة الشعرية وثبة واحدة، من طريق الضعف والركاكة، إلى طريق الصحة والمتانة، كأنه القمة الشاهقة! وهذه وثبة قديرة فى تاريخ الأدب ترفع الرجل بحق إلى مقام الطليعة.

وكان من أعظم المظاهر فى تطور الشعر على أيدى مدرسة البعث هو النزوع به إلى أساليب البلاغة العربية، وإلى مستوى ثقافة العصر وأفكاره ومعانيه وأخيلته وصوره الشعرية وموضوعاته التى يتحدث عنها .. مع ترك الإفراط والمبالغة

وعدم الاكتراث باللفظ ومحسناته البديعية، مادام اللفظ سليما وصحيحًا وعربيًا فصيحًا.

والتجديد عند البارودى يتمثل فى حركة البعث والإحياء، وعند شوقى يتمثل فى الارتفاع بالشعر إلى مستوى الشعر العالمى من حيث الأفكار والمعانى والأغراض والأخيلة، وثقافة العصر، ومن حيث إثراء حركة الشعر العربى بالشعر القصصى والملحمى والمسرحى، وبنظمه فى السياسة والاجتماع والتأمل، والوصف للطبيعة ولمشاهد الحضارة، ومن حيث الحرص فيه على وحدة القصيدة، وعمق تجربة الشاعر، والارتفاع بموسيقى الشعر إلى مستوى البحترى وابن زيدون والشريف الرضى وأمثالهم.

وقد جعل شوقى من الشعر فنا جديرا بخطره وتاريخه العريق، وألبسه حلة يخطر فيها فى مواكب الحياة كلها وكان شوقى صناجة العروبة والإسلام فى العصر الحديث.

ومن أقران البارودى وأترابه فى القرن التاسع عشر أمثال: أمين الجندى، وبطرس كرامة، وناصف اليازجى، وعبد الغفار الأخرس، ونجيب الحداد، وإبراهيم الأحدب، وعلى الليثى وخليل الخورى اللبنانى .. إلى شوقى وأنداده فى القرن العشرين .. ظلت مسيرة الشعر متصلة ومواكبه مرفوعة اللواء، فى طريق البعث والإحياء، مشبعة بروح الأصالة والتجديد والعمودية الرفيعة البليغة.

ومن عجب أن يعيش البارودى حياة المنفى والاغتراب وأن يعيش شوقى كذلك هذه الحياة نفسها، منفيا غريبا، فالبارودى عاش فى سيلان نحو تسعة عشر عامًا، وشوقى عاش فى الأندلس نحو الست السنوات، وكلا الشاعرين أثرى الشعر بما نظم فى منفاه من جديد وعبقرى.

وقال حافظ فى مبايعة شوقى بإمارة الشعر:

أمير القوافى قد أتيت مبايعا

وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

وموسيقى شوقى الشعرية تبلغ غاية جمالها وتأثيرها وروعتها، حتى ليقال فيه ما قد قيل في البحترى من قبل: أراد أن يشعر فغنى .. وبها تأثر كل الشعراء في عصرنا.

ولا ريب أن شوقي في شعره أثار مرحلة تقدمية في الشعر العربي الحديث كما يقول الدكتور أحمد زكي أبو شادي.

وكان إعجاب حافظ بالبارودي كثيرًا ورأى له فضل التقدم، وكان شعر البارودي جسرا عبر عليه شعرنا إلى العصر الجديد، وكان تجديد حافظ فيّ الموضوعات والأغراض، فنظم شعره في الموضوعات الجديدة، التي جعلها محور شعره، وهي الشعر الوطني والاجتماعي والسياسي.

وبعد فتلك مدرسة البعث والإحياء، أو مدرسة العمودية والعموديين التي تحافظ على عمود الشعر محافظة أصيلة، أو مدرسة الأصالة والتجديد وهي مدرسة ما أعز مكانها في الشعر الحديث، على أنها لاتزال مرفوعة اللواء مسموعة النداء، قوية الأصداء، وفيها تمثلت البلاغة العربية قوية أخاذة، وعليها وقفت مواكب الشعراء، تتأمل معجزة البيان، وجمال أعجاز الفرقان، وعبقرية الشاعر وحكمة الإنسان.

****

محمود سامى البارودى

(١)

عاش محمود سامى البارودى (٢٧ من رجب ١٢٥٤ — ٤ من شوال ١٣٢٢ هـ/ ١٨٣٨م — أواخر ديسمبر ١٩٠٤م) حياته يصول فى الحرب، ويغنى للحب، ويهتف بالحرية.. وكما كان بطلا من أبطال الجيش، ورائدا من رواد الشعر، كان كذلك حاديا يحدو مواكب الثورة على الفساد والاستبداد والخيانة والتدخل الأجنبى فى شئون وطنه الخارجية والداخلية.

وقد عاش البارودى قبل الثورة العرابية أكثر من أربعين عاما قضاها فى طموح وعمل وبناء، ووصف الحرب، وغناء للحب، وفخر بالحسب والنسب، وبمصر وحضارتها ونيلها وآثارها .. ثم وقعت الثورة فعاش أيامها مكافحًا مناضلاً من أجل وطنه وشعبه .. وهزم الثوار الأحرار، ونفى البارودى مع من نفى من قادتها إلى جزيرة سرنديب (سيلان)، وفى المنفى عاش البارودى الشاعر سبعة عشر عاما (١٨٨٣ — ١٩٠٠)، قضى منها فى كولومبو سبعة أعوام، وفى كندى عشرة أعوام، وظل ينظم شعره فى منفاه فى الحكمة والزهد والحنين إلى الوطن والأهل، ورثاء من مات من أسرته، واحدا أثر واحد. ونظمه كذلك فى قص ذكرياته الماضيات، وفى الحديث عن موقفه الوطنى من الأحداث فى وطنه قبل الثورة وبعدها وأثناءها.

أما شعر البارودى فى الحب فهو شعر تقليدى مصنوع، لا ينم عن تجربة شعرية عميقة، وليس له قيمة فنية كبيرة، ولا يدخل فى باب الهوى العذرى أو القصصى، وأغلب الظن أنه كتبه مجاراة لأعلام الشعراء فى عصره: من مثل عبد الله فكرى، ومحمود صفوت الساعاتى، وعبد الله نديم، وسواهم.

ومع ذلك فهو كثير فى ديوانه. وفيه يتحدث البارودى عن ألم الحب وعذابه ولوعته وحرمانه، ويناجى غادة الروضة (حيث كان سكناه فى مقياس الروضة)، كما ناجى من بعد غادة حلوان (حين انتقل سكناه إليها)، فيقول:

لم أدر هل شعر الزمان بلوعتي

فرثى لها أم هاجت الدنيا معي

أبكي فيرحمني الجماد ولا أرى

خلا يرق إلى شكاتي أو يعي

قد طالما يا قلب قلت لك احترس

أرأيت كيف يجيب من لم يسمع

يا ظبية المقياس هذا مدمعي

فردى، وهذا روض قلبي فارتعي

وهنا نجد الصفة التي لازمت شعره في طوره الأول، طور التقليد والاحتذاء والمعارضة، والصنعة بقيودها الفنية عديلة للتجربة الشعرية المتحررة العميقة المعبرة عن ذات الشاعر ومشاعره الدفينة.

ويتألم البارودي من نار الهوى التي يكتوي بلفحها، والتي تكاد تحرق أضلعه لولا دموعه الغزيرة، فيقول:

ويلاه من نار الهوى إنها

لولا دموعي أحرقت أضلعي

ويتعجب كذلك لقلبه الذي ليس تهدأ لوعاته، فيقول:

ما لقلبي من لوعة ليس تهدأ

أو لم يكف أنه ذاب وجدا؟

وسمتني بنارها الغيد حتى

تركتني في عالم الحب فردًا

ويستطيب الشاعر أحاديث الشوق، لأنها تطفيء لوعته، فيقول:

فيا سعد حدثني بأخبار من مضى

فأنت خبير بالأحاديث يا سعد

وهو كأنه مأخود من قول ابن المعتز:

وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني

جنونا فزدني من حديثك يا سعد

ثم يسترسل البارودى فى شعره، فيقول:

لعل حديث الشوق يطفىء لوعة

من الوجد أن يقضي بصاحبه الفقد

هو النار فى الأحشاء لكن لوقعها

على كبدى مما ألذ به برد

وما كنت لولا الحب أخضع للتى

تسيء، ولكن الفتى للهوى عبد

ويقف البارودى أمام الحب، وجها لوجه، فيراه شيئا كبيرا، حيث يقول:

لكل شيء وإن تمادى حد وما للغرام حد

فليس قبل الغرام قبل وليس بعد الغرام بعد

وهكذا مضى البارودى يتحدث فى شعره عن الحب والمرأة والجمال، وهو فى عصر شبابه وحريته وانطلاقه، حتى كانت الأحداث التى أحاطت ببلاده من كل جانب، وهو الوطنى الصادق فى وطنيته، والمصرى الصميم فى مصريته، والممتلىء القلب والجوانح والمشاعر بحب مصر ومجدها وتاريخها وحضارتها ونيلها وآثارها وأهلها وأرضها، وإن كان ينحدر من أصل تركى أو شركسى، وإن كان يعيش قريبًا من الخديويين مستظلاً بظلهم، وبخاصة إسماعيل الذى ضمه إلى حاشيته، ثم اختاره فى حرسه، ثم أنعم عليه بالرتب وبالمناصب الكبيرة، وشاهد الشاعر آثار الفساد السياسى والإقطاع والنفوذ التركى والشركسى فى الإدارة والجيش، وآثار التدخل الأجنبى فى حكم مصر، فانقلب ثائرًا متحمسًا لكل قضايا وطنه، يفتديه بروحه ومهجته .. وصور مختلف مظاهر ثورته فى شعره، فكان شعره فى الحرية، وهو شعر أصيل عميق فى نفس الشاعر، يرفع من مكانته، ويجعلنا نؤمن بأن البارودى من أجله يستحق أن

يكون الشاعر القومي والوطني الأول في عصرنا الحديث، منذ بدء النهضة حتى اليوم.

نادى البارودي بوجوب الثورة على الظلم والفساد، فقال:

إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت
عليه فلا يأنف إذا ضاع مجده
ويقتل داء رؤية العين ظالمًا
يسيء ويتلى في المحافل حمده
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش
بها بطلا يحمي الحقيقة شده

ورأى أن الذل والرضا بالظلم، والركون إلى الآمال الكاذبة، عار على الإنسان الماجد النبيل. فقال:

من العار أن يرضى الدنية ماجد ... ويقبل مكلوم المنى وهو سافر

بل لقد أخذ يدعو الشعب إلى الثورة على جلاديه، فيقول:

فيا قوم هبوا إنما العمر فرصة ... وفي الدهر طرق جمة ومنافع
أصبرا على مس الهوان وانتمو ... عديد الحصا إني إلى الله راجع
وكيف ترون الذل عيشة قانع ... وذلك فضل الله في الأرض واسع

ودعا الشعب إلى أن يهب للمطالبة بحقوقه في الحرية والكرامة والعدالة، فقال:

فطالبوا بحقوق أصبحت غرضا
لكل منتزع سهما ومختتل
لا تتركوا الجد أو يبدو اليقين لكم
فالجد مفتاح باب المطلب العضل
حتى تعود سماء الأمن ضاحية
ويرفل العدل في ضاح من الحلل

قد أصبح الناس في عمياء مظلمة

لم يخط فيها امرؤ الا على زلل

لم أدر ما حل بالأبطال من خور

بعد المراس وبالأسياف من فلل

أصوحت شجرات المجد أم نضبت

غدر الحمية حتى ليس من رجل

ويسترسل البارودي في الحديث عن حلادي الشعب، فيقول:

ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت

قواعد الملك حتى ظل في خلل

ويكرر ذلك أيضًا، وهو يعلل النفس بالصبر والأمل، فيقول:

تنكرت مصر بعد العرف واضطربت

قواعد الملك حتى ريع طائره

يا نفس لا تجزعي فالخير منتظر

وصاحب الصبر لا تبلى مرائره

وعاش البارودي في قلق، حيث الظلم والظلام يعمان أرض مصر وسماءها، وحيث يرى الشاعر أن لا علاج لذلك إلا الثورة، بيضاء أو حمراء، لأنها هي التي ستقتلع أسس الفساد والاستعباد من أرض مصر، فقال:

تالله أهدأ أو تقوم قيامة ... فيها الدماء على الدماء تراق

أنا لا أقر على القبيح مهابة ... إن القرار على القبيح نفاق

والقبيح هنا هو ما كان يجري على مسرح الأحداث في مصر آنذاك، من ظلم صارخ، واضطهاد للحريات، وانتهاك للحرمات، ونهب لأموال الشعب، وتدخل أجنبي سافر بغيض.

لم يسكت البارودي، لأنه كان يرى أن السكوت على الباطل جبن ونفاق، وأن الرضا بالظلم ذلة ورياء، وأن عدم الانتصار للحق عار وهوان. يقول في ذلك

فلا رحم الله أمرءا باع دينه

بدنيا سواه وهو للحق وامق

فإن نافق الأقوام فى الدين خسة

فإنى بحمد الله غير منافق

على إننى لم آل نصحا لمعشر

أبى غدرهم أن يقبلوا قول صادق

ولكننى ناديت بالعدل طالبا

رضا الله واستنهضت أهل الحقائق

أمرت بمعروف وأنكرت منكرا

وذلك حكم فى رقاب الخلائق

وكيف يكون المرء حرا مهذبا

ويرضى بما يأتى به كل فاسق

وخاطب البارودى الظالمين من حكام مصر وجلاديه فى عصره، فقال:

يا أيها الظالم فى ملكه   أغرك الملك الذى ينفد

اصنع بنا ما شئت من قسوة   فالله عدل والتلاقى غد

وعلل الشاعر قسوة الحاكمين على الشعب بسكوته عن ظلمهم واستبدادهم، فقال:

وكذلك السلطان إن ظن بالأمـ   ـة عجزا سطا عليها وشدا

وتفاقمت الأمور، فأخذ يتنبأ بالثورة التى يراها بعين بصيرته، فقال:

إنى أرى أنفسا ضاقت بما حملت   وسوف يشهد حد السيف شاهره

بل لقد حدد موعد الثورة تحديدًا دقيقًا، بعد أن رأى تفاقم الأحداث، وغليان النفوس بالثورة، فقال إثر ذلك البيت:

شهران أو بعض شهران هى احتدمت

وفى الجديدين ما تغنى فواقره

لعـل بـلجة نـور يستضاء بهـا

بعد الظلام الذى عمت دياجره

ووقعت الواقعة، وقامت الثورة العرابية بالتحام الشعب والجيش، واشترك البارودى فيها: جنديا ثائرًا، وقائدا مسئولاً، وكانت خيانة الخديوى وحاشيته، وأعوانه، ودخل الإنجليز أرض الوطن محتلين، ونفى البارودى إلى سيلان.

وفى المنفى نظم أجمل أشعاره، وأكثرها أصالة وإبداعًا وطلاقة، وتعبيرا عن النفس.

وها هو ذا يعذر نفسه من الفشل الذى منى به قادة الثورة، فيقول:

صبرت على ريب هذا الزمان ولولا المعاذر لم أصبر

فلا تحسبنى جهلت الصواب ولكننى هممت فلم أقدر

وهو يبرىء نفسه أمام محكمة التاريخ، فيقول:

فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى

ذنب أدان به ظلما واغترب

أثريت مجدا فلم أعبأ بما سلبت

أيدى الحوادث منى فهو مكتسب

ويذكر وهو فى المنفى ماضيه الجميل، والقدر الذى قدر له، معللا نفسه بالصبر الجميل، فيقول:

عصر تولى وأبقى فى الفؤاد هوى

يكاد يشمل أحشائى بإحراق

والمرء طوع الليالى فى تصرفها

لا يملك الأمر من نجح وإخفاق

يا قلب صبرا جميلا أنه قدر

يجرى على المرء من أسر وإطلاق

لابد للضيق بعد اليأس من فرج

وكل واجبة يوما لإشراق

ويحن الشاعر فى منفاه البعيد إلى وطنه الحبيب، وإلى سكنه القديم فى روضة المنيل الجميلة، فيقول:

أين أيام لذتى وشبابى

أتراها تعود بعد الذهاب

ذاك عهد مضى وأبعد شىء

أن يرد الزمان عهد التصابى

ليت شعرى متى أرى روضة المنـ

ـيل ذات النخيل والأعناب

ذاك مرعى أنسى وملعب لهوى

وجنى صبوتى ومغنى صحابى

لست أنساه ما حييت وحاشا

أن ترانى لعهده غير صابى

يا نديمى من سرنديب كفا

عن ملامى وخليانى لما بى

كيف لا أندب الشباب وقد أصـ

ـبحت كهلا فى محنة واغتراب

ويعود الشاعر من المنفى إلى وطنه عام ١٩٠٠، فيستقبله بقصيدته الرائعة:

أبابل مرأى العين أم هذه مصر ... فإنى أرى فيها عيونا هى السحر

ويرى قصر الجزيرة مقر الحكم فى عهد إسماعيل، حيث كان البارودى يعيش تحت سمعه وبصره، ويرى جنود الاحتلال تدنس أرضه الحرة، فيقول قصيدته الرائعة فى قصر الجزيرة، ومنها هذا البيت الذى وجهه إلى المحتلين:

يا أيها السادر المزور من صلف ... مهلا فإنك بالأيام منخدع

وبعد أربعة أعوام من عودة للشاعر يرحل إلى عالم الخلود، ويصبح ذكرى خالدة على مر الأيام، ذكرى شاعر وطنى من أعظم الشعراء الذين أنجبتهم مصر، شاعر ظل يعتذر طوال حياته بشعره، ويقول:

سيبقى به ذكرى على الدهر خالدا

وذكر الفتى بعد الممات خلوده

ويرى أن الإنسان فى حياته وموته ذكرى فحسب:

فاختر لنفسك ما تعيش بذكره والمرء فى الدنيا حديث يذكر

وانتهت حياة شاعر جمع بين مجد السيف ومجد القلم، وقال:

فأصبحت محسود الجلال كأننى على كل نفس فى الزمان أمير

إذا صلت كف الدهر من غلوائه وإن قلت غصت بالقلوب صدور

ملكت مقاليد الكلام وحكمة لها كوكب فخم الضياء منير

– ٢ –

وفى المنفى يبلغ الشاعر وفاة زوجته، فيرثيها بقصيدته المشهورة:

لا لوعتى تدع الفؤاد ولا يدى تقوى على رد الحبيب الغادى

وكان مما عاونه على الشاعرية كثرة اطلاعه على الشعر العربى فى عهوده الزاهرة، ثم مزج ذلك الرصيد القوى بما طالعه فى اللغات الأجنبية.

أنه هو الرائد الأول للنهضة الشعرية العربية، الذى أحيا الشعر والأدب بعد طول خمول.

وهذه (مختارات البارودى) الرائعة التى انكب الشاعر على جمعها وتدوينها بعد عودته من المنفى.

فلقد جمع البارودى فى مختاراته طائفة من القصائد العربية الرائعة التى أبدعها الفحول فى أزهى العصور العربية. وكان لهذه المختارات فضل عظيم فى اكتشاف مواهب الشعراء الذين تتلمذوا على البارودى وأفادوا من خبراته، واستقوا من معينه. فإذا قلنا أن البارودى هو الذى بعث النهضة الأدبية الرائعة فى العصر

الحديث، ومهد لها السبيل، لم نكن مغالين في ذلك، ولا متجاوزين جادة الصواب. فكل أفذاذ الشعراء الذين ظهروا فيما بعد البارودى، هم تلامذته وأبناؤه. ويكفى أن نقول فى هذا الصدد أن إسماعيل صبرى باشا، الشاعر الوجدانى الرقيق، اعترف بأستاذية البارودى له. وقد أعد قصائد كثيرة يطرى فيها رائد المدرسة الحديثة.

وجاء من بعد إسماعيل صبرى، شوقى الذى فتن بالبارودى وصبرى معا، وكذلك كان الحال مع حافظ إبراهيم، وخليل مطران، وغيرهما من الشعراء الممتازين.

هذا فيما يتعلق بشعراء مصر، غير أن أثر البارودى قد امتد إلى أرجاء العالم العربى حتى أن شعراء الشام ولبنان العراق قد تأثروا بدورهم بالنهضة الشعرية التى حمل لواءها محمود سامى البارودى تأثرًا عظيمًا، واعتبروه بحق موقظ الشعر العربى من غفوته الطويلة إبان الحكم العثمانى التركى، وممهد الطريق أمام الشعراء الذين تألقوا من بعده، ولعل الذى هدى شعراء العرب إلى شعر البارودى هو المغفور له الإمام محمد عبده .. وذلك أثناء تجواله فى ربوع العالم العربى، وأثناء إقامته فى فرنسا وتلاه الأمير شكيب أرسلان الذى لم يلبث أن أعجب به إعجابًا شديدًا، وأخذ يقلده فيما ينظم، وفى ذلك يقول الأمير شكيب أرسلان: (فلما قرأنا شعر محمود سامى البارودى سكرنا بأدبه، ورقصنا على قصبه، وبعث لنا نشوة روحية لم نعهدها فى أنفسنا من قبل أن عرفناه، وعلمنا أن فى المعاصرين من استطاع أن يضارع الأولين. وأن الأولين غاية لا تدرك، وأنهم إذا قرن بهم المتأخرون، أو المعاصرون، كان أولئك هم السماء، وأولئك هم الأرض، وحفظنا جميع قصائده التى فى "الوسيلة الأدبية"، فلم تكن لشدة إعجابنا بها نخرم منها بيتا واحدا، وكان حفظنا لها من أقوى عوامل الشعر فينا).

ويقول الدكتور أحمد الشرباصى فى كتابه عن الأمير شكيب أرسلان: (إن محمود سامى مملكة عربية، ويقرر أن الإمام محمد عبده كان يقوى فيه هذه العقيدة، ثم يقول شكيب: ولذلك كنت أنا أرانى خريجا فى الشعر لمحمود سامى البارودى).

وما ينطبق على الأمير شكيب أرسلان يسرى على شعراء الأمة العربية خارج مصر، فقد كانوا تلامذة لشعر البارودى، وكانت النهضة التى قامت فى مصر بزعامة البارودى، هى المصباح الذى أضاء النهضة العربية الأدبية فى مختلف أرجاء العروبة.

وأخذ يحتل بشعره، منزلة الرائد لشعراء عصره، والناهض بتراث أمته فى القريض.

وقد لبث الشعر يتعثر قبل البارودى فى أذيال التكلف والجمود، حتى هيأ الله له هذا الشاعر الحكيم، فرفع لواءه، وشاد بناءه، ونهض به نهضة صار يعرف مكانها، ولا يجهل شأنها فى شعرنا الحديث.

وكان البارودى حين نشر للناس مطارف شعره؛ خلبهم بهذه المحاسن المجتمعة، وروى ظمأهم من تلك الجزالة التى تشتاق إليها النفوس فى جدها، وتحتاج إليها النهضات فى أوائلها، ودل الناس على أسباب ذلك الفضل الذى جمعه لنفسه، فعرفوا شعر القدماء، وزاد الإقبال على حفظه، والنظم على منواله، وساروا فى النهج الذى اختطه البارودى لنفسه، فترسموه، وحاكوه فى منهجه وأسلوبه وحفظوا قصائده وعارضوها؛ وأخذت تقوى ملكاتهم ومواهبهم، وأخذ الشعر يسير جزلا فخمًا شريف اللفظ، مونق الأسلوب مشرق الديباجة متلاحم النسج، عذب الموسيقى رصين القافية.

على أن البارودى مع علو شأنه، وسمو مكانه فى الشعر، لم يكن يتجاوز أغراض السابقين، ولم يرم إلى غير أهداف المتقدمين، من غزل ومديح، وهجاء ورثاء، كان قد أعرض عن الفخر، وقصر مدائحه ومراثيه على عظماء الرجال، وفى كهولته شارك بالشعر فى الأحداث الكبرى فى أمته، وأرسله فى الحكمة، وتجارب الأيام، وصروف الزمان، ووصف فواجع الخطوب والأحداث. كل ذلك فى قول رصين، يحاكى شعر فحول الشعراء العباسيين، ولا يقصر عن عبارة أعلامه المتقدمين، من أمثال البحترى وأبى تمام وابن الرومى، والمتنبى، والرضى، ومهيار والمعرى وغيرهم من الشعراء الكبار فى شعرنا العربى، حتى ليمكن أن يقال: أنه منذ مئات السنين لم يجىء من الشعراء من يفوق البارودى أو يدانيه فى ذلك كله. ويقول عنه

أستاذه المرصفي، الشيخ حسين، صاحب كتاب "الوسيلة الأدبية": "أولع البارودي، وهو غض الحداثة، بحفظ الشعر. وأخذ نفسه بدرس دواوين الفحول من شعراء المتقدمين، حتى كان فصيح اللسان، مطبوعًا على الأعراب دون أن يتعلم النحو، فأخذ يقول الشعر فى أغراضه المختلفة، ونهض به نهضة عظيمة، وأعاد إليه حلته العربية، وبهجته البدوية، حتى شاكل الشريف الرضى، فى جزالة اللفظ، ومتانة النسج وقوة الكلام، ولم يختلف عن متقدمى الشعراء فى شيء"، على أنه أربى عليهم، بما جال فى فنون المعانى التى تجلت بها الحضارة الجديدة، وما وصف من مخترعات أخرجها العقل الحديث، وتدور أخيلته ومعانيه بين توليداته العجيبة فى معانى السابقين وأخيلتهم، وبين ما أثارته أحاسيسه المصرية الخاصة، وهى بين مولدة ومخترعة، مما كان آية القدرة، ومراد الفن، ومظهر العبقرية؛ ومما انقطع عنه، أو عما دونه بكثير، طموح شعراء عصره.

وقد حلق شيخ الشعراء البارودى فى وصف المعارك وفى الشكوى والحنين إلى الوطن، وفى مواقف البطولة والصمود والعزة، مما لا يطمح فى مثله إلا الأبطال المعلمون؛ ويقول عنه أحد أعلام الشعر الحديث، وأول من رد الديباجة إلى بهائها وصفائها القديمين، وما أعلى قريضه على قريض شعراء جيله، فإنك لتجد الواحدة من قصائده ذاهبة صعدا إلى عهد رقى أزمنة العرب.

أمير الشعراء أحمد شوقى
(١٣ أكتوبر ١٩٣٢)

لم يشهد الشعر العربى الحديث مجدا كالمجد الذى عاش فيه على يدى أمير شعرائه أحمد شوقى، لقد حمل لواء الشعر أربعين عاما والشعراء يسيرون وراءه فى جميع الأقطار العربية كما يقول د. أحمد ضيف، إذ كان منحة أجيال كما يقول د.على العنانى، وفاخر به جيله الأجيال كلها إذ حاز الشرف الأكبر بظهور أمير الشعراء فيه، وفى ذلك ما فيه من معانى المجد الدائم لمصر فى هذا العصر كما يقول شيخ العروبة أحمد زكى باشا[1]: بل لقد نبه الجيل كله بشوقى وعقد شعره على جبين مصر تاج الزعامة فى الشعوب العربية كما يقول على محمود طه، وكانت طاقة شوقى الفنية ضخمة وموسيقاه أعذب فى جملتها من موسيقى أكبر شعراء العربية كالمتنبى، إذ كان فى مجمل شاعريته وآثاره مرحلة تقدمية فى الشعر العربى الحديث كما يقول د. أحمد زكى أبو شادى، وقد فاق شعراء عصره ومن قبلهم من بعد القرن الرابع الهجرى بمعانيه المبتكرة التى كانت ثروة للعربية وآدابها كما يقول أحمد الإسكندرى. وناهيك بعبقرية شوقى التى اعترف بها جميع الأدباء والنقاد فى عصر شوقى وبعد عصره، والتى كانت كمنجم الماس يعطى الثراء والغنى دون حدود.

بدأ شوقى ينظم الشعر وهو فى الرابعة عشرة من عمره فى رعاية أستاذه الشيخ محمد البسيونى الأستاذ الأول له فى مدرسة الحقوق الخديوية وأقبل على دواوين الشعر وكتب الأدب وقرأ على الشيخ حسين المرصفى كتاب الكشكول وديوان البهاء زهير، كما قال هو فى حديث له مع سليم سركيس فى فبراير ١٨٩٧، ثم قرأ شعر ابن النبيه وابن مطروح والحاجرى والتلعفرى فأخذ عنهم سهولة اللفظ وعذوبة الموسيقى، ونهل من شعر أبى نواس وأبى تمام والبحترى والمتنبى

---

[1] الأهرام ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٢م.

والشريف الرضي والمعري ومهيار وابن زيدون وابن خفاجة الأندلسي وابن حمديس وابن هانئ وأخذ عنهم كل سمات شعره التي عرف بها، وحرص عليها. ثم قرأ آداب كتاب فرنسا وشعرائها وبخاصة شعر هوجو ولامارتين وموسيه، وجمع بين أغراض القدماء وتجديدات المحدثين، وموسيقى المعاصرين، وكتب في أغراض جديدة من الاجتماع والسياسة والملاحم التاريخية والقصص الشعري والروايات التمثيلية، وأجاد في وصف الطبيعة، وعبر عن النزعات الإسلامية والوطنية والعربية، في موسيقى ضاهت موسيقى البحتري وابن زيدون وابن حمديس ومهيار، وبلغ في عذوبة اللفظ وسهولة الأسلوب ما لم يبلغ أحد من شعراء المدرسة المصرية الحديثة. وحسبنا أن الشعراء المولعين بالموسيقى في عصره تأثروا به وتابعوه فيها، من مثل ناجي، وعلي محمود طه، وصالح جودت وأضرابهم، وكانت رسالة شوقي الأولى الغناء بمجد مصر وبتاريخ العرب والإسلام، تسعفه في ذلك ثقافته التاريخية الواسعة. وكان شعره دليلاً قويًا على قدرة العربية على استيعاب المعاني العصرية في أسلوب كلاسيكي ساحر، يمرح فيه الخيال، وتخطر فيه الموسيقى، وتتألق فيه المعاني والصور الفاتنة الجميلة، وكان شوقي دائمًا شاعر العبقرية كما وصفه الزيات، وكان التفات شوقي إلى المعاني دائما يفوق التفاته إلى اللفظ إذ كان خاصية من خصوصيات فنه. وقد استطاع بعد عودته من المنفى أن يتشرب روح الشعب وأن يشاركه آلامه وآماله، وأن يعيش معه في نضاله من أجل الحرية والتقدم، وبلغ بذلك شعره أقصى ما يمكن من الذيوع، إذ صار على لسان الجماهير، وشدا به الناس في كل محفل.

ولقد ولد شوقي في عام ١٨٦٨، وكانت جدته من وصائف القصر في عصر إسماعيل، فوصلته بالخديويين من طفولته. ودخل مكتب الشيخ صالح عام ١٨٧٣، ثم التحق بالمدرسة الخديوية، ثم بمدرسة الحقوق عام ١٨٨٥، وفي عام ١٨٨٧ أرسل توفيق شاعرنا أحمد شوقي على نفقته لإتمام دراسته في باريس، وعاد إلى وطنه عام ١٨٩١ ليعمل في المعية السنية، وصار شاعر القصر، وفي عام ١٨٩٤ مثل مصر هو وأحمد زكي شيخ العروبة وعمر لطفي وكيل مدرسة الحقوق في مؤتمر المستشرقين

الذي عقد في جنيف بسويسرا، وتزوج إحدى بنات حسين شاهين باشا، فبلغ المدى شعرا وجاها وثراء.

كتب شوقي قصائد في مختلف الأحداث والمناسبات، وكتب رواية "علي بك الكبير" عام ١٨٩٣، ورواية "عذراء الهند" عام ١٨٩٧، ورواية "لادياس" عام ١٨٩٩، ورواية "آخر الفراعنة" عام ١٩٠٠، "شيطان بنتاءور" وقد نشرتها "المجلة المصرية" التي كان يصدرها مطران عام ١٩٠١، ورواية "ورقة الآس" عام ١٩٠٤، وصدر الجزء الأول من ديوانه وعليه تاريخ ١٨٩٨ وهو تاريخ بدء الطبع لأن الديوان لم يظهر إلا عام ١٩٠٠، وقد ظهرت له طبعة ثانية عام ١٩١١، ويشمل الجزء الأول شعره من عام ١٨٨١ حتى عام ١٨٩٨. وصدرت طبعة ثانية كاملة للشوقيات قبل وفاته بقليل، فظهر الجزء الأول في مايو ١٩٢٦، والثاني عام ١٩٣٠ والثالث (المراثي) سنة ١٩٣٦ بعد وفاته، والرابع عام ١٩٤٢، وأصدر المرحوم محمد صبري السوربوني بعد ذلك بأكثر من عشرين عاما "الشوقيات المجهولة". ولشوقي كتابه النثري الجميل "أسواق الذهب" وقد ظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٣٢، والثانية عام ١٩٥١. وله كتاب "دول العرب وعظماء الإسلام"، وهو ملحمة شعرية تاريخية، طبعت بعد وفاته عام ١٩٣٣، أما رواياته المسرحية: فقد ظهرت الطبعة الأولى لرواية "مصرع كليوباترا" في ابريل عام ١٩٢٨، وظهرت رواية "قمبيز" عام ١٩٣١. وصدرت الطبعة الثانية لرواية "علي بك الكبير" في مارس عام ١٩٣٣ مع تعديل جوهري عما في الطبعة الأولى. وظهرت رواية "مجنون ليلى" عام ١٩٣١، ورواية "عنترة"، و"أميرة الأندلس" عام ١٩٣٣، ثم رواية "السيدة هدى" التي طبعت بعد وفاته بكثير. أما روايته "البخيلة" فلا تزال غير مطبوعة. وظهرت روايته "قمبيز" قبل وفاته بقليل.

وفي عام ١٩٢٧ عقد في مصر مؤتمر لتكريمه اشترك فيه شعراء مصر وشعراء العالم العربي، حيث بايعوه بإمارة الشعر .. وتوفي شوقي في ١٣ جمادى الثانية من عام ١٣٥٦هـ – ١٣ أكتوبر من عام ١٩٣٢. فبكته مصر والعالم العربي أحر بكاء. وأقيم مهرجان كبير لتأبينه في دار الأوبرا المصرية في مساء يوم الأحد الرابع من ديسمبر عام ١٩٣٢، كما أقيمت حفلات التأبين له في جميع أنحاء الوطن العربي. وفي

المهجر الأمريكي، وفي مختلف المدن المصرية، وأبن في القاهرة في مهرجان شعري كبير آخر في مدرسة التجارة العليا بالمنيرة في الخامس من ديسمبر عام ١٩٣٢ وكتب عن شوقي في حياته وبعد مماته آلاف المقالات، والعديد من الدراسات النقدية التي لا تحصى.

وكان نفي شوقي إلى أسبانيا عام ١٩١٤ حتى فبراير عام ١٩٢٠، بسبب الظروف السياسية آنذاك من أهم الأحداث الكبرى في حياته، وفي شاعريته، وفي صلته بجماهير أمته.

ولقد هاجم مصطفى صادق الرافعي شعر شوقي بمقال مستعار التوقيع كتبه عام ١٩٠٥ في مجلة الثريا، وقسم فيه شعراء مصر إلى طبقات ثلاث:

الأولى: جعل فيها البارودي، والكاظمي، وحافظا، والرافعي نفسه.

والثانية: جعل فيها صبري، وشوقي، ومطران، والبكري، وأمين الحداد، ومحمود واصف، وشكيب أرسلان، وحفني ناصف، ومحمد هلال إبراهيم.

والثالثة: جعل فيها الكاشف، والمنفلوطي، وأحمد محرم، وإمام العبد، وأحمد نسيم، ومحمد النجفي، والعربي.

وقال في المقال: إن شهرة شوقي ترجع إلى خلو الجو له آنذاك، إذ كان الكاظمي في العراق، والبارودي في المنفى في سيلان،وحافظ في السودان، والرافعي لم يكن قد شهر بالشعر بعد.

ثم هاجمته أيضًا مدرسة الديوان التي كان روادها هم عبد الرحمن شكري، والعقاد، والمازني. وأصدرت كتابها المشهور "الديوان" عام ١٩٢١،الذي حمل نقدا قاسيًا لشوقي وشعره.

ومع كل ما وجه إلى شوقي من نقد فقد بقي اسمه، وخلد شعره، على مرور الأجيال، وكأنه نغم علوي ساحر متجدد على مر السنوات.

وليس بدعا في سنة الله أن ينتضح طبع شوقي بكل هذا البيان العربي، وهو فتى لا يتصل نسبه بأبناء العرب من أمه وأبيه بسبب، ولا كان محصوله من لغتهم وأشعارهم ومظاهر بلاغتهم بأوفر من محصول من نشأ فيهم من أهل البيان، وإلا فمن علم البدر كيف يتألق؟ ومن علم الغدير كيف يترقرق؟ ألا ذلك تقدير العزيز العليم.. كما يقول الرافعي — رحمه الله ورحم أمير الشعراء —.

حافظ إبراهيم
١٨٧٢ – ١٩٣٢

في الواحد والعشرين من يوليو ١٩٣٢ مات شاعر النيل، حافظ إبراهيم؛ فبكاه الشعب وهوفى أعظم مراحل نضاله الوطني ضد الاحتلال والقصر؛ وطوى بموته أحلى صوت وطني عرفته مصر من فوق منبر الشرق، كما قالت مجلة أبولو في عددها الخاص الذي صدر في الذكرى الأولى لوفاته في يوليو ١٩٣٣. وكان حافظ لسان العصر الذي عاش فيه، وصوت الشعب الذي أنجبه؛ كما قال المازني في كلمته في الذكرى.

وحقًا كان حافظ شاعر النضال الوطني في الثلث الأول من القرن العشرين؛ بل كان هو مصر الثائرة، كما كان مصر الشاعرة، وليس بالقليل أن يصبح شاعر لسان أمته، والهاتف بنجوى روحها بسر ضميرها، والمصور لأفراحها وأحزانها، لآمالها وآلامها، في نزاعها نحو الحرية وطلب الاستقلال.

وكان الإمام محمد عبده قد أحاطه بكثير من رعايته بعد أن ألقيت أمانة الحركة الوطنية في يدى الإمام أثر عودته من المنفى في أعقاب فشل الثورة العرابية، واحتلال الإنجليز لأرض الوطن بمعاونة الخديوى الخائن توفيق ابن إسماعيل. وكان حافظ ضابطا صغيرا في السودان في لواء المدفعية (الطوبجية)، وقد تعرف بالإمام الذي كان في زيارة عمل للسودان، ولما عاد الإمام إلى القاهرة بعث حافظ إليه رسالة يشكو فيها بثه وحزنه، لهمومه النفسية، وأكثرها كان بسبب مأساة وطنه الأكبر، ويسأله فيها أن يعاونه في العودة إلى القاهرة، ووعده الإمام خيرا، ولم يلبث حافظ أن عاد إلى القاهرة، ليحاكم فيها بتهمة التآمر، إثر ثورة الضباط المصريين في السودان ضد الإنجليز في أواخر عام ١٨٩٩م؛ وعاد معه رفاقه الضباط المصريون الثمانية عشر، المتهمون بمثل تهمته. وبفضل الإمام صدر عفو الخديوى عن حافظ، وعادت إليه طمأنينته وحريته.

وكانت هذه الفترة أحرج مراحل حياة حافظ، الذي ولد في ديروط في ٤ فبراير ١٨٧٢، وذاق مرارة اليتم، إذ توفي والده وهو ابن عامين، ثم شاهد هزيمة الثورة العرابية ومأساة احتلال انجلترا لوطنه. وهو في العاشرة من عمره، وقضاء

الاحتلال على كل الأحرار والوطنيين في مصر. وحين تخرج من المدرسة الحربية وعمل ضابطا في السودان، أصبحت البلاد في قبضة الضابط الإنجليز، وسيطرتهم الكاملة على الجيش المصرى العظيم، وإذلالهم للعناصر الوطنية الثائرة فيه، وعاد حافظ إلى الجيش بعد العفو الخديوى، ولكنه لم يلبث أن فصل لأنه من دعاة الحرية، ومن مدرسة الإمام محمد عبده، التى لم يطق الإنجليز أن يوجد أحد منها فى الجيش، وعاهد حافظ الإمام على أن يعيش للشعب، وأن يجعل من شعره مشاعل تضىء الطريق لأمته، فى نضالها لأعداء الحرية والوطن.

وبعد قليل توفى البارودى أحد زعماء الثورة العرابية عام ١٩٠٤ ثم تلاه الإمام محمد عبده فى يوليو عام ١٩٠٥، فبكاهما الشاعر والشعب ثم كانت دنشواى، فكتب حافظ فيها قصائده الوطنية الملتهبة. وبعد قليل وفى عام ١٩٠٨ توفى الزعيم الوطنى مصطفى كامل فرثاه الشاعر بمراث بليغة. وظل يعيش على الكفاف حتى بلغ الأربعين إلى أن كللت مساعى سعد — وهو من زملاء حافظ فى مدرسة الإمام — بالنجاح والتحق الشاعر بوظيفة فى دار الكتب المصرية عام ١٩١١، وظل فيها عشرين عاما حتى أحيل إلى المعاش فى أوائل عام ١٩٣٢، وبعد عدة شهور وافاه الأجل فى ٢١ يوليو ١٩٣٢، وبلا ريب كانت الوظيفة قيد للشاعر يحد من حريته، ويحول بينه وبين آمال الوطن والشعب فيه.

-٢-

صور حافظ فى شعره بؤسه وهمومه، وصار يردد مثل قوله:

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما
وعدت وما أعقبت إلا التندما

ويبكى لوطنه وللحرية المكبوتة فيه:

إذا نطقت فقاع السجن متكئى
وإن سكت فإن النفس لم تطب

أيشتكى الفقر غادينا ورائحنا
ونحن نمشى على أرض من الذهب

ويكتب حافظ قصائده الوطنية في دنشواي، حيث تهره المأساة، فيصرح في وجه الاحتلال:

ليت شعري أتلك محكمة التفـ

ـتيش عادت، أم عهد نيرون عادا؟

ويؤكد حق أمته في الحرية والحياة:

إذا الله أحيا أمة لن يردها

إلى الموت قهار ولا متجبر

ويبكي زعماء وطنه: البارودي، محمد عبده، مصطفى كامل، وكان مشهورا بجودة الرثاء، لا يبده فيه شاعر آخر من معاصريه.

وفي ثورة الأمة عام ١٩١٩ نظم قصيدته في مظاهرة النساء، ثم كتب قصيدته مصر، وصار حافظ شاعر الوطن والشعب، وأصابت صحيفة الأهرام حين لقبته شاعر النيل، وأقر النقاد والكتاب والشعراء هذا اللقب، إذ صار شاعر الحياة القومية، بمثل قصيدته عن اللغة العربية، وعن الحجاب والسفور، وعن أزمات المال والسياسة ومضاربات الأعيان في سوق القطن، ونهب الأجانب لثروات البلاد، وفي الدعوة إلى بعض المشاريع الاجتماعية الشعبية. بل اتسعت دائرة وطنيته، فشملت العروبة في مثل قصيدته "سورية ومصر"، بل الشرق كما في قصيدته "أنا يابانية". بل كتب شعرا إنسانيًا رفيعًا كقصيدته في حريق ميت عمر، وقصيدته في زلزال مسينا.

وأصبح حافظ – بسبب من ذلك كله – يعتلي ذروة الشعر العربي الحديث، هو وشوقي، حتى ليقول د.أحمد زكي أبو شادي: إن اسم حافظ لن ينسى في تاريخ الشعر العربي: وأعلى هيكل والعقاد وشكري ومطران وطه حسين وشوقي ضيف وخفاجي السحرتي وأكثر النقاد من منزلته في الشعر الحديث: بل صار يعد زعيمًا من كبار الزعماء الوطنيين المخلصين، يتغنى الشعب بشعره، ويفضله على سائر الشعراء، كما قال الوزير الأديب إبراهيم دسوقي أباظة من قبل. واحتمع لحافظ من متخير القول، ومصفى الكلام شعرا ونثرا، ما لم يحتمع لشاعر. ويساويه النقاد بشوقي، وآخرون يعلون من منزلة شوقي، ويقولون ما قاله الزيات بأنه كان شاعر القريحة وشوقي شاعر العبقرية. أو ما قاله د. علي العناني بأن (شوقي) كان منحة أجيال. أو ما قاله د. أحمد زكي باشا من أنه يحق للحاضر أن يفاخر الأجيال الحاضرة والآتية بأنه

حاز الشرف الأكبر بظهور أمير الشعراء فيه، وفي ذلك ما فيه من معاني المجد الدائم لمصر في هذا العصر (الأهرام ٥ ديسمبر ١٩٣٢) أو ما قاله علي محمود طه بأن الجيل كله نبه باسم شوقي، وعقد شعره على جبين مصر تاج الزعامة في الشعوب العربية. وإن كنت أذهب إلى أنهما كانا كفتي ميزان. فلحافظ شعره الوطني والاجتماعي والملحمي ومراثيه وشكواه للزمان، لشوقي شعره الوصفي والإسلامي والمسرحي والتاريخي؛ وحافظ أجزل لفظا وأسلوبا، وشوقي أعلى خيالاً وتصويرًا.

لقد بزغ نجم حافظ بعد وفاة البارودي، في زمن تألق فيه نجم شوقي وصبري وشكري ومحرم ومطران، وشعراء آخرين. فتصدر الميدان وحاز قصب الرهان في كثير من الأحيان.

-٣-

وفجأة مات حافظ، فبكاه الشعب والعرب، ورثاه مطران ومحرم وغنيم وعماد والعقاد والجارم والأسمر وجملة شعراء مصر والعالم العربي، وانتظر الناس مرثية شوقي، ولاذ شوقي بالصمت. ومضت الأيام، وتحل ذكرى الأربعين، فتدعو "رابطة الأدب الجديد" لتأبين حافظ في نادي الجامعيين بشارع الساحة في القاهرة، ويحتل بوليس حكومة صدقي المكان، ويمنع الجماهير من الدخول إليه. ومن أجل ذلك بادر د. هيكل بإصدار عدد خاص من "السياسة الأسبوعية" في ٢ سبتمبر ١٩٣٢ وقفه على رثاء حافظ، ودعت "رابطة الأدب الجديد" إلى مهرجان لتأبين حافظ في الإسكندرية بالمشاركة مع جمعية أبولو، وكانت مفاجأة الشعب والصحافة مرثية شوقي لحافظ:

قد كنت أوثر أن تقول رثائي
يا منصف الموتى من الأحياء
وودت لو أني فداك من الردى
والكاذبون المرجفون فدائي
ما حطموك وإنما بك حطموا
من ذا يحطم رفرف الجوزاء؟
أنظر فأنت كأمس شأنك باذخ
في الشرق، واسمك أرفع الأسماء

وبعد نحو ثلاثة شهور، وفي يوم الخميس ١٣ جمادى الثانية ١٣٥١هـ - ١٣ أكتوبر ١٩٣٢، وفجأة، يموت أمير الشعراء أحمد شوقي فيهتز العالم العربي لوفاته ويبكيه أحر بكاء. وتؤبنه الدولة والعرب في مهرجان أدبي كبير في دار الأوبرا المصرية في مساء يوم الأحد الرابع من ديسمبر ١٩٣٢، وبعد ذلك بنحو خمس سنوات أبنت الدولة حافظًا في مهرجان مماثل عقد في دار الأوبرا في ٢٤ من ذي الحجة ١٣٥٥هـ - السابع من مارس ١٩٣٧.

ومضى شوقي وبقي شعره المسرحي والملحمي والوصفي والغنائي كما مضى حافظ وبقي شعره الوطني والاجتماعي والذاتي الخالد على صفحات الأيام.

ومن العجب أن تكون قصة أميري الشعر في العصر الحديث حافظ وشوقي في وفاتهما في عام واحد، وأن الثاني مات بعد الأول بثلاثة شهور، وأنه تأخر في رثاء زميله أكثر من شهر: هي قصة أميري الشعر في العصر الأموي: الفرزدق وجرير. فلقد ماتا في عام واحد هو ١١٠هـ - ٧٢٩م.

ومات الفرزدق في ليلة الجمعة غرة رجب عام ١١٠هـ - ١٤ يوليو ٧٢٩م، وصمت جرير، وبعد أكثر من شهر رثى جرير الفرزدق منافسه الأكبر في إمارة الشعر العربي:

لعمري لقد أشجى (تميما) وهدها
على نكبات الدهر موت الفرزدق
لقد غادروا في اللحد من كان ينتمي
إلى كل نجم في السماء محلق
عماد تميم كلها، ولسانها
وناطقها البذاخ في كل منطق
فتى عاش يبني المجد تسعين حجة
وكان إلى الخيرات والمجد يرتقي

وبعد أقل من شهرين توفي جرير - رحمهم الله.

أحمد محـرم
١٨٧٧ — ١٩٤٥

-١-

شاعر كبير، غنى لشعبه وللعروبة والإسلام، أجمل القصائد، ولد أحمد محرم بن حسن عبد الله في الخامس من محرم سنة ١٢٩٤ هـ الموافق ٣٠ من يناير سنة ١٨٧٧م، فكان ميلاده خيرا وبركة على آدابنا العربية، وروحا جديدة أعطت للشعر طاقات شابة ساعدت على وثبته الكبرى التي ابتدأها البارودي، وكانت دعما لنهضة هذا الشعر في طريقه العربي المتحرر، وذلك مما شابه في عصور التخلف.

وكان ميلاد محرم في حي باب الوزير بالقاهرة، في بيت متواضع. وكان أبوه تركيا خالصًا، وأيضًا أمه تركية إلا أنها اختلطت بدم مصري مستمد من عائلة الدرمللي العريقة بجاهها وثرائها في مصر.

وعرف عن أبيه التمسك بالدين، ولذا فقد أخذ أهل بيته وعودهم على آداب الإسلام، وسمى ابنه الشاعر باسم شهر عربي.

نشأ محرم في هذه البيئة المؤمنة، فشرب من منهلها العذب، وظل متأثرًا بذلك طول حياته، سواء في شعره أو في سلوكه العملي.

ثم رحل أبوه ومعه أسرته إلى قبا الحمراء إحدى قرى البحيرة، فتربى في حضن الطبيعة، بأرضها الخضراء، ومائها الرقراق، وسمائها الصافية وجوها العليل.

ولما بلغ محرم سن التعليم أدخله والده مكتبًا تلقى فيه مبادئ القراءة والكتابة، وشيئًا من القرآن الكريم.

ثم اختار له والده أستاذًا من علماء الأزهر تلقى عليه مبادىء النحو والصرف والبلاغة وآداب اللغة، وكثيرا من العلوم العربية والدينية.

وفي سن الثانية عشرة أدخله والده مدرسة حكومية بالقاهرة، ولكن محرما لم يجد في هذه المدرسة ما يشفي ظمأه، بعد أن عرف في صباه البحتري والمتنبي وكثيرًا من شعراء الجاهلية والإسلام، وحينئذ أدخله والده مدرسة أخرى ظنًا منه أنه قد تعقد من هذه المدرسة الأولى فقط عسى أن تنحل عقدته، لكن محرمًا لم يجد في الثانية أكثر من الأولى، فأعاده والده إلى القرية.

انكب محرم على مكتبة أبيه، وذلك تحت إشرافه، وشجعه على قرض الشعر، وأجزل له العطاء عند كل قصيدة يفرغ منها، وظل والده يزوده بكثير من الكتب، فعرف عصور الشعر المختلفة، حتى اغترف من الشعر ما لا يمكن حصره وواصل ليله بنهاره، حتى لان له قرض الشعر.

وكان مفكرًا صامتًا لا يتكلم الكلمة إلا في موضعها، وفي سنة ١٩١٠ نال شهادة الامتياز بين شعراء النيل، كما ظفر بأكثر من خمس عشرة جائزة في مسابقات شعرية

وظل طليقًا لا ينتسب إلى حزب، ولم يرض أن يسير في غمار محرري الصحف أو المجلات، حين عرضت عليه، كي يظل حرا ينطق بالكلمة دون مبالاة، وكان يرسل قصائده للصحف فقط.

وكان يتصل بمصطفى كامل، ومحمد عبده، ورأى الحربين العالميتين، الأولى والثانية، وشاهد الاستعمار والمستشرقين والصهاينة في فلسطين، وقال في كل ذلك شعرا خالدًا.

كما عرضت عليه إمارة الشعر بعد شوقي فرفضها، وظل يقاسي شظف العيش إلى أن عينه عزيز أباظة مشرفًا على مكتبة دمنهور.

-٢-

حاول محرم إيقاظ أمة في عصر طغت فيه الذاتية والمادية، وأصبح صاحب المبادئ شاذا غريبا، فلم تلن له قناة، وظل صامدًا يدفع عن وطنه وإسلامه كل هجمة شرسة في صدق وصلابة فتكاتف أعداء الحق على غمطه، وحاولوا هدمه، وإبعاده عن الساحة، وحاربوه في أنديتهم، فترك القاهرة، وعاش في دمنهور. ومنها ناصر مصطفى كامل وأيده في كفاحه، وإن لم ينضم إلى الحزب الوطني. كما لم ينضم إلى أي حزب آخر، وظل مستقلا لا يهمه إلا أخذ الحقوق لأمته من أيدي المستعمرين. فيقول للوفد المفاوض عندما اختلفوا في الرأي:

إذا اختلفوا أو اتفقوا فإنا
سوى استقلال مصر لا نريد
إذا لم يحفظ استقلال مصر
فلا سعد يطاع ولا سعيد

وأخذ على عاتقه تحذير الشعب من نفاق الإنجليز فيقول:

يـا أيهـا القـوم مـاذا فـى حقائـبكم
إنى أرى الشعب قد أودى به القلق

جئـتم إليـنا فباتـت مصـر راجفـة
ممـا حملـتم وكـاد النـيل يحـترق

لقـد أقـاموا طويـلا بـين أظهـرنا
فمـا وثقـنا بهـم يومًـا ولا وثقـوا

لا يعبـــث باســـتقلالكم أحـــد
ولا يغـــركم التضـــليل والملـــق

وقد عرف حقد المستشرقين، وتعاونهم مع قومهم المستعمرين فى تزييف الحقائق لزعزعة عقائد المسلمين وإضعافهم، مثل ما نرى عند "هانوتو" الفرنسى، وهو يكيل التهم للمسلمين، ويصفهم بالتعصب الأعمى، ويسفه عقولهم، ثم يرجع سبب هذه الحماقة من المسلمين إلى تعلقهم بمحمد ﷺ، وارتباط قلوبهم به، ولن يزول هذا الوضع السيء من نفوسهم إلا بهدم قبر محمد ﷺ وجلبه إلى باريس حتى يستقر فى متحف اللوفر بين المقتنيات الأثرية، وقد نسى هانوتو أن المسلمين لا يعبدون محمدًا ﷺ، وإنما يعبدون رب السماء والأرض ورب محمد ورب العالمين، فهل يكون التمسك بالحق بعد أن أيقن به المسلمون تعصبًا؟ أم هو ذلك السفه الذى لا يستند على أى أساس غير الحقد على دين الإسلام ونبى الإسلام؟.

حينئذ يغضب محرم مع الغاضبين ويقول من قصيدة طويلة: إن المسلمين لن يتركوا هانوتو ومن شايعه أن يصلوا بحلمهم إلى مجرد القول، وأن المسلمين قاطبة يفتدون دينهم ونبيهم بالمهج والأرواح، ولن يكون لباريس ولا لمتحفها وجود على ظهر الأرض:

أيهـــم (هـــانوتو) بقـــبر (محمـــد)
ويـــروع حولـــيه يطـــوف ويعكـــف؟

أيقـــول تلـــك فـــلا تمـــيد بأهـــلها

بـاريس مـن فـزع ويهـوى المتحف؟

فلســـوف يـــنظر أي ملـــك يـــنطوي

ولســـوف يعـــلم أي عـــرش ينســـف

ولقد عرف محرم منزلة العلماء من الأمة، وأنهم العنصر الأول في قيادتها إلى الخير أو الشر،ومن ثم اتجه إلى فئة من العلماء عرفوا بالنفاق، وأصبح كل همهم إرضاء السلطان على حساب القرآن، فيخرجون الفتاوى موافقة للأهواء، والدين من هذا براء، مع أنه أمام العلماء كثير من المسائل لإصلاح المجتمع ولا نسمع لهم رأيًا، لأن فتواهم حينئذ لن تكون موافقة لرغبات الحكام، فيعيب محرم على أمثال هؤلاء العلماء، وعدم محافظتهم على مبادئ دينهم، وانشغالهم بإرضاء قوم في باطلهم، مع أن أمامهم رسالة ضخمة في إصلاح الأمة، وردها إلى كتاب ربها، حتى لا يضيع ما بقي من هذا الدين، في أمة ركبتها الأمراض والعلل، لبعدها عن مبادئ دينها فيقول:

أرى عـــلماء الديـــن لا يحفظونـــه

ولا يعـــرفون الـــيوم رتبـــته العلـــيا

هـم اتخـذوا مـا أدركـوا مـن علومـه

ســـبيلا إلى مـا يشـتهون مـن الدنـيا

فضاعوا وضاع الديـن مـا بين أمـة

همـو شـرعوا فـيها الضـلالة والغـيا

إذا المفســد اســتفتى يــريد تماديــا

أتـوه بـأعلام الهـدى تحمـل الفتـيا

أيعجـب قومـا مـن أولي العـلم أنهـم

يسيرون بين النـاس فـي نـوره عميا

ألا هـل أرى مـن جلـة القـوم شـافيًا

لشـعب مـريض لا يمـوت ولا يحـيا

محـــته عـــوادي الدهـــر إلا بقـــية

مـن الديـن والدنيا لمـن يؤثـر البقيا

ولقد عاش محرم أحداث فلسطين الأولى، وعرف أنها قضية العرب جميعًا ولن يرد بني صهيون عن فلسطين إلا اتحاد العرب وإجماعهم على الجهاد تحت راية القرآن، وأن يخوضوها معركة حامية حتى يصونوا الحرمات الإسلامية، ويردوا الظلم عن البلاد، فيقول في قصيدة له سنة ١٩٣٨م:

خلـــق العـــروبة أن تجـــد وتدأبـــا

وســـجية الإســـلام أن يتغلـــبا

لا تلـك تخفـض مـن جناحـيها، ولا

هـذا يـريد سـوى الـتفوق مطلـبا

رفـع الـنفوس عـن الصـغار وصـانها

عـن أن تخـاف عـدوه أو ترهـبا

ديـن الفـتوة والمـروءة: مـا طغـت

لجـج الحـوادث حولـه فتهيـبا

المؤمـنون عـلى الحـوادث أخـوة

لا يعـرفون سـوى الكـتاب لهـم أبـا

يـا آل يعـرب: مـن يريـني خـالدًا

يزجي الخمـيس، ويسـتحث المقنبا

مـن شـاء مـنكم فليكـنه ولا يقـل

ذهـب القديـم، فإنـه لـن يذهـبا

الســـر بـــاق، والـــزمان مجـــدد

والسـيف مـا فقـد المضـاء ولا نـبا

ردوا المظـــالم عـــن محـــارم أمـــة

مـن كـان يطمـع أن تـباع وتوهـبا

ثم بعد ذلك نجد محرمًا قد ضرب بسهم وافر في السبق إلى تصوير الدعوة الإسلامية في كل أطوارها على يدي رسولنا محمد ﷺ ويتتبع خطواتها المباركة، وهي بكر في حياتها الأولى. ويصح ذلك شعرا في ديوانه مجد الإسلام الذي يتضمن ما يقرب من مائة وتسع وستين قصيدة تربو على خمسة آلاف وستمائة بيت، وهذا نموذج لبعض ما تضمنه ذلك الديوان، فيقول في قصيدة طويلة عن فتح مكة نكتفي منها بهذه الأبيات:

ديار مكة هذا خالد دلفا
فما احتيالك في الطود الذي رجفا؟

طود من الشرك خانته جوانبه
لما مشى نحوه الطود الذي زحفا

إن الجبال التي في الأرض لو كفرت
لدكها جبل الإسلام أو نسفا

لما دعاه بسيف الله سيده
زاد السيوف به في عزها شرفا

وعلى هذا الدرب واصل محرم تصويره لأحداث تلك الحقبة الميمونة من حياة الدعوة، فجزاه الله عن صنيعه هذا بقدر ما بذل من أجل دينه.

ومات الشاعر أحمد محرم في يونيه سنة ١٩٤٥م.

عـزيز أباظة
١٨٩٨ — ١٩٧٣

– ١ –

ما زلت أذكره: فارع الطول، أبيض الوجه، مشربا بحمرة الشباب، على وجهه ابتسامة دائمة، تحمل معنى الاطمئنان والثقة والأمل.

وفي أيام المحن كانت هذه الابتسامة تعلوها مسحة التفكير العميق، والتصدي للأحداث والتحدي للخطوب.

كنت في أسيوط أيام عام ١٩٤٦، وكنا نعقد الندوات الثقافية بجمعية الشبان المسلمين فيها، وكان مدير – محافظ – أسيوط آنذاك هو الشاعر الكبير عزيز أباظة. وكان يحضر بنفسه ندواتنا، ويشارك فيها بالرأي والحوار والتوجيه، وما كان أحد من حكام الأقاليم الكبار يفعل ذلك ولا يتصور حدوث ذلك في يوم من الأيام.

وفي مطبعة مصر، وكان عزيز أباظة (باشا) رئيسا لإدارتها، كنت أزوره في مكتبه فيها، فأشعر بأنه قد خلق شاعرا قبل أن يكون أي شيء آخر .. وفي منزله في الزمالك، وفي فندق عمر الخيام في أول هذه الضاحية الجميلة قابلته مرات ومرات، حيث كنت أجد فيه روح الشاعر الإنسان قبل أن ألمس منه روح الرجل العظيم، الذي يحمل على كاهله أعباء المجد والشاعرية والشعراء.

ودعوناه ليحضر في رابطة الأدب الحديث، في أمسية من أمسيات الثلاثاء فلبى الدعوة، وحضر وجلس طويلا، يتحدث ويطيل الحديث .. ويدور الحوار حول المسرح الشعري بين أمسه وحاضره، وهو لا يمل الجلسة أبدًا.

عزيز أباظة الرجل الإنسان، والشاعر المحلق، والأديب الكبير .. شخصية فريدة في تاريخنا الأدبي المعاصر، قل أن يجود بمثلها الزمان ..

بالأمس كنت أقرأ كتاب "أبي عزيز أباظة" تأليف ابنته عفاف عزيز أباظة فراعني بساطة أسلوبه، وروعة ما احتوى عليه من صدق ودقة في تحليل شخصية الرجل، وعرض سيرته عرضا جميلاً جذابًا مؤثرًا ..

وما أجدر عزيز أباظة بأن تخرج عنه مئات الدراسات، فعبقرية هذا الرجل وشاعريته لا يفي بحقها قلم، ولا يمجد عظمتها إنسان ..

ولد عزيز أباظة في قرية "الربعماية" الشرقية في ١٣ أغسطس عام ١٨٩٨م وتلقى ثقافته الأولى في القرية، ثم في مدارس الشرقية والقاهرة، وظهرت موهبته في الأدب والشعر منذ صغره، وعكف على كتب التراث يتزود منها بقسط موفور من الثقافة الأدبية ..

وشاهد حركة مصطفى كامل، وثورة ١٩١٩ التي تزعمها سعد زغلول، وشاهد كل الأحداث التي مر بها وطنه في القرن العشرين حتى وفاته ..

وفي عام ١٩٣٦ انتخب عضوا في مجلس النواب، وبعد قليل اختير مديرا للقليوبية،فالمنيا، وبور سعيد، وأسيوط .. ثم لم يلبث أن انتخب مرة أخرى لمجلس النواب، فمجلس الشيوخ، ثم اختير رئيسًا لإدارة مطبعة مصر، فعضوا في كثير من الشركات والمؤسسات، ومقررا للجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ..

وظل كذلك يجوب البلاد، ويقوم بالرحلات إلى الخارج، حتى استأثرت به رحمة الله في الحادي عشر من شهر يوليو عام ١٩٧٣م، فخسرت مصر وخسر العالم العربي، وخسرت دولة القريض علما من أكبر أعلامها، وشاعرا من أعظم الشعراء، الذين دعموا نهضة الشعر والأدب، وأسدوا للحركة الشعرية المعاصرة كل ما تعتز به من ازدهار وشموخ وجلال.

وروائعه في الوطنية والقومية كثيرة لا تحصى، ومنها قصائد: (وحي الجلاء– حريق القاهرة – من وحي النكسة – أم كلثوم – إلى الشباب – ذكريات المقرن – روما وشوقي – أشواق – ليلة في زحلة – الأميرة تحفة).

ويطول بنا الحديث عن هذه القصائد وأمثالها من قصائد الأباظي العصماوات وأوابده الخالدات.

ولا أنسى شعره الإسلامي في ملحمته الخالدة: "من اشراقات السيرة الذكية"، التي نظم فيها السيرة النبوية شعرا.

وفي قصيدته دنيا القرآن يقول في كتاب الله الحكيم:

أناف على العقول فقيل: شعر
وعز على الفحول، فقيل: سحر

تعالى الله أحكمه كتابا
فليس لعاقل ان ضل عذر

مطـــالع حكمـــة، ومعـــين هـــدى

وبحـــــر مـــج فـــيه الـــدر در

تحـــدي، وهـــى مـــن ألـــف ولام

فواصـــله، وأعجـــز وهـــو نـــثر

ويقول فى الأزهر، وهو يرثى شيخا أزهريًا هو "العلامة الشيخ محمد على النجار عضو المجمع اللغوى":

منـــبر فـــى ثـــرى الكـــنانة قدســـى

تتمـــنى لـــو قـــد حوتـــه الـــثريا

مـا ارتقـى المصـلحون أعـرق مـنه

شـــرفا ســـامقا وعـــتقا ســـنيا

إنـــه الأزهـــر الشـــريف أجـــد اللـــ

ـــه فـــى صـــحنه الســـنا العربـــيا

فى حمى الأزهر الرحيب وفى اف

ـــيائه الحانـــيات عشـــنا ملـــيا

يـا أبـا الجامعـات فـى الشـرق والغـر

ب ويـــا شـــيخها الوقـــور الفتـــيا

كـم بنيـت الأفـذاذ فكـرا وعـلما

عـــبقرى مـــنهم يـــلى عـــبقريا

وعن الفيلسوف الإسلامى المصلح الشاعر محمد إقبال يقول الأباظى:

فـــى جـــلال الهـــداة مـــن أنبـــيائه

وســـنى الخـــالدين مـــن شـــعرائه

حمل الشرق مشعل الفكر فى الدهر

وشـــع الجمـــال فـــى أرجائـــه

ايـــه إقـــبال أنـــت مـــن لمـــع اللـــ

ـــه عـــلى خلقـــه، ومـــن آلائـــه

ومن حكمه في خواطره "قال صفوان" يقول شاعرنا الكبير:

ليس رأيان في الأمور كرأي
واختلاف الآراء ينجي ويهدي
لست أحجي رأيا من المرسل
المعصوم حتى نقول القطع وحدي
إنما نسفر الحقائق كالصبح
بأخذ من الحوار ورد
قد سمعنا عن الطغاة وعسف
أوقعوه فلم يقف عند حد
حكم فرد حتى وإن كان عدلا
غير مجد في ملتي، غير مجدي

وشعر عزيز أباظة بموسيقاه الحلوة التي تأثر فيها بأستاذه أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله، وبألفاظه الجميلة، وبأسلوبه البليغ الرائع، وبمضامينه الإنسانية النبيلة في شتى أغراض الحياة، وبكل خصائص الموهبة والملكة والمقدرة الشعرية، حري بالحفاوة، وجدير بالإكبار والتقدير، قمين بأن يرفع صاحبه إلى ذروة المجد، وقمة الخلود.

خلف عزيز أباظة خمسة دواوين هي:

١- أنات حائرة.
٢- من الشرق والغرب.
٣- تسابيح قلب.
٤- في موكب الحياة.
٥- في موكب الخالدين.

وشهرة ديوان أباظة (أنات حائرة) في الشعر الحديث شهرة فائقة فقد وقفه على رثاء زوجته وابنة عمه التي توفيت في التاسع عشر من يونيو عام ١٩٤٢، وضمنه أحر العواطف وأنبهها وأسماها.

يحل يوم ميلاد الشاعر، فيذكر رفيقة حياته التي ودعت الحياة، ويقول:

أقول والقلب في أضلاعه شرق
بالدمع لا عدت لي يا يوم مولدي

ويقول من قصيدته "من أطياف الماضي" التي نظمها بعد وفاتها بنحو شهرين:

طوفت بالبيت الحزين مسلما
فبكى وأوشك أن يرد سلامي
وجعلت أسأله فلو ملك البكا
واسطاعه لبكى بدمع هامي
أعرفتني يا دار أم أنكرتني؟
نهب الأسى والبث والآلام
يا دار قد مال الزمان بأنسنا
وهوى بمونق شملنا الملتام
يا أخت آمال الصبا ومراحه
والضاحك النشوان من أحلامي
أن تبعدى فأنا المقيم بلا عجى
ومودتي حتى يحين حمامي
ويقال لي: اصبر، ما لذلك حيلة
والنار بين ترائبي وعظامي

وقصيدته "ليلة وليلة" لا نظير لها في الشعر العربي، وقد نظمها الشاعر في الذكرى الأولى لوفاة زوجته، وفيها يقول:

يا ليلة جمعتنا بعد طول نوى
ذكراك هاجت لنا الأشجان ألوانا
وذكرت ما كان من غرس جلوت به
على أكرام خلق الله إنسانا

بيضاء هيفاء تحكي الصبح مؤتلقا
والروض متسقا، والبان ريانا
بتنا تضيء ظلام الليل بسمتنا
وتستثير شجون الليل نجوانا
قالت وقلت، فلم تفرغ مقالتنا
إلى الصباح، ولم تهدأ شكاوانا
وحولنا الليل يطوى في غلائله
وتحت أعطافه نشوى ونشوانا
ونحسب الكون عش اثنين يجمعنا
والماء صهباء والآنام ألحانا
لم نعتنق وذهول العرس يغمرنا
وكم تعانق روحانا وقلبانا
ثم انثنينا وما زال الغليل لظى
والوجد محتدما، والشوق ظمآنا

(٣)

وترك الشاعر عزيز أباظة عشر مسرحيات شعرية، وهي:

١- قيس ولبنى: وقد نظمها في المنيا عام ١٩٤٢، وكان شوقي قد كلفه بكتابتها قبل وفاته، وقد قدم لها الأستاذ عباس محمود العقاد.

٢- العباسة: وقد قدم لها د. محمد حسين هيكل، ومثلت لأول مرة على مسرح الأوبرا في ٣ من نوفمبر عام ١٩٤٥.

٣- مسرحية الناصر: وقد قدم لها الأستاذ أحمد حسن الزيات.

٤- مسرحية شجرة الدر: وقد مثلت في مسرح الأوبرا في أول نوفمبر عام ١٩٤٧.

٥- غروب الأندلس: وقد قدم لها د. طه حسين، ومثلت لأول مرة على مسرح الأوبرا في القاهرة في ١٥ نوفمبر عام ١٩٥٢.

٦- شهريار: وقد قدم لها د. طه حسين، ومثلت لأول مرة على مسرح الأوبرا في القاهرة في ١٥ نوفمبر عام ١٩٥٢.
٧- أوراق الخريف: كتبها عام ١٩٥٧.
٨- قافلة النور: نظمها عام ١٩٥٨.
٩- مسرحية قيصر: نظمها عام ١٩٦٣.
١٠- مسرحية زهرة: وقد كتبها عام ١٩٦٨.

ولم تمثل هذه المسرحيات الأربع الأخيرة ..

وقد درس د. عبد المحسن عاطف سلام المسرح الشعرى عند شاعرنا الكبير في كتابه: "مسرحيات عزيز أباظة" ..

وللشاعر عزيز أباظة ملحمة شعرية رائعة في السيرة النبوية بعنوان: "من إشراقات السيرة الزكية"، وقد نشرت عام ١٩٧١، وقد لها الأستاذ أحمد حسن الباقورى.

(٤)

والمسرح الشعرى عند عزيز أباظة مسرح جد غنى بالشاعرية والموهبة والصراع والحوار الشعرى الجميل ..

وفى مسرحياته الست الأولى يتناول الشاعر أحداثا تاريخية، وكذلك يتجه إلى التاريخ في مسرحيته: قافلة النور، وقيصر.

أما مسرحياته الأخرى: أوراق الخريف، وزهرة فيتجه فيهما إلى الموضوعات الاجتماعية المعاصرة، وإن كان قد تأثر في مسرحية "زهرة" بمسرحية الشاعر المسرحى الإغريقى القديم يوربيبس، كانت بطلتها هي "فيدرا"، التى كتب عنها أيضًا الشاعر الرومانى الفيلسوف "سنكا" والشاعر الفرنسى "راسين" ..

وفى المسرحيتين الاجتماعيتين بسط شاعرنا الكبير عزيز أباظة لغته حتى صارت أقرب إلى اللغة اليومية، دون أن يتخلى عن فصاحة لغته وجمالها.

والمسرح الشعرى عند عزيز أباظة حافل وغنى بالحوار والصراع وبالشخصيات المسرحية .. ويدافع عزيز أباظة عن اتخاذ الشعر لغة للمسرح في العصر الحديث، بينما يعارض الدكتور طه حسين ذلك..

وحين يرى طه حسين أن التمثيل شب عن طوق الشعر وتحرر على أوزانه وقوافيه (ص٦٤٧ مسرح الشعر — جـ١ — عزيز أباظة)، يرى الشاعر الأباظي أن الشعر أنسب للغة الحوار على المسرح من النثر (ص٨١٥ مسرح الشعر — أباظة — المجلد الأول) ..

ولقد كان أرسطو يعتبر المسرحية قسما من أقسام الشعر، ويرى أن المأساة أرقى أنواع التعبير الشعرى، فهى أرقى ضروب الشعر جميعها.

والمسرحيات الإغريقية والرومانية القديمة كانت كلها شعرا، من مثل مسرحيات: اسخيلوس، وسوفوكليس، يوربيدس، أررستوفان، مناندر سنكا، بلوتس.

وفى عصر النهضة وازدهار الكلاسيكية فى العصر الكلاسيكى ظلت المسرحية تكتب شعرا، كما نراها عند أمثال: شكسبير، كورنى، راسين .. وأضرابهم.

وفى تيار الرومانسية، وتيار الواقعية كتب المسرحيون مسرحياتهم نثرا ومخالفين بذلك الأصول الكلاسيكية..

وإن كان بعض الكتاب المسرحيين ظلوا يكتبون مسرحياتهم شعرا، من مثل: البيوت فى أمريكا ثم كريستوفر فراى فى إنجلترا، واندرسون فى أمريكا أيضًا، ولوركا فى أسبانيا، وييتس فى أيرلندا.

ويقول سومرست موم: إن المسرحية النثرية التى وقفت عليها حياتى كلها سوف تموت عما قريب، وقد بدأ الجمهور المثقف يسعى إلى المسرحية الشعرية ويفتح صدره وذراعيه لها. وقد نقلت مسرحيات الغرب إلى العربية شعرًا ونثرًا.

والمسرح الشعرى العربى بدأه أحمد شوقى أمير الشعراء بمسرحياته الخوالد، من أمثال: كليوباترا، مجنون ليلى، عنترة .. وغيرها.

وقد خلف عزيز أباظة أمير الشعراء أحمد شوقى فى إمارة المسرح الشعْرى، بما قدم من أعمال مسرحية خالدة باقية على امتداد الأيام، وحمل لواء الشعر المسرحى بعده سنوات طوالاً تبلغ الأربعين وفى الشعر سنوات طوالا تبلغ نحو ذلك.

ويقول العقاد عنه:

عزيز أباظة شاعر من شعراء الطبقة الأولى فى اللسان العربى، ومؤلف من مؤلفى القصص التمثيلى المعدودين فى هذا الزمان .. (ص٢١ المجلد الأول من مسرح الشعر لعزيز أباظة).

ودواوين أباظة ومسرحياته درة في جبين الشعر المصرى، وسوف تظل خالدة على مدى الأحقاب، رمزا لعبقرية الشاعر، وجلال الشعر.

وقد أصبح اسم عزيز أباظة اسما خالدا في تاريخ الشعر العربي الحديث، فلقد جاء بعد شوقي فورث مكانته الشعرية، وعذوبته الرائعة، وموسيقاه الحلوة، وخلفه في فن المسرحية الشعرية، وأسدى إلى الشعر والشعراء، وإلى الأدب ونهضتنا الأدبية، أيادى لم يسدها إليها شاعر آخر من جيله..

(٥)

وهناك عمل فني جليل آخر، من أعظم إبداعات الشاعر عزيز أباظة وهو ملحمته الرائعة في سيرة رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، وقد اختار لها عنوانًا جميلاً هو: "من إشراقات السيرة الزكية" وتتناول جميع جوانب السيرة النبوية الخالدة في قصائد من أعذب الشعر وأجمله وأكثره إمتاعًا وتأثيرًا وسحرًا.

لقد كانت القصائد النبوية التي نظمها الشعراء على اختلاف العصور، وآخرهم أمير الشعراء أحمد شوقي مقدمة رائعة لكتابة الملحمة الشعرية الحديثة في السيرة النبوية الكريمة، صنع ذلك الشاعر أحمد محرم (١٩٤٥) في ملحمته "الإلياذة الإسلامية" .. وصنع ذلك بعده الشاعر الكبير المرحوم الخالد عزيز أباظة (١٨٩٨ — ١١ يوليو ١٩٧٣) في هذه الملحمة الرائعة التي جادت بها شاعريته المحلقة والمبدعة معًا، والتي قدم لها العالم المصرى الأزهرى الجليل، الشيخ أحمد حسن الباقوري. وقال في تقديمه: إن الشاعر عزيز أباظة قد لخص السيرة النبوية في هذه الملحمة الشعرية الرائعة يبتغي من وراء ذلك: أن يلفت حدثاء الإنسان من أدبائنا إلى أن لغتنا العربية الشريفة قادرة أبين القدرة على التعبير عن كل ما يختلج في الصدور، ويطيف بالأذهان وتحتاج إليه حقائق الحياة، وأن يدعو القادرين على العمل والقيادة والتوجيه إلى أن يضعوا نصب أعينهم هذه السيرة النبوية الشريفة، يستمدون منها الحرية الشاملة والعدالة الكاملة، والسلام العزيز.

ولقد افتتح عزيز هذه الملحمة بقصيدة تعد من عيون شعر المدح النبوى، وعنوانها: "يا رسول الله".

ويلي ذلك قصائد كثيرة في السيرة النبوية من بدئها لختامها، وعددها ثلاث وثلاثون قصيدة: الفترة — مكة — زمزم — النذر — أفراح مكة — زواج عبد الله وآمنة —

عام الفيل – المولد الشريف – الاسترضاع في بني سعد – وفاة آمنة وعبد المطلب – محمد – خديجة والزواج – الإرهاصات – البعثة – عام الحزن – الإسراء والمعراج – الهجرة – بدر – بعد بدر – افتداء الأسرى – أحد – بعد أحد – الخندق – حديث الإفك – رسل النبي وبعوثه – مؤتة – فتح مكة – المرأة وأمهات المؤمنين – حنين – حجة الوداع – في الرفيق الأعلى – روضة الرسول.

وتقع هذه القصائد كلها في أكثر من ثلاثمائة وألف بيت من الشعر، وهي قصائد حافلة بالإشراق الروحي، والطهر النفسي، وبالجمال الفني والموسيقى الشعرية العذبة، وتتميز بقوة التأثير وجلال الإبداع.

وهذا العمل الكبير الذي صنعه الشاعر العظيم عزيز أباظة، لعمل خالد على مر الأيام، لقد صاغ السيرة أو أهم أحداث شعرا رفيعًا جميلاً عذبًا، رفافًا، حلو الموسيقى والنغم، قوي التأثير والروح والإشراق،جليل السحر والإبداع والمتعة.

صور الأحداث والمواقف والوقائع والمعجزات صورا عجيبة مما يسجل اسم عزيز أباظة الشاعر على مدى الأجيال في صحائف الخلود.

على الجارم
(١٨٨١ - ١٩٤٩)

على الجارم (٢٥ ديسمبر عام ١٨٨١ - ٨ فبراير عام ١٩٤٩) شيخ العربية، وصناجة العرب؛ والشاعر الكبير، الذى احتل قمة الشعر العربى بعد شوقى وحافظ، إلى أن استأثرت به رحمة الله.

هذا الشاعر الكبير، الخالد الذكر، العظيم الأثر فى حياة أجيالنا .. لم تزل ذكراه تعبق فى سماوات الشعر والأدب واللغة، والتراث العربى المجيد، حيث عاش ما عاش سادن اللغة، وفارس الكلمة، والذائد الحامى الدمار المدافع عن حياض الشعر.

ومن حظ العربية أن يكون الجارم وأدبه وشعره موضوع سفر جديد، كتبه أستاذ جليل، وعلم كبير من أعلام العربية الذين أثروا حياتنا، ورحلوا وهم قائمون على أداء الرسالة، دائبون على إثراء العربية وأدبها وشعرها بكل ما يكتبون ويبدعون، وهو الأديب المتمكن، الخالد الذكر، الذى رحل عن حياتنا، ونحن أشد ما نكون حاجة إلى فكره الواسع، وقلمه الرصين، محمد الغزالى حرب؛ رحمه الله، وأجزل مثوبته، كفاء ما أبلى فى الدفاع عن العروبة والإسلام ولغة القرآن.

هذا السفر الثمين "على الجارم باحثا وأديبا" يرسم المؤلف فيه صورة صادقة واضحة لأدب الجارم ولشعره وشاعريته، ومواهبه الخلاقة، التى جعلت منه علما كبيرًا من أعلام اللغة والبيان والشعر فى النصف الأول من القرن العشرين.

وميزة هذا الكتاب تتجلى بوضوح فى عمقه ودقته وشموله واستقصائه، وتناوله للكثير من جوانب حياة وشخصية وأدب الجارم وشعره:

-الجارم باحثا وأديبا وشاعرا.
-المرحلة الأخيرة من شعره.
-القديم والجديد فى شعره.
-الشاعر والحياة العامة.

-النزعة الدينية في شعره.

-الفخر والرثاء في شعره.

-مميزات شعر الجارم.

كل هذه البحوث والمجالات التي تتناولها هذه الدراسات تدل دلالة قاطعة على أهمية الكتاب، وأهمية الشاعر موضوع البحث وعلى مكانة الباحث في أدبنا وتراثنا وحضارتنا.

الشاعر الماحى

في عام ١٩٣٤ ظهر ديوان أنيق للشاعر محمد مصطفى الماحى .. فلقى من الذيوع والشهرة ما يلقاه شعر كبار الشعراء .. رأى الناس فى الديوان صورا جميلة .. وتجارب عميقة .. ومعانى رائعة .. تكشف عن شاعرية أصيلة موهوبة.

كان الشاعر آنذاك موظفا كبيرا فى وزارة الأوقاف، وكان للبيئة التى عايشها الشاعر فى هذه الوزرة أثر كبير في شعره وشاعريته .. وكانت الوزارة تضم لفيفا من كبار الأدباء والنقاد والشعراء. من بينهم: محمد المويلحى صاحب - حديث عيسى ابن هشام - وعبد العزيز البشرى .. وأحمد الكاشف وعبد الحليم المصرى وعباس العقاد.

وقد التحق الشاعر بالوزارة عام ١٩١١ .. وهو فى السادسة عشرة من عمره إذ كان ميلاده فى دمياط فى الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٨٩٥ .. وكان شوقى وحافظ يتصدران حركة الشعر، وبجوارهما مطران ومحرم .. ثم ظهر مصطفى لطفى المنفلوطى وتصدر حركة النثر الأدبى .. وكانت النظرات والعبرات للمنفلوطى، وحديث عيسى ابن هشام للمويلحى فى الصدارة من كتب النثر الأدبى التى يقرؤها شباب الأدباء كما كان لشعر البارودي وشوقى وحافظ أثره فى ازدهار حركة الشعر .. وفى تجديد شكله ومضمونه.

ولم يكن بد للماحى الشاب آنذاك من أن يقرأ لزعماء الأدب فى بدء حياته، ومن أن يقرأ لكبار الشعراء آنذاك، وهو يضع قدميه على عتبة وزارة الأوقاف عام ١٩١١، ومن أن يتصل بالتراث ويعيه وعيًا كاملاً، فيعكف على شعر البحترى وأبى تمام والمتنبى والشريف الرضى ومهيار والمعرى، يقرؤه ويستزيد من قراءته، ويحفظ منه ما واتته ملكاته ووقته .. وفى وزارة الأوقاف اتصل بزملائه الكبار الأدباء والشعراء وقرأ لهم، وعرف عن طريقهم تيارات الأدب ومذاهبه ومدارسه وكل ما يتصل به من ثقافات ومعارف. ولم يكن الماحى الشاعر الذى قدم من دمياط وهو فى السادسة عشرة من عمره بمنأى عن الحركة الشعرية فى القاهرة، آنذاك، فقد قدم من مدينته الجميلة الملهمة وهو يقرأ لكبار الشعراء ويحفظ لهم، وكان لبيئة الأدب فى دمياط ولشعراء المدرسة المتبولية فيها أثر كبير فى زيادة وعيه الأدبى وفى الكشف عن

مواهبه الشعرية، وقد أدرك عصر ازدهار هذه المدرسة، وتأثر بشعرائها، من أمثال: على الغاياتى، وعلى العزبى، وعبد اللطيف النشار وسواهم. اتصل الشاعر الماحى كذلك برواد حركة التجديد فى الشعر الحديث من أمثال العقاد وزميليه شكرى والمازنى، وثلاثتهم هم عمد مدرسة الديوان، التى دعت إلى التجديد فى أوسع نطاق، وأكدت الاتجاه الرومانسى في الشعر الذى سبق أن دعا إليه مطران، وشنت حربًا ضارية على شعراء المدرسة المحافظة وشعرها.

ولم يفت الشاعر الماحى أن يؤكد شخصيته فى زحمة معارك الشعر والأدب بين المحافظين والمجددين، فاستملى روح مصر فى شعره، واستلهم حضارة مصر وتراثها فى كل ما ينظمه من قصيد، وكان لتجاربه فى الحياة، وحياته فى زحامها، وبين جماهير الشعب، أثر فى موهبته وشاعريته، وما أكثر ما عبر الشاعر عن روح مصر فى وطنياته، إذ كان وطنه دائما فى خلده وفكره، وكان يردد:

لـك يـا مصـر خـاطرى وجنـانى
إن تمنيت كنـت أغلـى الأمـانى
أنـت رمز الخلـود فـى كـل عصـر
أنـت مـن كنـت معقـل الشـجعان

ومصرية الماحى، أو روحه المصرية، الأصلية هى إحدى خصائص شعره، وقد أشار إلى ذلك كل من كتبوا عنه من أمثال: الشاعر عبد الله عفيفى، ومحمد عبد القادر حمزة، وعمر الدسوقى، وغيرهم .. هذا إلى أصالة طبعه، وصفاء نفسه، وصدق تجاربه، وعذوبة ديباجته، التى كان يقبس فيها من تراثنا الشعرى كل ما يبعث فى صوره ومعانيه القوة والحياة، والتى كان يتجمع فيها طبع البحترى، وعذوبة الشريف الرضى، ورقة البهاء، وبلاغة البارودى، وصياغة شوقى وحافظ.

وقد نوه عبد الله عفيفى بما فى شعر الماحى من يقظة الشاعرية، وثورة العاطفة.

ورأى الشاعر الكبير عزيز أباظة أن لشعر الماحى خصائصه من حيث طابعه الأصيل بروعته المشرقة الجذابة، سواء فى التعابير التى أبرزها الشاعر من خلال أحاسيسه، أو فى البناء الفنى الذى أفرغ فى إقامته كل ما يملك من مواهب وملكات، إلى شفافية روحه، وصراحة صياغته.

الشاعر محمود غنيم
١٩٠٢ - ١٩٧٢

شاعر كبير يحتل منزلة عالية في مدرسة الأحياء والبعث، ويعدُّ علمًا من أعلامها وإبداعه الشعري يتميز بالبلاغة والموسيقية وجمال الآراء والصور.

صدر له عدة دواوين:

١- صرخة في واق.
٢- في ظلال الثورة.
٣- النصر لمصر أو هزيمة لويس التاسع.
٤- غرام يزيد.

ومن دراساته الأدبية كتبه النثرية، التي يعد من أهمها:

١- كتاب حفني ناهض.
٢- الجاه المستعار.
٣- تحقق الجزء الحادي والعشرين من كتاب الأغاني .. بالاشتراك.
٤- دراسة عن أحمد الكاشف (في كتاب خمسة من شعراء الوطنية - إصدار الهيئة العامة للكتاب).

وشعره وشاعريته ملء الآذان، والدراسات عنه كثيرة ومن بينها دراسة واسعة في كتابي "الأدب العربي ومدارسه - الجزء الأول"

أحمد الزين
١٨٩٨ - ١٩٤٣

شاعر مجيد موهوب رفيع الصياغة - كف بصره بعد مولده، ووهبه الله حافظة قوية حتى سمى الشاعر الراوية لكثرة ما يحفظ.

حفظ القرآن الكريم وهو فى التاسعة من عمره، وتلقى تعليمه فى الأزهر. وبعد تخرجه اشتغل بالمحاماة، ثم تفرغ للأدب والشعر والنقد .. كتب فى مجلتى الرسالة والثقافة. وأصدر ديوانه الأول قبل أن يبلغ العشرين من عمره، وديوانه الثانى وهو فى العشرين - حصل على وظيفة فى القسم الأدبى بدار الكتب المصرية صدر له من الدواوين:

= ديوانه القطوف الترائية ١٩١٧.

= وديوانه الأخلاق والأراجيز ١٩١٨، الذى سماه "قلائد الحكمة"

= وصدر بعد وفاته ديوانه ديوان الزين عام ١٩٥٢ بتقديم أحد أصدقائه الشعراء.

وله من الدراسات الأدبية:

تحقيق العقد الفريد بالاشتراك مع أحمد أمين.

تحقيق ديوان حافظ وصبرى.

تحقيق الاجتماع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى.

تحقيق نهاية الأرب.

تحقيق ديوان الهزلية.

ومن أشهر قصائده قصيدته "العود" التى تقول فى مطلعها.

لامست فى النفس أوتار هواها
غادة بالسحر تغزون من غزاها

لحنها يبعث فى ميت المنى
نضرة العمر ومعسول صباها

خفقات تخفق لتلهبها
هى أنات فؤادى أو صداها

وحنـــين طـــار مـــن رقتـــه

أن يذيب اللحن في العـود مياها

أصدر عنه د. إبراهيم عبد الرحمن خليل كتاب بعنـوان "المجتمع في شعر أحمد الزين".

والنقاد يشهدون للزين بالجمـال الفني والموهبـة والطلاقـة الفنيـة وروح التراث.

محمد الأسمر

١٩٠٠ - ١٩٥٦

شاعر كبير بليغ الأداء؛ آسر الصياغة ساحر الموسيقى - تلقى تعليمه في الأزهر ووظف أمينا لمكتبة الأزهر الشريف كتبت عنه دراسات مطولة في العديد من كتبي.

تغريـــــــدات الصبـــــــــاح
ديــــــــوان الأسمــــــــــر
بـــــــين الأعاصـــــــير

وله كتاب نثره جميل يحكي بلاغة كتاب "حديث عيسى بن هشام" للمويلحي وسماه "مع المجتمع"- كتبت عنه دراسات مطولة في كتابي "الأدب العربي الحديث ومدارسه الجزء الأول" .. ومن روائع شعره قصيدته "يا مصر" التي يقول فيها:

هل بات يغني أن يقال لهما اسلمي
إن صح ذلك فاسلمي ثم اسلمي
يـــا مصـــر إن الله جـــل جلالـــه
لا يســـتجيب إلى دعـــاء النـــوم
اليـــوم ألســـنة المدافـــع وحدهـــا
مقبولـــة الدعـــوات طـــاهرة الضـــم

علية الجعار

١٩٣٥ - ٢٠٠٣

شاعرة صوفية إسلامية مجيدة صدر لها فى حياتها الدواوين الآتية:

إنى أحب	١٩٦٨
أتحدّى بهواك الدنيا	١٩٧٧
غريب أنت يا قلبى	١٩٨٣
أنا ابنة الإسلام	١٩٨٦
على أعتاب الرضا	١٩٩٢
مهاجر حق بلا أنصار	٢٠٠٠

وقد كتبت قصائدها الجميلة فى الإسلام والقرآن والرسول وفى أمجاد الإسلام وانتصاراته كما كتبت فى الوطنيات والاجتماعيات والإسلاميات ويمتاز شعرها بعاطفة قوية، ومشاعر صادقة وعميقة، وإيمان غامر يملأ القلب هيامًا وأشواق روحية صادقة. ومواقفها فى الأحداث العربية والإسلامية مواقف مشهورة.

وتد توقيت الشاعرة فى ١٧ أبريل عام ٢٠٠٣ بعد معاناة طويلة مع المرض وشعرها وشاعريتها موضع التقدير والاحترام من النقاد والشعراء وتمتاز قصائدها بموسيقية حالمة، وبنبرة روحية صوفية حزينة حادة، وكانت من أشهر الشاعرات الذين تغنوا بمجد الإسلام فى أمسه، وبحاجة المسلمين فى حاضرهم إلى التمسك بعروة الإسلام الوثقى .. رحمها الله.

وجـدان الشاعر

النقاد يختلفون في الشعر: أهـو موسيقى أم صـورة شـعرية، وهـل هـو تجربـة شعرية أو صياغة أو معنى، والأمر في ذلك يطول، وقد يكون الشعر هـو مجمـوع ذلك كله.

ولكنى قرأت ديوان شاعر عرفنا عنه ولعه بـالصورة وبالموسيقى معـا إلى ولعه بالنظم في شتى المناسبات الإسلامية، أو هكذا كان شعره، والشاعر هـو عبـد الحميد فارس، والديوان هو "وجدان شاعر"، وعلى الرغم من صغـر مجموعته الشعرية، هـذه إلا أنها حافلـة بشتى ألـوان الموهبـة، وفنـون الإبداع، فـالصورة بجانبها الموسـيقى، والتجربة يؤازرها المعنى والصياغة، والأداء الشعرى يسير في مجـال الطبـع والإلهـام والفن الخالص.

في الديوان نجد: صديقتى الياسمينة - في محـراب الحقـل - وادى النيـل - من وحى البوسنة - الله أكبر (في نصر أكتوبر) - واحـة الحـب - غـار ثـور - إلى جنـة الأحلام - الذكرى؛ وغيرها من القصائد الرفافة الموشاة بروح الشعر وأحماله وعذوبته وبشتى الصور الشعرية الدقيقة، وبالموسيقى المؤثرة والمشجية .. في "الذكرى" يقول الشاعر:

تطـــــير إليـــــك أشـــــعارى
تســـوق بنـــات أفكـــــارى
تطـــــير بـــــدون أجنحـــــة
وطــــــائرة وطيـــــــــار
تطـــــير كأنـــــها بــــــرق
يســــابق لمــــح أبصـــــار
فمـــا تعبـــت ولا وجلـــت
ومـــــن ســــفر لأســــفار
تســائل عنــك ريــح الــورد
فـــــى روض وأزهـــــــار

تســائل عنـــك كـــل الطـــير
فـــي أحضـــان أشـــجار
تســائل عنــك مــوج البحــر
والمجـــداف والســـاري
تســائل عنــك مزهــرا يحنــو
علـــى أنـــات أوتـــار
تســائل عنــك لــون الحــب
يحكـــي حمـــرة النـــار
تســائل صـــارح الإلهـــام
فـــي وجـــدان مزمـــار
تســائل فـــي النــدى قطــرا
علـــى أكمـــام أزهـــار
فيـــاويحي مـــن الذكـــرى
ووبـــح بنـــات أفكـــاري
فجئـــت إليــك يــا قلمـــي
أزفُّ دمـــوع أشـــعاري

القصيدة تتركب من صور جزئية عديدة، تعطينا الصورة العامة أو الكلية لشجي الذكرى وتمتزج فيها الموسيقى الداخلية والخارجية بالصياغة، وبالصورة، وبالتجربة، وبالمعنى في تآلف بديع، واتساق عجيب.

إنها الذكرى حقًا، وماذا وراء الذكرى إلا الحيرة والدموع والتنقل فى صور الكون وأفانين الحياة.

رومانسية تمثل رومانسية الشعراء الرواد، الذين غنّوا للحب، وهاموا بالطبيعة وقاسوا آلام الاغتراب وهموم الشجن والألم والعذاب.

وفى "إلى جنة الأحلام" يردد الشاعر:

حنانيك ليلى مازج الشعر بالهوى
فصارا سلافا فـى كـؤوس مشاعر
وآمـال هيمـان يغـرد طيرهـا
ببستان أحلام مـن الشـوق عـاطر

ألا يا هتافى وشدوى وعبرتى
ترانيم ولهان وألحان شاعر
وأودعها روحا عزيزا قيادها
لها الله من أمسى وآتى وحاضرى
من الألم الرامى يواكب مخدعى
ويسكب من أنغامه فى مزاهرى

ونحن لا نجد صورا تماثل هذه الصور، ولا خيالا يحلق مع هذا الخيال إلا فى القليل، وعند القليل من الشعراء إلى الموسيقى الآسرة الهامسة.

وفى قصيدته "غار ثور" يقول:

وانزاح ليل الشرك بعد ظهوره
فإذا الليالى كلها نهار

وبهذا الطبع الشعرى والصياغة الشعرية المتألقة تسير القصيدة، مع حرص شديد على اختيار الأوزان والقوافى ونوع الحروف.

ويقول شاعرنا فارس فى قصيدته "واحة الحب":

يا مصر يا واحة للحب تؤوينا
مدى ذراعك يا أماه ضمينا
لماءُ نيلك من عالى الجنان أتى
كأنه كوثر الفردوس يروينا
وأخت يوشع تحدونا إذا طلعت
وبدر ليلك إن غابت يناجينا
حقولك الخضر لا تنفك تسحرنا
نوارها لوحة طافت بوادينا

إلى آخر هذه القصيدة، التى لا نجد مجالا للاقتباس الكثير منها.

وفى قصيدته "فى محراب الحقل" صورة من شعر الطبيعة الموشَّى بالجمال والإبداع:

الطير تسبيحاته فى الكون لله السميع
صلواته ألحانه فيها التبتل والخشوع

وبعد فماذا نستطيع أن نقول فى شعر الدين والوطنية والطبيعة والوجدان فى الديوان.

إنه حقًا ينبئ عن شاعر موهوب،

الباب الثانى

مدرسة شعراء المهجر

مدرسة شعراء المهجر

(١)

"مدرسة شعراء المهجر" إحدى المدارس الشعرية في حركة الشعر في العصر الحديث، وهي مدرسة لها سماتها وخصائصها المميزة، ولها مذهبها في فهم الشعر وخطوات التجديد فيه، وقد سبقتها في الظهور مدرسة البارودي وشوقي والزهاوي والرصافي، ثم ظهرت مدرسة شعراء الديوان: شكري والعقاد والمازني، التي حملت راية التجديد ودعت إليه بقوة وحرارة، كما دعا إليه من قبل مطران في هدوء وسلام، وجاء كتاب الديوان (١٩٢١م) ثورة عاصفة على مدرسة المحافظين في الشعر وفي الأدب، من مثل شوقي وحافظ والمنفلوطي، ومن حيث كان المذهب الكلاسيكي الاتباعي هو السائد عند المحافظين (أو ما تسميهم شعراء البعث)، كان المذهب الرومانسي الابتداعي هو السائد في شعر شعراء مدرسة الديوان، ومنذ ذلك الحين اشتهرت مدرسة شعراء المهجر، وذاع شعرها، وصيت شعرائها، في كل مكان، وكان بدؤها في أوائل العقد الثاني من القرن العشرين، ولكن صوتها آنذاك كان خافتا ضئيلاً لا يحس به أحد، ومنذ أوائل العقد الثالث طارت شهرتها، وذاع صيتها في أنحاء العالم الجديد، وفي كل مكان من الوطن العربي الكبير، وخاصة بعد قيام الرابطة القلمية في نيويورك في أبريل/ نيسان عام ١٩٢٠م. وصدر "الغربال" لميخائيل نعيمة أحد أعمدة الرابطة القلمية عام ١٩٢٣م، وكتب العقاد مقدمته، منوها فيها بالكتاب ومؤلفه وبالرابطة القلمية ودعوتها التجديدية في الشعر العربي الحديث، التي تتلاقى مع دعوة مدرسة شعراء الديوان إلى حد كبير، وفي مقدمة العقاد للغربال يقول: "لو لم يكتب قلم النعيمي هذه الآراء، لوجب أن أكتبها أنا"، وهو تأييد كبير لخطى التجديد المشتركة بين مدرستي الديوان والمهجر.

وتلا هذه المدرسة، وبعد فترة قصيرة، مدرسة شعراء أبولو التي قامت في سبتمبر/ أيلول عام ١٩٣٢، حيث أعلن الدكتور أبو شادي قيامها، وظهور مجلتها المشهورة: "مجلة أبولو".

وهكذا شهد الثلث الأول من القرن العشرين قيام مدارس أدبية عديدة، لكل مدرسة اتجاهها وخصائصها، وكانت مدرسة شعراء المهجر من المدارس البارزة بين هذه المدارس المختلفة.

ويرجع قيام هذه المدرسة الشعرية المهجرية إلى هجرة أفواج كبيرة من أبناء البلاد العربية، وبخاصة من سورية ولبنان، إلى العالم الجديد، في أواخر القرن التاسع عشر، وفي أوائل القرن العشرين، حيث نزلوا في كندا والولايات المتحدة وفي دول أميركا الجنوبية، وبخاصة: البرازيل والأرجنتين وشيلي وفنزويلا والمكسيك، ونقلوا اللغة العربية والأدب العربي إلى تلك المهاجر البعيدة، وكان من بين المهاجرين أدباء وشعراء، فأنشأ المهاجرون في تلك الديار النائية أدبا، يعبرون به عن مشاعرهم، وكتبوا شعرا يصورون فيه عواطفهم ومختلف أحاسيسهم وتجاربهم ويتحدثون فيه عن غربتهم وحنينهم إلى الوطن، ويصفون فيه حياتهم وما تعرضوا له من عناء وشقاء وتجارب مريرة مثيرة، وكان أدبهم هذا هو أدب مدرسة المهجر. وشعرهم هو الشعر المهجري الذي أصبح مدرسة شعرية من مدارس الشعر الحديث، وعنى به الأدباء والنقاد عناية كبيرة. وقد ولد هذا الأدب والشعر مع القرن العشرين، ثم نشأ ونما وترعرع وازدهر، حتى بلغ ما بلغ في الثلاثينات وما بعدها.

وتشبه هجرة الشعر العربي إلى أمريكا الشمالية والجنوبية، هجرة الشعر كذلك إلى بلاد الأندلس، في أوائل القرن الثاني الهجري (أوائل السابع الميلادي)، فالشعر المهجري صنو الشعر الأندلسي، كلاهما عاش في بيئة جديدة، وأحدث أثرًا كبيرًا ودويًا ضخمًا في الشعر العربي كله، وكان مدرسة تجديدية كبرى شملت شتى مقومات الشعر وعناصره وأصوله، وإن اختلفت الهجرتان: فالهجرة إلى الأندلس كانت في ظلال دولة عربية قوية قامت هناك، والهجرة إلى العالم الجديد كانت في ظلال حياة المهاجرين الغرباء الضعفاء الذين لا يملكون شيئا من أمور المجتمع الذي يعيشون فيه في أرض العالم الجديد، وإن كانت قيمة الشعر المهجري تكاد تعادل قيمة الشعر الأندلسي: ثراء وشمولا وتجديدا.

ومن أوائل الشعراء الذين هاجروا إلى أمريكا الشاعر ندرة حداد (١٨٨١ – ١٩٥٠م) وقد وصل إلى نيويورك عام ١٨٨٧م، وكان من أعلام شعراء الرابطة القلمية فيما بعد، وكان يعد عميد شعراء العربية في أميريكا[١].

وتبعه رشيد أيوب الذى هاجر إلى نيويورك عام ١٨٩٨م، ويكثر في شعره من شكوى الزمان، حتى لقب "شاعر الدموع"، و"الشاعر الباكى"، وديوانه "أغانى الدرويش" مشهور، ولقب بالدرويش بديوانه.

ثم هاجر نسيب عريضة عام ١٩٠٥م إلى نيويورك وتوفى فيها عام ١٩٤٦، وديوانه "الأرواح الحائرة" معروف، وقد أصدر عام ١٩١٣م فى نيويورك مجلته "الفنون".

وتوالت هجرة الشعراء والأدباء إلى المهجر الأمريكى، وفيه عاش أمين الريحانى (١٨٧٦ – ١٩٤٠م) الذى عرف بصلاته الوثيقة بالمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وكتابه "ملوك العرب"، وكتابه الآخر "تاريخ نجد وملحقاته" مشهوران، وقد شهر بأسلوبه. وهذا الإبداع فى الكتابة، وتحرى الحقائق فيه، مما لا يستغرب من الأستاذ الريحانى. الذى ينظر إلى الأمور بروحه وعقله وقلبه[٢].

وكذلك جبران خليل جبران (١٨٨٣ - أبريل، نيسان ١٩٣١م) الذى صار عميد الرابطة القلمية فى نيويورك، ثم عبد المسيح حداد شقيق ندرة حداد (١٨٩٠ – ١٩٦٣م)، الذى هاجر إلى نيويورك عام ١٩٠٧م، وأنشأ فيها جريدة السائح عام ١٩١٢م، واستمر صدورها حتى أغلقت عام ١٩٥٩م، وكان من أوائل من فكروا فى إنشاء الرابطة القلمية ١٩٢٠م، فى نيويورك .. ثم ميخائيل نعيمة (١٨٨٩م – ١٩٨٨م) مستشار الرابطة القلمية، وصاحب ديوان "همس الجفون". ثم أبو ماضى (١٨٩٠ – ١٩٥٧م)، ثم نعمة الله الحاج (١٨٨٩م) وهاجر إلى أرض المهجر عام (١٩٠٤م) وقد قدم إيليا أبو ماضى ديوانه الأول.

---

[١] يمتاز شعره بنزعة إنسانية، وتعددت موضوعاته: فنظم فى الاجتماعات والإخوانيات والوجدانيات والطبيعة والتأملات، وله شعر قصصي، ومن أجمل شعره التأملي قصيدته: الله، ومن شعره الإنساني قصيدتاه: سر معي، أنا إن مت، ومن شعره الاجتماعي "طابع البريد".

[٢] كما يقول عبد العزيز آل سعود من رسالة له إليه، وصدرت هذه الرسالة من نجد عام ١٩٢٨م (راجع مقدمات كتاب تاريخ نجد وملحقاته) لأمين الريحاني – الصادر عن مؤسسة دار الريحاني ببيروت.

ومن الشعراء الذين هاجروا إلى المكسيك محسوب الخوري الشرتوني (١٨٨٥ - ١٩٣١م)[٣].

ومن المهجريين في البرازيل الشاعر القروي رشيد سليم الخوري الذي توفي في لبنان عام ١٩٨٤م، وهو من مواليد عام ١٨٨٧م، وهاجر إلى البرازيل عام ١٩١٣م، وعاد عام ١٩٥٩م من المهجر، وأقام في قرية "بربارا" في لبنان .. وكذلك قيصر سليم الخوري شقيق الشاعر القروي (١٨٩١م)، وشكر الله الجر الذي هاجر عام ١٩١٩م ثم عاد عام ١٩٦٢م، إلى وطنه، وأخوه فضل الله الجر (١٨٨٥ - ١٩٤٥م)، والياس فرحات (١٨٩٣ - ١٩٧٧م)، وقد هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٠م، وأقام في سان باولو، وكذلك شفيق المعلوف، ورياض المعلوف، وجميل المعلوف، وفوزي المعلوف .. وسواهم.

ومن الشعراء المهجريين في الأرجنتين جورج صيدح (توفي في ١٠ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٨م)، وزكي قنصل، والياس قنصل، .. وسواهم. ومن أعلام الأدباء والشعراء في كندا محمد مسعود[٤].

(٢)

وقد أنشأ شعراء المهجر الشمالي في نيويورك رابطة أدبية لهم باسم "الرابطة القلمية"، وذلك في ٢٠ من أبريل/ نيسان ١٩٢٠م، وكان الذي حمل عبء الدعوة إلى تأسيسها هو عبد المسيح حداد (١٨٩٠ - ١٩٦٣م) مؤلف كتاب "حكايات المهجر".. وكان من الداعين كذلك إليها جبران، وكان من أعلامها: ميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة، ونعمة الحاج، وإيليا أبو ماضي، ورشيد أيوب، وندرة حداد، ونعمة أيوب .. وسواهم.

وتولى جبران رياسة الرابطة القلمية، وكان ميخائيل نعيمة مستشارها. وسجل نعيمة في صدر قانون الرابطة أن "هذه الروح الجديدة التي ترى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار في جميل الأساليب والمعاني حرية في نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة، فهي أمل اليوم، وركن الغد"

---

[٣] راجع في ترجمته ص٦٨٦ - ٦٨٩ من كتاب أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية للشاعر صيدح - طبعة ثالثة بيروت.

[٤] المرجع السابق ص٧١٢ - ٧١٤.

وأصدرت مجموعة أدبية دورية باسمها، أسهم في تحريرها رشيد أيوب[٥]، وقد طبعت مجموعة الرابطة القلمية في نيويورك، ثم في بيروت.

وقد وحدت الرابطة مسعى أدباء المهجر الشمالي وشعرائه في سبيل اللغة العربية وآدابها[٦]، والأدب عندهم يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها، والأديب هو الذي خص برقة الحس، ودقة الفكر، وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير[٧].

وبعد قيام الرابطة صارت جريدة السائح لسانها الناطق، وصدرت أعداد ممتازة منها عن الحركة الأدبية في المهجر، وعن الرابطة ونشاط أعضائها. ويمثل كتاب "الغربال" لميخائيل نعيمة، الذي ظهر عام ١٩٢٣م، وقدم له العقاد، أفكار الرابطة تمام التمثيل، من الدعوة إلى التجديد، وتوجيه النقد إلى مقاييس نقدية جديدة، منبعثة من حاجات نفسية ثابتة، أجملها نعيمة فيما يلي:

١- حاجتنا إلى الإفصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية، من رجاء ويأس، وفوز وفشل، وحب وكره، ولذة وألم، وفرح وحزن، وطمأنينة وخوف.
٢- حاجتنا إلى نور نهتدي به في الحياة، وليس من نور نهتدي به غير الحقيقة.
٣- حاجتنا إلى الجميل في كل شيء.
٤- حاجتنا إلى الموسيقى.

وقد وجه جبران الرابطة وشعراءها نحو الرومانسية المجنحة، وامتد تأثيره إلى الشرق العربي، بشعره الموزون، وبشعره المنثور، وبالشعر المهموس أو شعر المناجاة الذي أوجده في شعرنا الحديث كما يقولون، وإن كان الشعر الصوفي هو الذي سبق به .. وعيب جبران في ثورته على القواعد والتقاليد اللغوية، وكان يقول للمحافظين على اللغة: "لكم منها ما قاله سيبويه وأبو الأسود الدؤلي وابن عقيل، ومن جاء قبلهم وبعدهم، ولي منها ما تقوله الأم لطفلها، والمتيم لسكينة ليله"[٨].

---

[٥] محمد قرة علي: شعر من المهجر، ص٢٤١.

[٦] محمد عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، ص٤٨.

[٧] المرجع نفسه نقلا عن كتاب "جبران خليل جبران" لميخائيل نعيمة.

[٨] محيي رضا: بلاغة العرب في القرن العشرين، ص٥٣.

ومثلت الرابطة نزعات التجديد في الأدب والشعر، ومن ثم كانت مثارا لحركة نقد شديد في كل مكان، حتى من كثير من المهجريين، وخاصة من شعراء العصبة الأندلسية في المهجر الجنوبي[9]، وكانت الرابطة أقرب إلى الرومانسية شكلاً. ولكن طول التأمل وعمق التجربة رفع أدبها وشعرها إلى مستوى عال يطل منه على مستويات العلم والفكر العالمي، وقال نعيمة في مقدمة دستور الرابطة: "ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدبا، ولا كل من حرر مقالا أو نظم قصيدة موزونة بالأديب. فالأدب هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها .. إلخ".

ويقول صيدح: في شعر الرابطيين على العموم معان حنون، لم تلد المحبة الإنسانية أرقى منها.

(٣)

وكذلك أنشأ قيصر المعلوف في البرازيل في أوائل القرن العشرين ندوة أدبية سماها رواق المعري.

وفي سان باولو في البرازيل من أرض المهجر الأميريكي الجنوبي أسس الشاعر المهجري ميشال معلوف جمعية أدبية جديدة سماها "العصبة الأندلسية" وتولى رياستها، وكان قيامها في كانون الثاني/ يناير ١٩٣٢م[10]، ثم خلفه الشاعر القروي. ثم رأسها من بعده شفيق معلوف ابن أخت ميشال[11]، وهو صاحب ديوان "لكل زهرة عبير"، و"ملحمة عبقر"، و"نداء المجاديف"، و"الأحلام"، وهي قصة

---

[9] راجع: إلياس قنصل: أدب المغتربين، ص٥٨ – ٦٩، والرابطة القلمية لنادرة سراج.

[10] ذكر محمد قرة علي في كتابه: إن قيامها كان عام ١٩٢٣م (شعر من المهجر ١٨٥)، ويبدو أن الرقم خطأ مطبعي، وإنه مقلوب ٣٢، وذكر الأستاذ محمد عبد الغني حسن في ص٥٠ من كتابه "الشعر العربي في المهجر" إن قيامها عام ١٩٣٥م، وذكر جورج حسون المعلوف أن مجلة العصبة ظهرت عام ١٩٣٥م (مجلة العصبة عدد كانون الأول – ديسمبر ١٩٥٣م)، ومن هنا كان اللبس في جعل قيام الجماعة نفسها عام ١٩٣٥م. وذكر جورج صيدح أن العصبة أسست عام ١٩٣٢م، وإن مجلتها ظهرت في العام التالي أي عام ١٩٣٣، وذكر الدكتور عيسى الناعوري أنها أسست في كانون – يناير عام ١٩٣٣م. وذكر إلياس قنصل في كتابه أدب المغتربين (ص٣٨ وما بعدها) أن العصبة ظهرت عام ١٩٣٣م، واتخذت مجلة الأندلس الجديدة لشكر الله الجر لسانا لها، وفي عام ١٩٣٤م ظهرت مجلة العصبة التي استمرت عشرين عاما، وكذلك ذكر توفيق ضعون في كتابه ذكرى الهجرة (ص١٩٣ – ١٩٦) إنها قامت عام ١٩٣٢م، وذكر الشاعر المهجري رياض معلوف في مجلته التي كانت تصدر بباريس أن قيام العصبة عام ١٩٣٣م، والتاريخ الصحيح هو ما ذكرناه.

[11] مجلة العصبة عدد كانون الأول – ديسمبر ٧، ٨ عام ١٩٥٣م.

خيالية اجتماعية، ومن أسرتهم الشاعر فوزي المعلوف (١٨٩٩ - ٧ يناير/ كانون الثاني ١٩٣١م)، صاحب ملحمة "بساط الريح" التي قدم لها الشاعر الأسباني "فيجاسياسيا" وكذلك رياض المعلوف، وجورج حسون المعلوف، الذي قدم دواوين الياس فرحات وقد مات عام ١٩٦٥م.

وقد اتسمت حركة العصبة الأندلسية الأدبية بالهدوء والاتزان، ويشير اسم "العصبة الأندلسية" إلى مدى تأثر المهجريين بالأدب والشعر الأندلسي، وبخاصة الروح الغنائي والموسيقي والعذوبة الفنية في الموشحات، التي بلغت نهاية الترف والجمال، وقد تولى رياسة تحرير مجلة العصبة الأديب المهجري حبيب مسعود، الذي كان يلقب بابن مقلة العصر، وكان أحد أركانها الشاعر القروي، وفي عام ١٩٤٢م حظر في البرازيل صدور صحف بغير اللغة البرازيلية فتوقفت "العصبة" ثم عادت عام ١٩٤٧م للصدور وظلت تصدر حتى عام ١٩٥٣م، وبعد توقفها عمل رئيس تحريرها حبيب مسعود رئيس تحرير لجريدة "المراحل" التي كانت تصدر في سان باولو في البرازيل.

ويقول شفيق المعلوف يخاطب إخوانه في "العصبة الأندلسية" من قصيدته "الخرساء":

لك الله في أصقاع (كولمب) عصبة
تناضل عن حوض البيان المهدد
لنا اللغة المثلى متى انهار سورها
بصرح دعمناه بصرح ممرد

وفي قصيدته التي أهداها إلى إخوانه في "الرابطة القلمية" يقول:

أناشيدنا تلك التي تكبرونها
بدأتم بها أنتم بأروع مطلع
وإن لواء نحن قمنا نهزه
خفوقًا على حصن البيان الممنّع
لواء ظفرتم أنتم باكتسابه
ونحن ركزناه بأرفع موضع

ولقد فسر حبيب مسعود معنى تسمية جماعتهم هذه بالعصبة الأندلسية فقال: إنه التيمن بالتراث الغالي الذي تركه العرب في الأندلس، والإشارة إلى الابتعاد عن التطرف الذي اتسمت به "الرابطة القلمية"[12].

وقد حدد الأعضاء مبادئ العصبة بتعزيز الأدب العربي، وتآخي الأدباء ورفع مستوى اللغة العربية، ومكافحة التعصب[13]، وكان نظير زيتون، أمين سر العصبة.

وكتب شفيق معلوف معرفا بالعصبة وغاياتها فقال: "إن أركانها أجمعوا على النضال في سبيل الأدب من حيث هو فن وجمال، دون ما نظر إلى إطار أو مصدر، فلا اغتراف من معين ينبوع منشود، ولا تمسك بفرع من فروع الشعر محدد، ومن أميز ما اتسم به أدب العصبة وشعر شعرائها إنهم ترسموا أساليب الفصحى، وتقيدوا بأحكامها، ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، كما أنهم جالوا في مضمار التجديد صامدين بأدبهم دون فوضى التجديد"، وفي عدد مجلة العرفان الصادر عام ١٩٦٤م ص١١٢٣ يذكر حبيب مسعود نقلا عن كتاب "المغتربون" لعبد اللطيف اليونس من المهجريين في الأرجنتين ظروف قيام العصبة بالتفصيل[14]، وكان من أعضائها آل معلوف. والشاعر القروي، وحبيب مسعود، ونظير زيتون، والشاعر القروي، وشقيقه قيصر الملقب بالشاعر المدني، وإلياس فرحات .. وسواهم.

وفي مجال الموازنة بين أدباء العصبة وأدباء الرابطة تجد أدباء العصبة أكثر تمسكا بالديباجة المصقولة، والعبارة الجميلة والجرس القوي، أما أدباء الشمال، أدباء الرابطة، فلم يظهروا اهتمامهم باللغة.

(٤)

ولما هاجر الدكتور أبو شادي إلى نيويورك في أبريل/ نيسان عام ١٩٤٦م، واستقر به المقام فيها أنشأ عام ١٩٤٨م، رابطة أدبية سماها "رابطة منيرفا"، كما قامت عام ١٩٤٩م في عاصمة الأرجنتية رابطة باسم "الرابطة الأدبية"، ولكنها اختفت بعد

---

[12] أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية ص٣٨٢.

[13] المرجع السابق ص٣٨٤.

[14] ومن أرقى ما كتب عن قيام العصبة الأندلسية مقال بقلم عمر الدقاق نشر في مجلة المعرفة السورية (عدد أكتوبر – تشرين الأول ١٩٦٨م)، وكذلك كتب العقاد عن العصبة في مجلة قافلة الزيت مقالا نشر فيها عام ١٩٦٤م.

عامين، وكان الذى أنشأها هو الشاعر المهجرى جورج صوايا. وفى سان باولو فى البرازيل قامت أيضًا "جامعة القلم".

(٥)

ولقد تأثر الشعراء المهجريون بالآداب العربية القديمة والحديثة، وبمختلف المدارس الشعرية الجديدة، خاصة مدرسة شعراء الديوان، والعقاد هو الذى قدم كتاب "الغربال" لميخائيل نعيمة إلى القراء، وفى هذا التقديم ثناء من العقاد على أدباء المهجر وشعرائه الذين فكوا عن القرائح قيود التقليد.

وكذلك تأثر المهجريون بشعراء "مدرسة أبولو"، وأثروا فيها أيضًا، وكذلك بشعراء مدرسة البعث، وفى مقدمتهم شوقى وحافظ ومحرم والزهاوى والرصافى، وكان للمتنبى والمعرى والخيام أثر كبير فى شاعريتهم وفى شعرهم، وقد نزع بعض المهجريين إلى تقليد قصائد الشعراء القدامى والمحدثين ومعارضتها، كما فعل رشيد أيوب فى معارضته لدالية الحصرى "يا ليل الصب"، وكما فعل وديع عقل فى معارضته لقصيدة على بن زريق البغدادى:

لا تعذليـــه فــإن العــذل يولعـــه
قد قلـت حقـا ولكـن ليـس يـسمعه

وكما فعل محبوب الشرتونى فى قصيدته فى وصف الحمى التى عارض بها قصيدة المتنبى المشهورة:

ملاكمـــا يجــل عــن المـــلام
ووقـــع فعالـــه فـــوق الكـــلام

ويقول فوزى المعلوف:

خــل البــداوة رمحــها وحســامها
والجاهليـــة نوقـــها وخيامـــــها

ويعارضه إلياس فرحات بقصيدة[١٥] يقول منها:

خــل البــداوة نوقــها وحســـامها
والجاهليـــة رمحـــها وحســـــامها

---

[١٥] ص٢٥٥ ديوان فرحات – سان باولو بالبرازيل عام ١٩٣٢م.

حيتـك أشـباح القديـم وسـلمت

فمـن العدالـة أن تـرد سـلامها

وللمهجريين الشماليين من سعة الأفق، وشدة الانطلاق نحو التجديد، ما لم يعرف لسواهم من المهجريين، من حيث جنح شعراء المهجر الجنوبي إلى المحافظة على عمود الشعر والبلاغة العربية، وأكثرهم موزعون بين البرازيل والأرجنتين.

وجال شعراء الشمال في كل فن، وقالوا في كل غرض، وفاض شعرهم بمختلف النزعات الكلاسيكية والرومانسية والرمزية والسريالية والواقعية وغيرها، وظهر التحرر التعبيري في شعر نسيب عريضة وميخائيل نعيمة وجبران أكثر مما ظهر في شعر غيرهم، وصار شعراء الرابطة القلمية أكثر حرية في اللغة، وتجديدًا في الألفاظ والأساليب.. من حيث وقف شعراء المهجر الجنوبي عند حدود المحافظة على اللغة والأسلوب.

وكان تجديد المهجريين في الأوزان الشعرية واضحًا، فقد كتبوا الشعر على طريقة الشعر المنثور، أو النثر الشعري، واستهوتهم الموشحات الأندلسية بجمالها، فنظموا على منوالها الكثير من قصائدهم، لكثرة أوزانها، وللحرية الكبيرة في تخير قوافيها، وكان جبران يقول: إن تعدد الأصوات يزيد في وقع القصيدة ومداها، ويسترعي انتباه القارئ، أكثر من الصوت الواحد(١٦). وقد أكثر عن ألفاظ المهجريين وتراكيبهم، ويرى أنها ليس لها مثيل في الشعر الحديث(١٧)، ويذكر أن تمنع الشعر المهجري على لغة الشعر التقليدية، وركونه إلى التعبير المباشر القوي، هما من حسناته، لأن ذلك هو الطريق الوحيد الذي كان لابد للشعر المهجري أن يسلكه لكي يفلت من الصنعة إلى الصدق، ولكن يعود إلى الحياة(١٨).

ويجمل الدكتور عيسى الناعوري(١٩) حركة التجديد في الشعر المهجري امتدادا للانطلاقة الأندلسية الشعرية، التي ظهرت في موشحات الأندلسيين وتمثل هذه الحركة في رأيه مرحلة العمق والبساطة في الشعر العربي وجعل الشعر فنا يعبر

---

(١٦) ١٦٠ جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة – ومن الموشحات المهجرية قصيدة "يا نفس" لجبران.

(١٧) ٥٧، ٥٨ في الميزان الجديد – مندور – طبعة ثانية.

(١٨) المرجع السابق، ص١٦٩.

(١٩) عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص٣٢٧، طبع دار المعارف في مصر/ عام ١٩٥٩م.

عن خلجات النفس ونوازع الحياة، دون افتعال أو زخرفة لفظية. وقد ساعد على إيجاد هذه الحركة الجو الجديد الذى عاش فيه شعراء المهجر، والآداب الغربية التى اتصلوا بها وبأصحابها، والحرية الواسعة التى امتلأت بها نفوسهم. وبواسطة اطلاعهم على الشعر العالمى فى مختلف اللغات استطاعوا أن يجمعوا بين قوة المعانى وصدق التعبير، وبراعة الصورة، وبساطة الصياغة، وموسيقيتها، وإلى جانب الشعر الكلاسيكى المحافظ الذى أغنوه بجمال المعانى الجديدة، جاءوا بشعر جديد آخر جميل، غنى بالموسيقى والألوان والصور الحية البديعة، وقد أشار د./ الناعورى إلى صنع شعراء المهجر فى أوزان الشعر وموسيقاه، وإلى تلاعبهم بالتفعيلات، وإيثار بعضهم بناء القصيدة على تفعيلة واحدة، وإلى تنوع القوافى فى قصائدهم، وإلى أثر هذا فى موسيقى الشعر، ويرى أن صنيعهم هذا حفظ للشعر العربى موسيقيته الفنية.

ويجعل "صيدح" الموهبة الفطرية هى مفتاح السر فى تفوق أدب المهجر وشعره، مع الجد والاجتهاد والتأمل العميق.

وقد استلهم المهجريون روح الشرق فى شعرهم استلهاما عجيبا، يقول أبو ماضى:

أنـا فـى نيويـورك بالجسـم وبـالر
وح فى الشرق على تلك الهضـاب
أنـا فـى الغوطـة زهـر ونـدى
أنـا فـى لبنـان نجـوى وتصـابى

ومع ما بين الشماليين والجنوبيين من فوارق، جمعت بينهم الغربة والبيئة الجديدة وقرابة الفكر، فالتقوا جميعًا على صعيد الإنسانية الفسيحة، ومثلها العالية، إخوانا متحابين.

ويقول محمد عبد الغنى حسن: إن المهجريين استطاعو أن يحتفظوا بشخصيتهم العربية التى تعبر عنها لغتهم أصدق تعبير، واستطاعوا أن يبنوا للغة عدنان كيانا قائما فى المهجر، على الرغم مما أدخلوه عليها من غرائب الغرب فى الاستعارات والمجازات والتشبيهات والكنايات وغريب الخيال[٢٠].

---

[٢٠] مقدمة الشعر العربى فى المهجر.

ويرى الشاعر الكبير عزيز أباظة[31] أن المهجريين لم يفتحوا آفاقا جديدة فى الفن عجز عن الصعود إليها إخوانهم فى لبنان.

وقد يدافع عنهم بعض النقاد بأنهم مع اقتناعهم فى توليد المعانى الطريفة وإلباسها ثوبا من الأخيلة الجميلة فى المجازات والتسبيهات والاستعارات والكنايات - قد نظموا القصة الشعرية، والكثير من الأساطير والخرافات والحكايات الإنسانية التى احتذوا فيها حذو لافونتين وأبسون، وكثرت فى شعرهم الرحلات الخيالية إلى السماء والعالم الآخر، كما نجد فى ملحمة "على بساط الريح" لفوزى المعلوف، وملحمة "عبقر" لشفيق معلوف، مما تأثروا فيه ولا ريب بالمعرى فى "رسالة الغفران" وبدانتى فى "الكوميديا الإلهية"، و"شاطئ الأعراف" للهمشرى، و"ترجمة الشيطان" للعقاد، و"ثورة الجحيم" للزهاوى، وبالقصص الشعرى الذى أكثر من النظم فيه شوقى وحافظ والرصافى وأبو شبكة، ومطران، وشبلى الملاط، وخليل شيبوب، وبشارة الخورى، وخير الدين الزركلى، وإبراهيم ناجى، وعلى محمود طه، .. وسواهم.

ومن المعانى الجديدة قول فرحات:

كل من راقب الظلام مليا
ظن عينيه كوكبين تائهين

ويقول شفيق معلوف فى وصف عين الشيطان:

كأنما محجرها كوة … يطل منها الزمن الغابر

ويقول أبو ماضى:

فإذا رآنى ذو الغباوة دونه
فكما يرى فى الماء ظل الكوكب[32]

وأحاط المهجريون كذلك بالكثير من ثقافات العرب، وأميركا، وألموا - مع العربية - باللغتين الانجليزية والأسبانية. وكان حظ شعراء المهجر من الانتفاع بالشعر الأميريكى غير قليل.

---

[31] المرجع السابق ص١٨.

[32] راجع: الشعر العربى فى المهجر، ص٦١.

وقد وقفوا بين روح الشرق وروح الغرب موقف المؤمن بالتراث، والمستفيد من كل جديد، فكثرت في شعرهم معاني الحرية والدعوة إلى الإخاء والمساواة. ووقف بعض المهجريين من القديم والجديد موقفا وسطا، أخذوا من القديم وأخذوا من الجديد، وتوسطوا في الأمر بين التجديد والتقليد، فلهم كلاسيكية حافظ وشوقي وأحمد محرم وبشارة الخوري، ولهم رومانسية حالمة مجددة، ورمزية، وسيريالية كذلك، ينزعون نحو المذاهب الغربية في الأدب والشعر والفن.

ولقد كان شعراء "الرابطة القلمية" أكثر إسرافا في التجديد والدعوة إليه، وتوزعت آراء الشعراء المهجريين في الجنوب بين التجديد والتقليد، وهكذا مثلت "العصبة الأندلسية" موقف المحافظ المعتدل المتطلع ببصره تارة نحو القديم، وأخرى نحو الجديد، ويمثل الرأي المحافظ في العصبة أمثال: الشاعر القروي وإلياس فرحات، بينما يمثل رأي الداعين للجديد والمتمردين على القديم أمثال فوزي المعلوف في البرازيل، وجورج صوايا في الأرجنتين: وكذلك نعمة قازان الذي يقول:

فقلتم: يقول النحاة، فقلت
لقد كان ذلك في البصرة
مضت بالنحاة حدود الزمان
ومر خيالي وعقليتي؟
لقد حددوها لأفكارهم
فضاقت، وزمت على فكرتي
فقلتم: يقول الكسائي، فقلت
وجبران قال على صحة

وعندما يأخذون معاني القدماء يصوغونها بلباقة. يقول أبو العتاهية:

وكانت في حياتك لي عظات
وأنت اليوم أوعظ منك حيا

فيقول أبو ماضي:

يعظ النابغ الخلائق حيا
إنما موته أجل عظاته

ويقول زكي قنصل[٣٣]:

أفهم الشعر حرا من كل قيد ترابي، نظيفا من كل درن ورائي، أفهمه قيثارة مختلفة الأوتار، متعددة الأصوات، تتماوج بألحان السماء وأهازيج الحياة .لكنه يعود ويستدرك على ذلك في قصيدته التي صدر بها الديوان، وعنوانها "رجعي"[٣٤]، وفيها يقول:

أنا يا قوم رجعي
أحب الفن للفن
أنا في الأنس جني
وأنسي مع الجن
أقول الشعر تفريجا
لما في النفس من ألم
كبت قدمي فلم أحزن
وأحزن إن كبا قلمي

ويقول في قصيدته "شوقي"[٣٥]:

يا هازئين بشوقي لا ألومكم
ما قيمة الشمس في رأى الخفافيش
جناح شوقي مراقي النجم مسبحه
فكيف يدركه ديك بلا ريش
شوهتمو صفحة الفصحى ولم تدعوا
في الشعر قاعدة من غير تشويش

ولقد نظم المهجريون في الحرية، وفي الفخر بالشرق والعرب، وفي الابتهال إلى الله وتقديس أنبيائه، وفي الكفاح في سبيل الحياة، وفي وصف الطبيعة، وفي

---

[٣٣] ص٨ مقدمة ديوان "ألوان وألحان"، طبع بيونس آيرس، الأرجنتين عام ١٩٧٨م.

[٣٤] المرجع السابق، ص١٧

[٣٥] المرجع السابق، ص١٦٠.

الحيرة، والتساؤل والتأمل، وفي البكاء والألم، ونظموا القصة الشعرية، ونظموا وأبدعوا في الحنين إلى الوطن، وغلب على شعرهم الطوابع الآتية:

١- الطابع العاطفي الذي يتجلى رقة في العاطفة ما بعدها من رقة، حيث الشوق والحنين إلى الوطن البعيد.

٢- الطابع الروحي، ويتمثل في مناجاتهم لله، وحبهم للطبيعة، وهيامهم بالجمال.

٣- الطابع التأملي كما في "الطلاسم" لأبي ماضي وغيرها.

٤- الطابع القومي، مما يتراءى لنا في وطنيات أبي شادي.

٥- الطابع الإنساني، وهو كثير في شعرهم.

ولم يقطع الشعر المهجري صلته بالشرق أو بالعروبة أو بالإسلام، فجميعها مؤثرة عليه من جوانب كثيرة، مما يشمل الوطن والسياسة والدين.

وما كتبه القروي من شعر في رسولنا الأمين محمد - ﷺ -، وقصيدة إلياس قنصل عن النبي العربي الكريم، خير مثل لإيمانهم بقدسية الرسالات وجلالها. وقد نوه مندور بما في الشعر المهجري من تلك اللهفة الروحية التي وجهت أجدادنا[٣٦]، ودافع العقاد عنه لأنه ثمرة أربعين عاما، ولأنه ثروة للغة العربية، ويدافع صيدح عن المهجريين بأن تجديدهم الأهم كان في الفكرة والموضوع، وقد انعكس هذا التجديد على الأساليب والموسيقى الشعرية.

وفي الشكوى من آلام الغربة ومشتقاتها، وفي الحنين إلى الوطن، يبلغ الشاعر المهجري الغاية، التي لا مزيد بعدها لمستزيد.

وإذا أردنا الشواهد على كل ما قلناه فهي كثيرة لا يعجز عنها أحد ولو ذكرت بعضا منها لأطلت ومللت، وحسبي هنا أن أنقل عن زكي قنصل من قصيدة له[٣٧]:

حتام أختنق غصاتي وانتظر
طال الطريق وأوهى عزمي السفر
جارت علي النوى واستنزفت كبدي
فكيف يضحك في قيثارتي وتر؟

---

[٣٦] مجلة الثقافة المصرية عدد أبريل (نيسان) ١٩٤٣م.

[٣٧] ألوان وألحان، ص٩٧.

يا شام لولا طلاب المجد ما انتثرت
في الشرق والغرب هذى الأنجم الزهر
يا شام باسمك كم غنوا وكم هزجوا
ويعلم الله كم أنوا وكم زفروا
لم يهجروك، برغم البعد، ثانية
شتان شتان من غابوا ومن هجروا

أو أنقل عن أبي شادي قوله[٣٨]:

يكي الربيع طروبا في مباهجه
وقد بكيت أنا حبي وأوطاني
أنا الغريب وروحي شاركت بدني
هذا العذاب بأشواقي وأحزاني
فيم العزاء، ولا قلب ألوذ به
ولا حنان يناجيني كتحناني
لي في ثرى مصر دمع نائح ودم
أذيب من مهجتي اللهفى ونيراني
تركته مثل غرس الحب ما ذبلت
أزهاره أو أغاثت روح لهفان
أشمها في اغترابي حين تلذعني
ذكرى الشباب وذكرى عمري الفاني

ويقول حليم دموس في الغربة والاغتراب:

هجر الروض وعاف الثمرة
وليالي أنسه المزدهرة
كان في موطنه معرفة
وهو في الغربة أمسى نكرة

[٣٨] راجع: رائد الشعر الحديث للخفاجي.

ومضـــى يضـــرب فـــى آفاقــــها
ولســـان الدهـــر يـــروى خـــبره
بحيــــاتى هــــاجر مغـــــترب
غـــالب الدهـــر ولاقـــى عـــبره
وهـــو فـــى الفجـــر ينـــاجى شمســـه
وهـــو فـــى الليـــل ينـــاجى قمـــره
أدر الدفـــــة يـــــا ربانــــــها
فـــالحمى حـــن إلى مـــن هجـــره

إيليا أبو ماضى

ابن المحيدثة، تلك القرية الوادعة، النائمة فى أحضان الجبل الأشم .. إيليا أبو ماضى الشاعر الذى ودع الحياة منذ ثلث قرن من الزمان .. مازلنا نذكره، ونذكر إقامته فى عاصمتنا الثانية أحد عشر عاما، امتدت من عام ١٩٠١، حتى عام ١٩١٢م، أى منذ أن كان فى السنة الثانية عشرة من عمره، حتى بلغ الثالثة والعشرين.

وموسيقى أبو ماضى، وطيوف القصة وملامحها فى شعره وشتى ألوان الجمال التى يصبغ بها شعره، وروح البساطة والصدق التى ترفرف على قصائده، ومضامينه الشعرية المستمدة من الحياة والطبيعة .. كلها من عناصر الشاعرية الملهمة التى عرف بها أبو ماضى، والتى أكسبته المجد والخلود.

وهذه الموسيقى الحلوة إنما اكتسبها الشاعر من شعراء الإسكندرية، ومنحته إياها طبيعة هذه المدينة الساحرة، ففى الإسكندرية كان يعيش جماعات من الشعراء، أثروا الشعر ونهضوا به، ووهبوه الرقة والعذوبة والجمال، مما ظهر أثره فى موسيقى الشعر الإسكندرى عمومًا، وشعر أبى ماضى على وجه الخصوص.

ومن بين هؤلاء الشعراء: خليل شيبوب (١٨٩٢ ١٩٥١) وصديق شيبوب (١٨٩٤ - ١٩٦٥)، وعبد الرحمن شكرى (١٢ أكتوبر ١٨٨٦ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨)، ومحمد فضل اسماعيل، وعبد اللطيف النشار، وعتمان حلمى، وعلى الغزبى.

والأقصوصة الشعرية ظهرت كذلك فى شعر الإسكندرية، وكانت "مجلة أنيس الجليس" التى تصدر فى الإسكندرية ميدانًا خصبًا لقرائح الشعراء الذين كانوا ينظمون الشعر فى الثغر.

هذا وقد ظلت تصدر فى الثغر وقتا غير قصير، ولقد نظم أبو ماضى فى الإسكندرية الكثير من القصص الشعرية، كما نظمها سواه من الشعراء .. مما يظهر لنا من ديوانه "تذكار الماضى" الذى نشره فى الإسكندرية عام ١٩١١م، والإسكندرية على أية حال هى الملهمة له بموسيقاه وبقصصه الشعرية الجميلة.. كان فيها يعمل فى التجارة، ويهوى الأدب، ويحضر ندواته ومجالسه، وينظم الشعر، ويشارك الشعراء فى تذوقه.

وأصدر أبو ماضي في المهجر "ديوان إيليا أبو ماضي" عام ١٩١٦، وطبعه في نيويورك ويشمل ألوانًا من شعره القصصي والتأملي والعاطفي .. ثم نشر عام ١٩٢٧م ديوان الجداول الذي طبع في نيويورك، وقدم له ميخائيل نعيمة. وفي عام ١٩٤٦ نشر ديوان الخمائل .. وكل هذه الدواوين تحمل طابع الإسكندرية وإلهامها وسحرها .. أما ديوانه "تبر وتراب" فقد صدر بعد وفاته.

إن طفل المحيدثة، والشاب الذي عمل في دكان سجاير في الإسكندرية وعشق الأدب والشعر فيها، وشاعر الطلاسم والطين ووطن النجوم، مدين لحياته في الإسكندرية، التي ألهمته النبوغ والشاعرية والموسيقى والروعة، مما صار به أبرز شعراء المهجر الأمريكي وأسيرهم شعرا، وأظهرهم في بساطة الأسلوب، وإنسانية الموضوع .. بجانب ما أخذه عن أساطين الرابطة القلمية، من أمثال جبران ورشيد أيوب وميخائيل نعيمة، وسواهم.

ومع ذلك كله فقد استبقى من حياته في الإسكندرية عدة عناصر، من أهمها السهولة الفائقة التي اتسمت بها ديباجته، وهي التي أثرت عن شعراء مدرسة الإسكندرية من مثل خليل شيبوب وصديق شيبوب وعتمان حلمي، ومنها الصناعة الفنية، وقد حرص إيليا أبو ماضي عليها برقتها وعذوبتها، مما تأثر فيها بخليل مطران وبغيره من شعراء الإسكندرية الملهمين.

وحياة أبي ماضي بتفاصيلها في ثغرنا الجميل كانت مجهولة لولا الأستاذ عبد العليم القباني الأديب الإسكندري المعروف، الذي ألف كتابا سماه "إيليا أبو ماضي - حياته وشعره بالإسكندرية" فأبان المجهول من أسرار هذه الحياة التي لم يكن أحد يعرف عنها شيئا، وبفضله نستطيع أن نحيط بكل التفاصيل المجهولة لحياة أبي ماضي الأولى.

ولا شك أن تأثير هذه الحياة في شعر أبي ماضي، وفي نظراته ومذهبه في الحياة .. ظل ملازمًا له .. إلى وفاته في نيويورك في خريف عام ١٩٥٧، بعد أن وضعته مواهبه في صفوف الملهمين الرائدين، من الشعراء الخالدين.

ميخائيل نعيمة

مات آخر أعضاء الرابطة القلمية، وأحد أعمدتها، وأديب من أشهر رواد النهضة الأدبية العربية الحديثة، وهو ميخائيل نعيمة صاحب التسعة والتسعين عاما التى عاشها فى حقل المعرفة الإنسانية. (١٨٨٩ - ١٩٨٨).

وفى آخر حديث أجراه معه محرر مجلة "فكر وفن" الألمانية (عدد ٤٥ لعام ١٩٨٧ - الطبعة العربية) يقول نعيمة:

"لقد عبرت فى ديوان "همس الجفون" عن كثير مما كنت أحب أن أقوله، وإذا كان لى من كلمة أوجهها للشعراء الجدد فهى أن يحافظوا على الوزن، لا بأس بتعدد القافية، ولكن إذا استغنينا عن الوزن لم يبق ما يدعو للتمييز بين الشعر والنثر".

ويأسى نعيمة لأن جائزة نوبل حرم منها مثل طه حسين ومنحت لكاتب يهودى مشعوذ يستعمل لغة ميتة للتعبير عن طلاسمه، يدعى اسحاق سنجر.

ويقول نعيمة: "عشت جميع مآسى القرن، وأنا من الذين يقولون: إن المأساة تصنع الأمم، ووراء كل بلد عظيم مأساة، لقد صنعت مأساة فلسطين العرب، أخرجتهم من الصحراء ليوجهوا العالم بكلمات قوية".

لقد كتب الشعر والقصة والرواية والمسرحية والسيرة وكان اهتمامه الفكرى ينصب على معالجة قضايا الإنسان، وقد انقطع عن الكتابة منذ ثلاث سنوات قبيل احتفاله فى تشرين الأول من عام ١٩٨٦ بعيد ميلاده السابع والتسعين.

وفيما بين تشرين الأول ١٨٨٩ والخامس والعشرين من فبراير ١٩٨٨ عاش نعيمة، وأبدع أدبه، وتألق فى فكره، ويقول: عندى ثلاثون كتابًا، أهمها (مرداد) لو لم أؤلف سواه لكفى، وعندما أمثل بين أيدى الديان لن أحمل كتبى معى، بل سأقول: لست أنا الذى ألفتها لأنها قد تمثل شهادات ضدى. ونحن نقرأ فكر نعيمة وأدبه فى مثل: زاد المعاد كرم على الدرب مهب الريح دروب البيادر صوت العالم النور والديجور - المراحل، وفى قصته الطويلة "لقاء"، ومسرحيته "الآباء والبنون". وفى كتابه "مركو" الذى كتبه بالانجليزية وترجم إلى العربية، وفى سيرته الذاتية "سبعون" ذات الثلاثة الأجزاء التى كتبها وهو فى السبعين من عمره، وفى كتابه

"الغربال" الذى صدر عام ١٩٢٣ في نيويورك بمقدمة بقلم العقاد. وقد وصل الغربال بين الرابطة القلمية ومدرسة الديوان، ويشارك "الديوان" الصادر عام ١٩٢١ في نقد المدرسة المحافظة ووضع مناهج جديدة في الشعر والنقد، وأولى مقالات نعيمة النقدية نشرت في مجلة "الفنون" التي كانت تصدر بالعربية في نيويورك، وكان المقال عن "الأجنحة المتكسرة" لجبران.

وقد عاش نعيمة في المهجر واحدا وعشرين عامًا (١٩١ - ١٩٣٢)، حيث أقام بعد عودته إلى وطنه في منزله في بسكنتا في ضاحية تعرف بالشخروب، حيث أطلق عليه القصاص اللبناني توفيق يوسف عواد في منتصف الثلاثينات لقب ناسك الشخروب، وثار نعيمة على هذا اللقب وقال: أنه ليس ناسكا معتزلا للحياة والناس، إنما هو كاتب يستقى تجاربه من حياة الناس والمجتمع.

وكتاب نعيمة عن جبران من أجمل كتب السيرة، وهو يقول: جبران رسام أولاً وكاتب ثانيًا، وقد صورته في الكتاب كما عرفت تمامًا، لا كما ظنه بعض الناس بأنه أسطورة، لقد عشت معه خمسة عشر عاما، وكنا أصدقاء يتأثر أحدنا بالآخر فلا مجال للقول أينا أكثر تأثرًا بالآخر.

كان نعيمة الأديب الوحيد الباقي على قيد الحياة من أعضاء الرابطة القلمية التي قامت في نيويورك عام ١٩٢٠م، وكان جبران عميدا لها ونعيمة أمينا لسرها، وكان من أعضائها: نسيب عريضة، ورشيد أيوب، وأبو ماضي، وعبد المسيح حداد.

وانتهت الرابطة القلمية وجبران وزملاء جبران وبقي نعيمة حتى فاضت روحه، وهو يحمل آثار السنين، وكفاح إنسان عاش عصرًا طويلاً، متعبدًا في محراب الفكر والأدب والجمال.

زكى قنصل
أحد أعلام شعراء
المدرسة المهجرية المعاصرة

(١)

زكى قنصل من معالم الحركة الشعرية المعاصرة فى المهجر الأمريكى الجنوبى، حيث يقيم فى بيونيس ايريس بالأرجنتين منذ وقت طويل، ويتميز شعر زكى قنصل بالموسيقى وروح العروبة وبالصور الجميلة، والأخيلة الساحرة، وبأنه يمثل تمام التمثيل روح شاعر فنان أصيل موهوب.

ولزكى قنصل دواوين كثيرة، آخرها هو ديوان "ألوان وألحان" الذى صدر عام ١٩٧٨ فى بيونيس ايريس، وذلك بعد دواوينه الأربعة التى أصدرها من قبل، وهى:

شظايا - نور ونار - عطش وجوع - سعاه.

ولدى الشاعر عدة دواوين أخرى مخطوطة لا تزال تحت الطبع.

والشاعر من أخصب شعراء المهجر الأمريكى الجنوبى، وهو ولفيف من الشعراء المهجريين، يقيمون فى أمريكا الجنوبية، فى البرازيل، والأرجنتين، وشيلى، وغيرها، وقد طارت شهرتهم وذاعت شاعريتهم، واشتهر شعرهم فى كل مكان.

ويمثل زكى قنصل الشاعر تيار الشعر المحافظ الأصيل، تيار الكلاسيكية العمودية، الذى يحترم الأصالة والموهبة والتقاليد الفنية العمودية للقصيدة الشعرية، ويحافظ عليها ويدعو إليها، ويقف فى مواجهة الشعر الجديد، ويعلن رفضه له بكل مناهجه وأشكاله، حتى لقد كتب على الديوان: (شعر تقليدى رجعى فيه كل عيوب الشعر "القديم).

والشعر عنده كما يقول:

الشـــعر وحـــى وإيمـــان وعاطفـــة

فمـــن يكـــن عـــاطلا منـــهن فليـــذر

لا خير في القول تهذارا وشعوذة

شتان بين بريق الآل والمطر

بل الشعر عنده هو حياته، وأعز ما يحرص عليه:

كرست للشعر عمرى لا أخون له

عهدا، ولا ارتضى في حبه بدلا

قل للذين على أقداسه وغلوا

طريق عبقر مسدود لمن وغلا

ليهزأ الشعر من رهط إذا نظموا

عصى البيان هوانا وانطوى خجلا

ولقد تأثر الشاعر بالشعر العربي القديم، وبشعر المتنبي خاصة، وبالشعر الحديث، وبشوقي من بين الشعراء، وبمدرسة المهجريين في الشمال والجنوب، وكان امتدادًا نبيلا لمدرسة المحافظين من الكلاسيكيين الجدد، ذوى الموهبة والأصالة والطلاوة والطبع والشاعرية. وشوقي هو أكبر رواد هذه المدرسة التي تحافظ على عمودية القصيدة، وتهتم بالتراث الشعرى، وتولى القافية عنايتها، وقد تراوح شعره بين القصيدة والموشحة، ويولى الموضوعات الجديدة عنايته، ويهتم بالأسلوب والصياغة، ويرجع إلى الشعراء القدامى والمحدثين والمعاصرين، ويفيد من شاعريتهم ومن تجديداتهم.

والشاعر يرجع إلى المتنبي طويلاً، يتأثر به ويأخذ عنه، ويرجع إليه، وفي الديوان قصيدة - من أطول قصائده - عن المتنبي، يقول فيها مخاطبًا المتنبي:

قبست منك أماثيلا غلت ثمنا

إن كان غيرى لم يعرف لها ثمنا

ويقول فيها كذلك يصور مدى اهتمامه بديوان المتنبي وقراءته له، وإفادته منه:

يا من فتحت على ديوانه بصرى

ولم أفارقه في حل وفي سفر

لكم سهرنا معا حتى الصباح فلم

تمل منى ولم أتعب من السهر

أفضي إليك بأشجاني فتؤنسني
بلا ملال وتأسوني بلا هذر
إذا استزدتك لم تبخل علي بما
يرد عني عوادي الشك والحذر
تحيي بعطفك آمالي وتنقذني
من عثرة الفكر أو عثرة النظر
رسمت في الشعر دربًا فاهتديت بمن
يغني المسافر عن شمس وعن قمر
زكا بيانك صهباء وفاكهة
فلست في حاجة للخمر والثمر
الشعر وحي وإيمان وعاطفة
فمن يكن عاطلا منهن فليذر

ذلك يدلنا على أن المتنبي هو المؤثر الأول في شعر وشاعرية الشاعر زكي قنصل.

وفي الديوان قصيدة يرد فيها على الذين ينتقصون من مكانة شوقي وشاعريته، وفيها يقول:

يا هازئين بشوقي لا ألومكم
ما قيمة الشمس في رأي الخفافيش
جناح شوقي مراقي النجم مسبحه
فكيف يدركه ديك بلا ريش

ويدلنا ذلك على منزلة شوقي في نفس الشاعر وعلى تأثره به وبشعره ومنهجه في نظمه القصيد.

وفي الديوان قصائد عدة قالها الشاعر في زملائه من الشعراء المهجريين في مختلف المناسبات كرثائه لصيدح وإلياس فرحات وشفيق معلوف، وكقصيدته التي وجهها تحية للشاعر القروي، وغير ذلك.

وفى مطلع الديوان قصيدة بعنوان (رجعى)، يقول فيها:

أنـــا يـــا قـــوم رجعـــى
وإن أغضبـــت (لينينـــا)
ســلوا تجـدوا علـى شـكلى
ملايينـــا، ملايينـــا
أنـــا يـــا قـــوم رجعـــى
أحـــب الفـــن للفـــن
أنـــا فـــى الإنـــس جنـــى
وإنـــى مـــع الجـــن
أقـــول الشـــعر تفريجـــا
لمـــا فـــى النفـــس مـــن ألم
كبــت قدمـــى فلـــم أحـــزن
وأحـــزن أن كبـــا قلمـــى

وفى آخرها يقول:

أنـــا يـــا قـــوم رجعـــى
علـــى عينيـــك يـــا تـــاجر

والشطر الأخير تعبير عامى، يجرى على ألسنتنا فى مصر، ولم أقرأه لشاعر إلا لشاعرنا زكى قنصل، وهو يفيد عدم المبالاة بشىء فى إعلان رجعيته. والقصيدة مسبوقة للشاعر محمد على الحومانى عنوانها (أنا رجعى) وهى منشورة فى ديوان له.

وتدل القصيدة أيضًا على محافظة الشاعر على عمودية القصيدة، لا يخالف هذه العمودية أبدًا، وفى المقدمة التى كتبها الشاعر للديوان أن الشعر لا يستغنى عن الوزن والقافية، وأن من الجناية أن نشعل فيهما النار بحجة أن الموسيقى الداخلية تقوم مقامها، ويغنى عنها، فالموسيقى الداخلية أسطورة لا تثبت للامتحان، بل هى على طريق الإفلاس إن لم تثبت تكن قد أفلست وانتهى أمرها.

وفى قصيدته رثاء الياس فرحات يقول الشاعر فى أبيات كثيرة أن دعاة الشعر الجديد يعيثون فى الشعر فسادا، ويحزن الشاعر فى قصيدته (أزكى الخمور)

التى نظمها فى استقبال الكاتب المهجرى الخالد نظير زيتون حين زار الأرجنتين. لانتهاء العصبة الأندلسية التى قامت فى البرازيل برياسة شفيق معلوف، وبنوه بجهاده النبيل من أجل الأدب الأصيل، ويقول:

أفتى التبيان العذب والقلم الذى
يشدو فيخجل جاحظ وجرير
حدث وحدث ما استطعت وقل لنا
كيف انطوى عهد هناك منير
ما حل بالروض الأغن وما دهى
أطياره؟ يا ويحه الزرزور
واها عليها (عصبة) ميمونة
واليوم يغمر أفقنا الديجور
سكتوا كأن لم ينشدوا أم اللغى
أحلى وأورع ما تكن صدور
سكتوا كأن لم يحملوا علم الهدى
للمدلجين ويسبحوا ويطيروا

وفى قصيدته عن المتنبى يحزن الشاعر كذلك لانطفاء جذور الشعر المهجرى، وضعف صوت شعرائه، ويتألم لمصير الأدب المهجرى عامة فى بلاد المهجر الأمريكى الشمالى والجنوبى ويقول:

كانت لنا دولة زهراء وارفة
شرقية الروح قحطانية العلم
غزت بآياتها الفيحاء وافتتحت
شبه الجزيرة، واستولت على الهرم
يا شاعر الدهر غابت شمس دولتنا
ماذا تفيد المعنى آهة الندم؟

(٢)

والديوان يحتوى على أنماط عدة من الشعر فمن شعر الحكمة إلى شعر الحنين والرثاء، والوصف، والطبيعة، وشعر الحب والوجدان، والشعر الإنسانى، والاجتماعى والذاتى، وسوى ذلك مما ستتحدث عنه بقليل من التفصيل.

ويبلغ شعر زكى قنصل فى الحنين إلى الوطن المدى، وغاية الجمال والروعة، لأنه ينبع من قلب صهرته الآلام، وعصفت به يد الأيام.

يناجى الشاعر الشام فى قصيدته الملهمة (يا شام) التى نظمها عام ١٩٧٤ فى عيد الجلاء السورى، فيقول:

حياك مغترب يا شام حبيه
لا تركيه يقاسى ما يقاسيه
عيناك علمتاه الشعر فانطلقت
تسامر الملأ الأعلى قوافيه
تقاذفته رياح البين وانطفأت
-لولا بقية إيمان - أمانيه
قالوا: تغرب، فأرض الله واسعة
والخير فى الغرب موفور لراجيه
إن لم يلن مضجع الإنسان فى وطن
فالهجر من علة الحرمان يشفيه
ما كان أسخفنى لما استجبت لهم
واغتر طرفى بتزوير وتمويه
أيقنت بعد فوات الوقت أن يدى
غاصت على الشوك لا فى الورد تجنيه
ماذا انتفعت ولم أبرح بمغتربى
حثالة الناس فى أنظار أهليه
مهما بنيت قصور العز شامخة
لم ينج عرضى من نهش وتشويه

مالي وللمال لا ينفك يرخصني
عند الأنام ولا أنفك أغليه
ضيعت عمري في سعي وفي عمل
فما سؤالك عن حالي وماضيه

وهي ملحمة حافلة بالألم والأنين والحنين والدموع والندم، ويستمر الشاعر في بكائه حالما بالعودة إلى وطنه، ويقبر في ثراه.

ومن قصيدة أخرى له عنوانها (توأم الفردوسي)، يقول الشاعر متحدثا عن غربته وشقائه فيها، في حنين، وأنين عاصف:

حتام أخنق غصاتي وانتظر
طال الطريق وأوهى عزمي السفر
جارت على النوى واستنزفت كبدي
فكيف يضحك في قيثارتي وتر
ويح الغريب فكم أغرته بارقة
وكم تنازعه التطواف والسهر
نهاره عرق بالليل متصل
وليله سفر في أثره سفر
يغفو تهدهده الأحلام زاهية
ويستفيق فلا يبقى لها أثر
يا شام لولا طلاب المجد ما انتثرت
في الشرق والغرب هدى الأنجم الزهر
يا شام باسمك كم غنوا وكم هزجوا
ويعلم الله كم أنوا وكم زفروا

ويحيي في القصيدة الفيحاء (دمشق) ويقول لها:

أهوى ترابك تبرا لا يقاس به
تبر، وكيف يقاس التبر والصدر

ويتحدث عن بردى ويصفه:

مياهــه فضــة تجــرى علــى ذهــب
مــن زان قـاعك بالعقيـان يـا نـهر؟
واهـا علـى ربـوة بالحســن كاسـية
يزهى على كـل عشب عشبها النضر
واهـا ومـاذا تفيـد الـواه مغتربـا
يكـاد يفلـت مــن راحاتـه العمـر؟
أخـاف والشـوق يطوينـى وينشـرنى
يقضـى المشـوق ولا يقضى لـه وطـر

وفى قصيدته فى المتنبى يخاطب شاعره الأكبر فيقول:

ناشــدتك الله حــرك ريشــى فأنــا
كـالميت، بـل أنـا ميت مزق الكفنـا
أحببت أهلى ولكن ضاق بى وطنى
فقلـت أجعـل دنيـا الله لى وطنـا
وسـامنى زمنـى مـا لا يطـاق فلـم
أمـلا فمـى زبـدا أو ألعـن الزمنـا
حريـة المـرء كـنز ليـس يعدلـه
ما حـاز قارون من مـال ومـا اخترنـا

***

ويعتاده الحنين إلى الوطن فى أكثر قصائده، ففى قصيدة (المتنبى) يقول:

ذكراك هاجت إلى الأوطان أشواقى
هل تنشف الدمعة الحرى بآماقى
يا شاعر الدهر هاض البين أجنحتى
فإن شكوت فمن أعمـاق أعمـاقى
مصيبتـى أن قلبـى لم يعـق يـدا
تـدى إليـه، ولم يحنـث بميثـاق

الشوق يزرعني والشوق يحصدني

ويحي أليس لداء الشوق من راق

وآها لو اجتمع الأحباب في بلد

لما توزع قلبي بين آفاق

قضيت عمري أسعى في مناكبها

والحظ يسعى معي لكن بلا ساق

ويذكر حمص مهد طفولته، وأحلام صباه، وهي موطن الكاتب الخالد نظير زيتون، الذي كانت تربطني به صلات أدبية وثيقة: وذلك في قصيدته (أحب بني أمي) التي أنشدها في حفل أدبي بالنادي الحمصي في العاصمة الأرجنتينية، فيقول:

سأقطع ما بيني وبينك من بحر

وأجتاز ما بيني وبينك من بر

وانشق من رباك يا حمص نفحة

تجدد من عزمي وتشرح من صدري

أحب بني أمي وإن هدروا دمي

وأمحضهم صفحا وإن جهلوا قدري

لئن أنكروا أني ولدت بمهدهم

فيا رب اجعل في طريقهم قبري

***

وهكذا نجد الشاعر يتحدث بوجدانه وعاطفته وحنينه وهيامه عن وطنه مشوقًا اليه، يود العودة إليه، ويقبر له فيه.

وفي هذا الجانب من جوانب الإلهام والشاعرية نجد الشاعر مخلصا متألقًا متفوقًا. ومن حبه لمهد طفولته ولوطنه سوريا، أحب أرض الشام وأحب لبنان، وهتف به في شعره. وقصيدته (أبو النور) في لبنان جميلة، ويقول فيها:

يا أهل لبنان لا تزهوا بجنتكم

لحسن بالروح فرع من أهاليه

نهفو إليه كما نهفو إلى بردى

ونرتوي منه، بل بالدمع نرويه

ومن قصيدته (في محراب العروبة) يقول:

مهما نأينا فلن ننسى ملاعبنا

دمي ودمعي لأوطاني وأترابي

إن كان شردني عن أيكها قدر

ففي عيوني رباها وجلبابي

وقصيدته "الجبل الخالد" التي أنشدها في عيد لبنان عام ١٩٧١، من أجمل قصائده، في الحب والحنين إلى الشام، ويقول فيها:

يشهد الحب لم أغب عنك يوما

ليس ينأى عن أيكه الكروان

وطن الشعر والهوى لا تلمني

إن عصاني فيمن أحب بناني

ومن القصيدة نفسها أيضا:

حان يا قلب أن تعود إليه

حان أن ترتمي على شاطئيه

عبثا تنشد السعادة إن لم

ينفجر عطاؤها من يديه

عبثا ترقب الصباح إذا لم

يتلألأ سناه من عينيه

ليس هذا البياض ثلجا ولكن

هو تاج العلى على مفرقيه

سوف تفنى الجبال يوما ويبقى

وحده واقفا على قدميه

وللشاعر قصائد عدة في هذا المضمار، نذكر منها قصيدته (تفاح لبنان). وهو دائم التذكار للبنان، كلما ذكر وطنه الشام، حتى ليقول:

قالوا، ولبنان هل تنساه؟ قلت لهم
هيهات ينسى ليالى عمره الوتر
لى فيه ألف أخ طابت شمائله
وألف أخت هم الأطياب والزهر
ذكرت ماضيك يا لبنان فائتلفت
فى خاطرى صور واستيقظت صور
هذى سرايا العلى من شطك انطلقت
تغزو بإيمانها الدنيا فتنتصر
لم تحمل المهد للأعناق بل حملت
رسالة النور فاستهدى بها البشر
إن فاخروك بماض من مآثرهم
فأنت مبتدأ فيهم وهم خبر

***

ويذكر حبيبته (غلواء) فى قصيدته (تفاح لبنان)، فيقول:
يا حلوة الروح والعينين ما برحت
على شفاهى من عينيك آثار
تصرمت بيننا الأسباب وانقطعت
رسائل تحمل السلوى وأخبار
ضاقت بى الدار واعتلت بشاشتها
لولا غيابك ما ضاقت بى الدار
هل تذكرين وراء النهر خلوتنا
طيفين يفحما بالطيب آيار
نغوص فى الليل يطوينا بجبته
كأننا فى ضمير الليل أسرار
يا حلوة الروح يا شامية نثرت
فى دربى الغار يفدى نعلك الغار

ألهمتني من مجاني عبقر دررا
يكاد يحسدها في الخلد بشار
ماذا أزيد على ما قلت فيك وما
كتمت عنك وما غنته أوتار
تفاح لبنان من خديك نكهته
كيف السبيل إلى خديك أشتار
لذائذ العمر يا غلواء قد ذهبت
وما تبقى فغصات وأكدار

ويذكر غلواء كذلك في قصيدته (ضلال الهوى)، فيقول:

ما حيلتي بفؤادي كلما ذكرت
غلواء صفق تحنانا لمرآها[٣٩]
يقضي لياليه في استجلاء صورتها
فإن تعافى ففي الأحلام يلقاها
كم ذا أحاوره كم ذا أداوره
عنها، فيحلف لا يشتاق ألاها
كأنها بين خلق الله مفردة
يتيمة من عبير الخلد سواها

وفي قصيدته (هيكل الجمال) يذكرها، "غلواء" الحبيبة، فيقول:

ما كنت أعرف قبل رؤيتها
ما السحر أو ما يفعل السحر
هام الجمال بها فألبسها
ثوبا تمنى بعضه الفجر
والشعر جن بها فضحكتها
شعر، وهز خصرها شعر

---

[٣٩] لو قال: "تذكراها"، لكان أروع.

أفبـــالغراب تبيـــع بلبلـــها

غلـــواء؟ كـم فــي قولهــم هـــذر

فــالورد لـــولا الشـــوك يحرســـه

مــا ضــاع مـــن أردانـــه العطـــر

وكذلك يحن إليها في قصيدته (يا قائد الركب) فيقول:

غـــداً تطـــير إلى الفيحـــاء غلـــواء

هـل يلتقـي بعدهـا قيـس وليـلاء؟

وفي قصيدته (أخت الشمس) يهيم بحلوة الأرز، وينسب بها، ويحن بحبها، فيقول:

يا حلوة الأرز، بل يا حلوة العرب

انـا سـكرنا بـلا خمـر ولا عنـب

من جنة الخلد هذا الصوت يغمرنا

بالشعر بـالعطر بـالأنداء بـالذهب

الفـــن يجمعنـــا روحـــا وعاطفـــة

ما الفرق بين رحيق الفن والأدب؟

أقـول والأفـق قـد مـالت بشاشـته

للشمس غيبي فأخت الشمس لم تغب

تراقص الليـل إذ غنيـت مـن فـرح

وصفق الفجر من زهر ومـن طـرب

الفـــن روض نضـــير كلـــه عجـــب

وأنت أعجب ما في الروض مـن عجب

وحلوة الأرز هي محبوبـه (غلـواء) التي تمـي لهـا الشعر والحب والجمـال.

وفي قصيدته (ليلة حب) يناجي "حلوتـه"، حلـوة العيـين، مناجـاة الصـب المسـتلهم، فيقول:

أغمضت جفنـي فـوق نحـرك هانئـا

وغفـــوت هانئـــة علـــى قبلاتـــي

آمنـت منـذ جنيـت أول قبلـة

بـالحب، أن الحـب حبـل نجـاتي

وفي قصيدته (تسبيحة للجمال) يتحدث عن الجمال والحب في فلسفة صوفية عميقة.

***

وللشاعر في الجانب الإنساني، وفي شعر الإنسانية الكثير من الأبيات والقصائد.

ففي قصيدته (براعم الفجر) يتحدث إلى أطفال القرن الحادي والعشرين في إنسانية صافية، فيقول:

إن رفعتـم علـى الـرؤوس لـواء

فليكـن للأخـاء لا للعـداء

إن مـن ينتمـي لهـى بـن بـي

مثـل مـن ينتمـي لمـاء السـماء

أي فـرق بـين عبـد ومـولى

كلنـا يـا بنـي مـن حـواء

يـا صغـاري لا تنظـروا للـوراء

نحـن جيـل الحضـارة الحمـراء

وفي قصيدته (الدوحة العارية) يتحدث في إنسانية غامرة عن هذه الشجرة التي ذهب شبابها، وكذلك يتحدث عن (ساعي البريد)، وعن (منضد الحروف)، وعن الغانية الحسناء التي زلت بها القدم، وعن بائعة الزهر، وعن البناء، وعن (القصر المهجور) حديثا إنسانيًا رفاقًا .. وشعر الشاعر ينطق عن إلهام إنساني وينبع من قلب صهرته الآلام، حتى لقد أحس بآلام البشر وغير البشر وبهمومهم وأحزانهم، إحساسًا عميقًا.

والشاعر يؤمن بالعطاء من أجل الإنسانية، كما يصوره في قصيدته (العوسجة الخضراء)، ويؤمن بالمحبة للناس كما في قصيدته (أحب جاري)، التي يقول فيها:

أنـا الكثير بـإخواني، وإن ذهبـوا

عني فما أنا في دنياي مـن أحـد

النـاس نافلـة والأرض دارهـم

لكن أزكى ثرى عندى ثرى بلدى

ويذكر عطاء الأديب من أجل الإنسانية فى قصيدته (الأديب) التى يقول فيها:

زرع الحـب غـذاء للـورى

وكسـا الصحـراء زهـرا ونسـم

عشـق الحسـن ولكـن مثلمـا

تعشـق النخلـة ريحـان الألم

هـو كالشـمس إذا مـا طلعـت

خطـرت بـين وهـاد وقمـم

رقـة العـذراء فـى بسـمته

وإذا ثـار فقـل: هـاج الأجـم

ألـف الهـم فلـو فارقـه

حـل فيـه لفـراق الهـم هـم

وكذلك نجد هذا العطاء الإنسانى فى مثل قصيدته (هواجس جندى)، التى يصور فيها أحزان جندى عاد من الحرب إلى قريته فوجدها صفصفا، لا حياة فيها ولا حركة.

وهذا الجانب من الشعر كثير فى الديوان، مما تحدث فيه الشاعر عن نفسه وهمومه وأحزانه وأعماق ذاته، وقد سبق ما يصلح للاستشهاد به وإن ذكر فى مقام آخر، كقصائده فى الهيام، وفى الحنين، وفى غيرها.

فهو يبكى الشباب فى قصيدته (ذهب الشباب) التى يقول فيها:

شبنا ولكن لم نزل بالروح فـى شـرخ الحيـاة

ويصف عاطفة الأبوة القوية فى قصيدته إلى ابنه فى فجر طفولته التى يقول منها:

يبكـى فـأبكى بـلا داع ولا سـبب

وإن تضاحك طار القلب من طرب

أرنـو إليـه بطـرف هـادىء قلـق

كـأن قلبـي مشـدود إلى هدبـي

وغير ذلك من شعره الذاتي، وهو كثير في الديوان.

والجانب الاجتماعي كثير في اليوان، كما في قصائده: تارة على علم - مطالع الأضواء - من كرمها نجني - طار قلبي - فتى النهرين - خذها قبلة - يا صاحب العيد - رسول الأرز - تحية ودعابة - وسوى ذلك - وكما في مراثيه لصيدح، ولشفيق معلوف، ولالياس فرحات، ولغيرهم، ومثل ذلك قصيدته (رسالة الحب) في ذكرى جبران.

وفي هذا الجانب نجد الشاعر رجلا يفيض بالحب قلبه، لكل الناس، وللأدباء من بينهم خاصة، فالحب ينبع من أعماق قلبه، ولا تبعده المناسبة عن الشعور القوى العميق بالأحداث والحياة من حوله، وحين تضيق به الحياة، يقول من قصيدته (رحلة إلى القمر) يتمنى أن يصعد إلى القمر، وأن يعيش فيه:

سئمت دنياي يجنـي شـهدها بشـر

بغـير سـعي، ويجنـي صابـها بشـر

إنـي لأحسـد رواد الفضـاء، فـهل

يتـاح يومـا إلى مغنـاك لي سـفر؟

لا خيـب الله آمـالي، ولا انطفـأت

نـار بقلبـي مـا تنفـك تسـتعر

ترنـو إلى نجـوم الليـل حـائرة

عجبى، فهل جاءها عن رحلتي خبر؟

خذنـي إليـك فدربـي كلـه ابـر

وهـل يطـاق طريـق كلـه ابـر؟

والديوان في جملته يقف مع الأصالة والشاعرية، بكل قيمها وموازينها وإن كان هذا لا يمنع أن نقول: أن للشاعر بعض التجاوزات الفنية واللغوية، كقوله:

أنـا يـا قـوم رجعـي

علـى عينيـك يـا تـاجر

على ما مر ذكره.

وكقوله: لا تتركوا البيت فى أيدى حراميه، والياء بالتشديد، لا بالتخفيف كما جاء فى البيت. وكقوله:

كـــــنز الأرض لا تــــــوى
دمــــوع شـــــريدة ثكلـــــى

***

وأخيرًا فإن الديوان صورة رائعة لشاعرية موهوبة، وقريحة ذكية، وعقل خلاق .. وهو من الدواوين التى يجب أن يقرأها الشعراء، وأن يتأثروا بكل ما فيها من إبداع وخيال وتصوير وصياغة جميلة، وموسيقى عذبة، وفن أصيل.

الباب الثالث

مدرسة شعراء الديوان

مدرسة الديوان

-١-

مدرسة الديوان مدرسة: دعت إلى التجديد في الشعر المعاصر، بكل ما وسعها الجهد والوقت والطاقة، وكانت أولى المدارس التي فتحت النوافذ كلها على الشعر الغربي، وعلى مذاهب الغرب في الأدب والنقد، بل على الثقافة الغربية عامة، وروادها ثلاثة هم: عبد الرحمن شكري، وعباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني.

وقد أصدرت هذه المجموعة، أو على الأصح اثنان منها، وهما: العقاد والمازني، عام ١٩٢١ كتابا نقديا باسم "الديوان" أصدرا منه جزءين في نقد شعراء وأدباء مدرسة البعث. وفي مقدمتهم شوقي وحافظ والمنفلوطي.

وفي نقد زميلهم الثالث عبد الرحمن شكري، الذي كانت الخلافات الشخصية قد باعدت بينه وبين العقاد والمازني، وانتصرا في الديوان للمذهب الرومانسي، ودعوا لأصول هذا المذهب الفنية في الشعر كالوحدة العضوية، والتجربة الشعرية، وما إلى ذلك.

وكأنما كان الديوان بيانا بالدعوة للمذهب الرومانسي وتحطيم الكلاسيكية والكلاسيكيين أو العمودية والعموديين في الشعز المعاصر، ولم يكن الرواد الثلاثة يعرفون إن مدرستهم الشعرية الجديدة سيطلق عليها فيما بعد اسم مدرسة "الديوان"، وأن الديوان بدعوته الجديدة إلى أصول الرومانسية سوف يصير علمًا على جماعتهم الثائرة، الداعية إلى الجديد كل الجديد، وأن آثارهم ستمتد إلى كل مكان حتى لتقلدهم مدرسة شعراء المهجر الشمالي -- الرابطة القلمية - وتحتذى حذوهم، وتسير على ضوئهم ..

جاءت مدرسة الديوان بعد مدرسة "البعث" وروادها البارودي وشوقي وحافظ ومطران، وتزعمت حركة التجديد في الشعر، وألحت في الدعوة إليه.

ولقد قام العقاد وشكري والمازني بدور كبير في خدمة النهضة الشعرية، وفي نشر حركة التحديد في الشعر العربي الحديث.

لقد أحدث هذا الكتاب الصغير صحة كبيرة فـي الحـو الأدبـي والشعرى فى مصر والعالم العربى، بل كان له تأثيره على شوقى والمنفلوطى. وغير من نظرية عمود الشعر القديمة، وأخرج ميخائيل نعيمة من أدبـاء الرابطة القلميـة، على ضوئه. كتابه "الغربال" الذى كتب مقدمته العقاد. وشكرى يعد رائد هذه المدرسة الأول، وأمامها الـذى اقتـدت بـه؛ وكـانت ثقافـة هـؤلاء الثلاثـة إنجليزيـة ووجهتـهم هـى الأدب الإنجليزى..

وقد كرر العقاد فى كتبه ومقالاته فى حياتـه أن مدرسة "الديـوان" هـى أول حركة تجديدية فى الشعر الحديث، ولم يعترف بأثر لمطران فى حركة التجديد هذه. وذكر أن شوقيا وحافظًا تأثرا بمدرسة الديوان.

ولقد جمعت الزمالة فى "المعلمين العليا" بين المـازنى وعبـد الرحمـن شكرى عام ١٩٠٩، وربطـت بينهما بصلات وثيقة، ثم ألفت الثقافة، وقاربت الأيام، بينهما وبين العقاد منذ عام ١٩٠٩م، وكتب الثلاثة يبشرون بمذهب جديد فـى الشعر. مهد للدعوة إليه قبلهم مطران، وآزرهم فى الكفاح من أجله الدكتور أحمد زكى أبـو شادى.

وأقبل العقاد وشكرى والمازنى على الأدب الإنجليزى، وبخاصة مجموعة "الكنز الذهبـى" التـى اختارهـا فرانسـيس بـالجريف، أستاذ الشـعر فـى أكسـفورد والمنتدب للمعارف المصرية.

وبدأ الثلاثة يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعانى والصـور الجديـدة، ويكتبـون فى وحـدة القصيـدة، ويدعـون إلى الأصالة وصدق الشاعر فى العاطفة والإحسـاس والأداء. وإلى ظـهور شـخصية الشـاعر الفنيـة، واسـتلهام الطبيعـة، وتنـاول شـتى الموضوعات الإنسانية، ولجوا فى محاربة التقليد والافتعال والزيف والتكلف، وشعر المناسبات الطارئة.

وحـدث عن المعارك التى دارت بين شعراء مدرسة البعث، وبـين شـعراء مدرسـة الديـوان، ولا حرج .. وظهر عـام ١٩١٥ كتاب للمـازنى فى نقد شعر حـافظ بعنوان "شعر حافظ".

كما صدر الديوان وهو يشن هجوما قاسيًا على شـوقى وحـافظ. ثم احتدم الخـلاف بين المـازنى وشـكرى، وأخـذ كل منهما ينقد زميلـه. فكتب المـازنى فـى

"الديوان" يهاجم شكرى وسماه "صنم الألاعيب"، وكتب شكرى يهاجم المازنى فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه ..

وأخذ شكرى يعيب على المازنى انتحاله لبعض الأشعار الإنجليزية، مما دون فى مجموعة "الكنز الذهبى" للشعراء الإنجليز الرومانتيكيين، وتبادلا النقد على صفحات جريدة "النظام" ونقد شكرى المازنى والعقاد على صفحات "عكاظ" عام ١٩١٩ و١٩٢٠، ونقد المازنى شكرى فى كتاب "الديوان" .: ولم يعد الصفاء بين الشاعرين إلا عام ١٩٣٤.

وإن كان شكرى فى الحقيقة هو الذى ألهب إحساس المازنى الفنى، ودله على مناحى التجديد، ولا ينكر المازنى ذلك، حتى ليقول من مقالة له نشرت فى عدد ٥ أبريل عام ١٩٣٠ من جريدة "السياسة" بعنوان "التجديد فى الأدب": غير زمن كان فيه شكرى محور النزاع بين القديم والجديد .. ذلك أنه كان فى طليعة المجددين، إذا هو لم يكن الطليعة والسابق إلى هذا الفضل، فقد ظهر الجزء الأول من ديوانه الذى صدر عام ١٩٠٩، والذى سماه شكرى "ضوء الفجر"، وكذا يومئذ طالبين فى المعلمين العليا، وكانت صلتى به وثيقة، وكل منا يخلط صاحبه بنفسه، ولم أكن يومئذ إلا مبتدئا على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين فى الأدب، ورأى حاسم فيما ينبغى أن يكون عليه، ومن اللؤم الذى أتجافى بنفسى عنه أن أنكر أنه أول من أخذ بيدى، وسدد خطاى، ودلنى على المحجة الواضحة.

ويقول المازنى كذلك: كان الجزء الأول من ديوان شكرى، ويوميات العقاد، بداية اقتحام المذهب الجديد فى الأدب، وفاتحو الصراع بينه وبين المذهب القديم، مذهب شوقى وحافظ وأضرابهما.

وكتب العقاد عام ١٩٥٩ بعد وفاة شكرى يقول: عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين عاما، فلم أعرف قبله ولا بعده، أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعًا على أدب اللغة العربية، وأدب اللغة الإنجليزية، وما يترجم إليهما من اللغات الأخرى.

-٢-

ومن حيث كانت مدرسة البعث تدعو إلى الأصالة وإلى العمودية، وإلى القوالب الفنية الموروثة، وكان مطران ينادى بالشعر الموضوعى، وبالجانب

الوجداني في الوصف .. كان العقاد وزميلاه يدعون إلى الجانب الذاتي أو الغنائي منه، وخرجوا بنظرية جديدة أسموها الوجدان، واتخذ شكري شعارا له على الجزء الأول من ديوانه الصادر عام ١٩٠٩، والذى سماه "ضوء الفجر" هذا البيت من الشعر:

أيـــا يـــا طـــائر الفـــردو　　　س إن الشـــعر وجـــدان

ومن نظرية الشعر الوجداني عند هؤلاء الثلاثة، انبثقت الدعوة إلى أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر، وأن يبعد عن المناسبات. وأن يغلب عليه طابع الألم والأنين، وحب الطبيعة وتصويرها واستلهامها، وأن تسوده وحدة عضوية، وأن يعبر عن تجربة شعرية عميقة، وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال، واتجه العقاد إلى شعر الفكرة، وأخذ المازني على شوقي ومدرسته تفكك الوحدة الموضوعية في قصائدهم وإغراقهم في شعر المناسبات، وفي التقليد للقدماء .. ودعا المازني كذلك إلى الرومانسية في كتابه "الشعر غاياته ووسائطه" الذى صدر عام ١٩١٥.

وصار المضمون الشعري عند هؤلاء الثلاثة لابد من أن يتخذ في الشعر الغنائي الطابع الوجداني سواء استمده الشاعر من الطبيعة أم من ذات نفسه.

ويرجع هؤلاء الثلاثة في النقد إلى هازليت وماكولي وأرنولد وشاستري. وأغلب آراء العقاد في النقد تعود إلى آراء وليام هازليت ومحاضراته عن الشعراء الإنجليز، ويشبهه العقاد كثيرًا في عنفه النقدي.

ويذكر العقاد في كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم .." أن ثقافة مدرسة شعراء الديوان تتناول كل الثقافات العالمية، عن طريق الأدب الإنجليزي، وإنها استفادت من النقد الإنجليزي، واتخذت هازليت رائدا لها في النقد، ومرجعها الأول كتاب "الكنز الذهبي" وهو مختارات من الشعر الإنجليزي الرومانسي، من شكسبير إلى نهاية القرن العشرين ..

وفي رأي هؤلاء الشعراء الثلاثة أصحاب مدرسة الديوان أن شخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر، وأن الشعر إذا كان يشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذى يجب أن نحتفي به.

وكان وردزروث الشاعر الإنجليزي يقول، وقد سئل عن شعر بعض الشعراء الإنجليز، فقال عنه: أنه ليس من الحتم في شيء، يريد أن منزلة الشاعر مستمدة من شعره، فإذا أصبح شعره على ألسنة الناس، ولا غنى لهم عنه، ويتمثلون به في مختلف جوانب حياتهم، فهو شاعر قد فرض نفسه على الشعر، وعلى النقاد والناس وإلا فلا.

ويتمثل المذهب الجديد عند شكرى في ديوانه، الذى طبع الجزء الأول منه عام ١٩٠٩ وأعيد طبعه عام ١٩١٤، وعنوانه "ضوء الفجر"، وصدر الجزء الثانى منه عام ١٩١٣ بعنوان "لآلئ الأفكار"، وصدر الجزء الثالث منه عام ١٩١٥ بعنوان "أناشيد الصبا".

وكذلك الجزء الرابع الذى صدر عام ١٩١٥ بعنوان "زهر الربيع"، والخامس الذى صدر عام ١٩١٦، وصدر هذا الجزء الخامس بعنوان "خطرات"، والسادس "الأفنان" عام ١٩١٨ والسابع "أزهار الخريف" عام ١٩١٩. وبعد وفاة شكرى طبع الديوان طبعة جديدة، وأضيف إليه شعره منذ عام ١٩١٩ حتى وفاة شكرى، وطبع عام ١٩٥٩.

وكان شكرى هو أستاذ هذه المدرسة بحق، ولكن لما انفصل عن زميليه من عام ١٩١٦ حتى عام ١٩٣٤ تصدرها العقاد، وأصبحت ترمز إليه أولا فيما ترمز إليه من دلالات ومعان ..

وكان شكرى، كما يقول العقاد، من أوائل الدعاة إلى وحدة القصيدة، وإلى تعديد صور القافية، والتجديد في بحور الشعر، وألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية، ولم يحفل بشعر المناسبات، ومن أوائل من مهد لمذاهب النقد الحديثة في الأدب العربي.

وقد سخط العقاد على الشعر الحر وحاربه، وثار على الابتذال والسوقية والعامية، ورأى الشعر فنا يجب أن ترتفع الأذواق إلى مستواه.

وقد خلفت مدرسة الديوان وراءها ذكرا طويلاً وصيتًا بعيدًا، وشهرة ما بعدها من شهرة لطول خصامها مع مدرسة شعراء البعث، ولدعوتها إلى شعر الوجدان، أو قل إلى الرومانسية، ولاحتفائها بالأصالة قبل كل شيء.

وفي العاشر من أغسطس ١٩٤٩ توفي المازني.

وفي الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٨ توفي شكرى.

وفى الحادى عشر من مارس ١٩٦٤ توفى العقاد.

وقد ولد المازنى فى التاسع عشر من أغسطس عام ١٨٩٠م، وولد شكرى فى الثانى عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦، وولد العقاد فى الثامن والعشرين من يونيو عام ١٩٨٩، وتفاوتت حظوظهم فى الحياة، والحياة دائما تحمل إلى الناس إرادة القدر الذى لا مفر منه.

وقد مثل هؤلاء الرواد الثلاثة صورة الشعر المعاصر فى نهضته وتجدده، وعاصروا شوقيا وحافظا ومطران، وأدركوا عصر البارودى، وعاشوا فى حياة شعرية صاخبة لم يرها أحد من قبل، وكانت حملتهم على شوقى وحافظ والمنفلوطى حملة فيها الكثير من الحيف والقسوة.

واليوم نذكرهم، ونذكر جهادهم الأدبى، ونذكر أثرهم فى نهضة الشعر العربى وتطوره وتجدده، فلا نملك إلا الدعاء بالرحمة وإلا أن نردد:

لقد كانوا عظماء، لأنهم كانوا موهوبين.

رواد مدرسة
شـعراء الديـــوان

-١-

جمعت زمالة العلم والشباب فى مدرسة المعلمين العليا فى القاهرة، فى أوائل القرن العشرين، بين عبد الرحمن شكرى وإبراهيم عبد القادر المازنى، وكانا من أنبغ الطلاب فى هذه المدرسة، وربطت بينهما هذه الزمالة بصلات وثيقة، ثم ألفت الحياة ووحدة الثقافة والاتجاه بينهما وبين زميل ثالث لهما هو عباس محمود العقاد ..

وصار هؤلاء الثلاثة يمثلون فكرا أدبيا جديدا دعوا إليه، وكتبوا عنه وأفاضوا فيه، وداروا حوله، ودخلوا معارك نقدية كثيرة من أجله.

كان بدء التعارف بين شكرى والمازنى الطالبين فى المعلمين العليا، هو مساء الخميس ٢٤ من سبتمبر عام ١٩٠٩ بعد التحاق المازنى بالمدرسة بقليل. وكان المازنى قد بدأ يتردد على جريدة الدستور التى يصدرها المفكر محمد فريد وجدى، حيث رأى محررا نابغة من محرريها هو عباس محمود العقاد، فتعرف إليه، وتردد عليه، وصارت بينهما صداقة ومودة وزمالة فى الأدب والشعر ..

وفى مساء يوم الجمعة ٣٠ من أكتوبر عام ١٩٠٩ دخل المازنى على شكرى فى مسكنه يزوره، وجلس المازنى بين ترحيب شكرى به وسؤاله عن أخبار الأدب والشعر .. وبادر المازنى صديقه الأكبر الذى لا يتجاوز العشرين ربيعا من العمر، يقول له:

-أى صديقى شكرى: لقد كنت بالأمس فى مجمع من الصفوة، من الأدباء والشعراء، وكانت قصيدتك الجديدة "النغمات" موضع حديث الجميع وإعجابهم، وكان من أشد المعجبين بها صديقى الأديب الصحفى عباس محمود العقاد.

-ورد شكرى: وأين هو؟ ولماذا لم يأت معك لزيارتى؟

-وأجابه المازني: إن صديقي الشاعر يجلس في مقهى قريبة فإن أحببت ذهبت. فأتيت به معي.

-وقال شكري: أذهب إليه، وادعه باسمي، ولعلك لا تطيل غيابك.

وأسرع المازني إلى المقهى، ودعا العقاد لزيارة شكري فلبى الدعوة، ودخلا على صديقهما، والمازني يقول: هذا هو عباس محمود العقاد حضر معي..

ورحب به شكري ترحيبا حارا، ودار بينهما حوار حول الجزء الأول من ديوان شكري، وكان قد صدر منذ أسابيع قليلة، وحول قصيدة "النغمات" بصفة خاصة، وقرأها العقاد في ديوان شكري:

إذا ترنم والآذان ظامئة
خلنا الروى على آذاننا اندفقا

لج من النغمات الغر يحمدها
إن النفوس تعاني بينها الغرقا

لو صورت فأقامت غير خافية
كانت أجل الذي يستبعد الحدقا

كأن شيئا من الحب الذي غربت
به الخليقة في أثنائها انبثقا

تظل تفعل بالأحزان ما فعلت
أشعة القمر الوضاح بالغلس

تذوب فيها هموم النفس خافية
كما يذوب الندى في موقع النفس

يترو الهيام بقلبي حين أسمعها
لعب الرياح بثوب البائس التعب

كعصفها حين لجت في تأوبها
كلجة البحر تطفي شعلة القبس

إلى آخر هذه القصيدة الحديدة في تصورها ومعانيها وصورها الشعرية..

ولم يمض شهر على ذلك اللقاء حتى أصبح الثلاثة لا يكادون يفترقون، ولا يتركون كتابا قديما أو حديثا يقع لهما إلا ويعكفون على قراءته..

وأخذ المازني والعقاد يستزيدان من اللغة الإنجليزية على يدى صديقهما شكرى، ويتعمقان فى آداب الغرب والشرق، وهما معجبان بعظمة ذلك الذهن الجبار الذى منحه الله لشكرى.

ولم يلبث هؤلاء الثلاثة وبخاصة منذ ١٩١٤ أن أصبحوا مثالا رائعا للفكر المصرى فى أوائل القرن العشرين، فهم يمثلون النزعات الجديدة فى الشعر فى ذلك الحين، وهم يقرأون للشعراء الرومانسيين الإنجليز من أمثال: وردزروث، وشيللى، وبيرون، وكيتس، وغيرهم، ويتأثرون بهم فى منحاهم الرومانسى.

وكانت بأيدى الشباب المصرى آنذاك مجموعة شعرية مشهورة من الشعر الإنجليزى، اسمها "مجموعة الكنز الذهبى"، كانت تدرس فى مختلف مراحل الدراسة فى المدارس المصرية، التى يوجه الإنجليز فيها سياسة التعليم ومناهجه الوجهة التى يريدونها. وقد اختارها وجمعها مشرف إنجليزى فى وزارة المعارف المصرية حينئذ، اسمه "بالجريف"، وكان أستاذ الشعر فى أكسفورد، وكانت هذه المجموعة رومانسية الطابع، وقرأها شكرى والمازنى، وتأثرا بطابعها. وكانت هذه المجموعة مادة شعرية لطيفة فى أيدى أدبائنا الشباب الثلاثة: شكرى والمازنى والعقاد، الذين جمعت بينهم النزعة الأدبية أحبابا وأصدقاء ودعاة إلى الجديد.

وفى عام ١٩١٣ أصدر شكرى الجزء الثانى من ديوانه، وكان قد مضى على صدور الجزء الأول منه أربع سنين. وكتب العقاد مقدمة هذا الجزء، وأثنى فيها على شاعرية شكرى ثناء حارا، وعلى موهبته الفياضة، وكتب المازنى أيضًا عدة مقالات فى العام نفسه، نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية، يوازن فيها بين حافظ وشكرى، ويفضل صديقه شكرى على حافظ. ومن أجل ذلك هاجم حافظ المازنى، وعاد المازنى يكتب عن أخطاء حافظ الشعرية..

وفى العام نفسه - عام ١٩١٣ - أصدر المازنى الجزء الأول من ديوانه، فكتب العقاد كذلك مقدمته، يرفع فيها من شأن الديوان، ويرحب بظهوره، وباتجاهه الرومانسى الغالب عليه. وكان هذا الاتجاه - الرومانسى - ذائعا فى الأدب المصرى

آنذاك بتأثير كتابات المنفلوطى، وذيوع أدب لامرتين وهوجو وغيرهما من شعراء الغرب، ومن بينهم شعراء البحيرة الإنجليز، وبتأثير مطران وشعره كذلك ..

وفى عام ١٩١٦، ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد، الذى سماه فى الطبعات التالية "يقظة الصباح"، وتميزت قصائده بما كان يسميه العقاد "الوحدة العضوية".

-٢-

وأخذ الثلاثة يدعون إلى مذهبهم الجديد فى الأدب والنقد والشعر، وبدأوا يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعانى والصور الغربية، ويكتبون فى وحدة القصيدة وفى التجربة الشعرية، ويدعون إلى الأصالة والصدق فى العاطفة والشعور، وإلى ظهور شخصية الشاعر الفنية، واستلهام الشاعر للطبيعة، وتناوله لشتى المعانى والموضوعات الإنسانية، ويحاربون التقليد وشعر المقلدين، وشعر الصنعة والمناسبات الطارئة، وخرجوا بنظرية جديدة سموها "شعر الوجدان"، واتخذ شكرى شعارا له، وضعه على الجزء الأول من ديوانه الذى سماه "ضوء الفجر"، هذا البيت من شعره:

ألا يـــا طـــائر الفـــردوس إن الشـــعر وجـــدان

ومن نظرية الوجدان عند هؤلاء الثلاثة، انبثقت الدعوة إلى أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته، وأن يبعد عن المناسبات، وأن يغلب عليه طابع الألم والأنين وحب الطبيعة وتصويرها.

وأدخل المازنى فى تعريف الشعر العاطفة والخيال، واتجه العقاد إلى شعر الفكرة، وأخذ المازنى على شوقى وشعراء مدرسته تفكك الوحدة الموضوعية فى شعرهم، فضلا عن إغراقهم فى شعر المناسبات، وفى تقليدهم للقدماء، وصور ذلك فى مقدمة كتابه "شعر حافظ" الذى صدر عام ١٩١٥، ونقد فيه حافظا نقدا لاذعا، ودعا إلى الرومانسية فى كتابه "الشعر غاياته ووسائطه" الذى صدر عام ١٩١٥ أيضا.

ويقول المازنى من مقال له نشره فى جريدة البلاغ عدد أول سبتمبر ١٩٣٤: كنا زميلين فى المعلمين العليا، وكان شكرى ناضجا وكنت فجا، وكان أديبا شاعرا واسع الاطلاع وكنت جاهلا ضعيف التحصيل قليل العقل، فتناول يدى، وشد عليها، وأبت مروءته أن يتركنى ضالا حائرا، أنفق العمر سدى، وأبعثر فى العبث ما لعله كان فى نفسى من الاستعداد، وكنت أقرأ ابن الفارض والبهاء زهيرا. والحماسة والشريف

الرصي. والبحتري والمعري وابن المعتز وأبا نواس وغيرهم. وكانت مطالعتي في الإنجليزية مقصورة على أمثال ماري كوريللي وغيرها من أضرابها. ففتح عيني على شكسبير وبيرون ووردزورث وشيللي وميلتون وكوليردج، وهازلت، وكارليل، وماكولي، ولي هنت، وجوته، وشيللر، وموليير، وراسين، وروسو، ومئات غيرهم من أعلام الأدب الغربي، وصرفني عن المقلدين في أدب كل أمة، وأغراني بأصحاب المواهب والابتكار، وصحح لي المقاييس، وأقام الموازين الدقيقة وفتح عيني على الدنيا وما فيها، وكنت كالأعمى لا أنظر، وإذا نظرت لا أرى، وكان لفرط أدبه يتوخى معي سلوك الند، ولا يتعالى تعالي الأستاذ على التلميذ.

ويستطرد المازني في مقاله فيقول: ولو أردت أن أتقصى لما فرغت، فأنا مدين له بكل ما أعان على ما صرت إليه، أقول ذلك مباهيا شاكرا فضل الله على أن لم يضيعني، وأن كتب لي نعمة الاتصال بشكري، وإني لأرجع البصر في حياتي، وأتساءل: ماذا عساي كنت أكون لولاه، فلا أجد عندي لهذا جوابا. وأدير عيني في نفسي وأبحث عن نزعة لم يكن هو غارس بذرتها، إذا لم يكن هو الموحي بها، فلا أهتدي.

***

وفي ٤ من سبتمبر سنة ١٩٣٤ كتب العقاد في صحيفة الجهاد يقول: إن صاحبيه هما اللذان غيرا منهجيهما في القراءة، فالتفتا إلى النقد العلمي والفلسفي، بعد أن كانت قراءتهما في النقد الأدبي المحض على أسلوب ماكولي ومن إليه.

وعاد المازني يكتب ويقول: كان شكري أول من أخذ بيدي، وسدد خطاي، ودلني على المحجة الواضحة.

وكان الجزء الأول من ديوان شكري، ويوميات العقاد، بداية اقتحام المذهب الجديد في الأدب، وغاية الصراع بينه وبين المذهب القديم، مذهب شوقي وحافظ وأضرابهما، كما يقول المازني.

-٣-

والمضمون الشعري عند هؤلاء الرواد الثلاثة لابد أن يتخذ في الشعر الغنائي الطابع الوجداني، سواء استمده الشاعر من الطبيعة الخارجية أم من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية. والثلاثة يرجعون إلى هازليت، وماكولي، وأرنولد، وشاستري في

النقد .. وكانت أغلب آراء العقاد النقدية تعود إلى آراء هازليت ومحاضراته عن الشعراء الإنجليز. ويشبهه العقاد كثيرا في عنفه النقدي، مع إيثار المذهب النفسي في النقد، وكان شكري يؤثره كذلك.

وخاض الثلاثة معركة الجديد مع شوقي وحافظ والمنفلوطي .. ثم عادت الأيام ففرقت بينهم، حيث انفصل شكري عن زميليه عام ١٩١٦، وهاجم المازني ورماه بالسرقة من الشعراء الإنجليز، وبخاصة شعراء مجموعة "الكنز الذهبي".

وفي عام ٢٠ و١٩٢١ أصدر العقاد والمازني جزءين من كتاب جديد لهما سمياه "الديوان" نقدا فيه شوقيا وحافظا وعبد الرحمن شكري، وباسم الديوان أطلق على هذه المدرسة: "مدرسة شعراء الديوان".

وهكذا لم تلبث الأيام أن فرقت بين هؤلاء الرواد الثلاثة فأخذ المازني ينقد شكري، وكتب شكري عام ١٩١٦ في الجزء الخامس من ديوانه ينقد المازني، ويعيب عليه سرقاته الشعرية من الشعر الغربي.

وتبادلا النقد على صفحات جريدة النظام، ونقد شكري المازني والعقاد على صفحات عكاظ في مقالات نشرها عامي ١٩١٩ و١٩٢٠، ونقد المازني شكري في كتاب الديوان وسماه "صنم الألاعيب"، ورماه بالشعوذة والجنون، ولم يعد الصفاء بين الشاعرين إلا عام ١٩٣٤، حيث كتب المازني من جديد ينوه بشكري ويقر بأستاذيته، وظل طول حياته بعد ذلك وفيا له.

وكان العقاد حين اشتدت الخصومة بين شكري والمازني يعمل على إنهائها، ولكن شكري واصل حملته على المازني في عكاظ الأسبوعية. وقد أقحم شكري العقاد في تلك الخصومة لظنه أن المازني إنما كتب ما كتب على الثقة بأن العقاد من ورائه يؤيده ويعاونه.

وقد هاجم العقاد في "الديوان" شعر شوقي هجوما شديدا، وعده غير شاعر ويقول: إن الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة:

أولها: أن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية، فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى إذا ترجم إلى جميع اللغات.

وثانيها: أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه، فالشاعر الذي لا يعبر عن نفسه صانع وليس ذا شخصية أدبية

وثالثها: أن القصيدة بنية حية وليست أجزاء متناثرة يجمعها الوزن و القافية.

وكان شوقي لا ينفك يغري بالعقاد صاحب جريدة عكاظ الشيخ فهيم قنديل، فكان لا يخلو عدد من أعدادها من نقد للعقاد، أدخل في باب الهجاء منه في باب النقد الأدبي.

ويؤمن أصحاب مدرسة الديوان بأن الشعر يجب أن يكون تعبيرا عن وجدان الشاعر وذاته وحياته الباطنية، وصادرا عن نفس الشاعر وطبعه، والشعر عندهم تغلب عليه النزعة الوجدانية، بينما تغلب عند مطران ومدرسته النزعة الموضوعية، وأساس الحكم بعظمة شاعر عند شعراء الديوان هو ظهور شخصية الشاعر في شعره، وصدقه في الإحساس والتعبير.

وكان شكري – كما قال العقاد – من أوائل من دعا إلى وحدة القصيدة، ونظم من الشعر المرسل، وعدد صور القافية، وجدد في بحور الشعر، وألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية، ولم يحفل بشعر المناسبات، وكان من أوائل من مهد لمذاهب النقد الحديثة في الأدب العربي، وسار على المذهب النفسي وطبقه في دراساته للشعراء القدامى والمعاصرين.

وفي جريدة السياسة عدد ٥ من أبريل سنة ١٩٣٠ كتب المازني مقالا بعنوان "التجديد في الأدب" يقول فيه: غبر زمن كان فيه شكري محور النزاع بين القديم والجديد، ذلك أنه كان في طليعة المجددين، إذا هو لم يكن الطليعة والسابق إلى هذا الفضل، فقد ظهر الجزء الأول من ديوانه وكنا يومئذ طالبين في المعلمين العليا وكانت صلتي به وثيقة، وكل منا يخلط صاحبه بنفسه، ولم أكن يومئذ مبتدئا على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين في الأدب، ورأي حاسم فيما ينبغي أن يكون عليه. ومن اللؤم الذي أتجافى بنفسي عنه أن أنكر أنه أول من أخذ بيدي، وسدد خطاي، ودلني على المحجة الواضحة، وأنه لولا عونه المستمر لكان الأرجح أن أظل أتخبط أعواما أخرى، ولكان من المحتمل جدا أن أضل الطريق.

***

ويذكر العقاد عام ١٩٥٩ بعض هذه الذكريات فيقول في مقال له نشر في "الأخبار": عرفت عبد الرحمن شكري قبل خمس وأربعين سنة، فلم أعرف قبله ولا بعده أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية وأدب اللغة

الإنجليزية. وكان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة. نافذ الفطنة حسن التخيل. سريع التمييز بين ألوان الكلام.

وكان في العقاد حدس الشاعر، ورفاهة حسه، وعمق الفيلسوف ودقة ملاحظة العالم وقدرته على التحليل والتعليل .. وكان ذهنه اللماح يقطف خلاصة ما عند الشرق والغرب وما في التراث من جديد، ويطلع إلى الفكر العالمي والإنساني بكل حواسه ومشاعره، ويفيد من كل ما وعته بصيرته، واهتزت به قريحته وفطرته.

ويذكر العقاد في كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي" أن ثقافة شعراء هذه المدرسة تتناول كل الثقافات العالمية، عن طريق الأدب الإنجليزي، وأنهم استفادوا من النقد الإنجليزي، واتخذوا هازليت رائدا لهم، وكان مرجعهم الأول كتاب "الكنز الذهبي" الذي كان يحتوي على مختارات من الشعر الإنجليزي من شكسبير إلى نهاية القرن العشرين.

وفي عام ١٩٣٤ عاد الصفاء بينهم جميعا وكتب العقاد والمازني عن شكري الفصول الطويلة.

وفي العاشر من أغسطس سنة ١٩٤٩ توفي المازني، وفي الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٨ توفي شكري، وفي الثاني عشر من مارس سنة ١٩٦٤ توفي العقاد .. رحمهم الله جميعا.

ولا ننسى أن نقول أن الجزء الثالث من ديوان شكري "أناشيد الصبا" ظهر عام ١٩١٥، أما الرابع والخامس فظهرا عام ١٩١٦، والسادس عام ١٩١٨، والسابع "أزهار الخريف" عام ١٩١٩، وجمع ما نشر له من الشعر بعد عام ١٩١٩ في الجزء الثامن.

وقد طبع لشكري من كتبه: الثمرات – حديث إبليس – الاعترافات، وقد ظهرت جميعا عام ١٩١٦ – ثم صدر له الصحائف، وقصة الحلاق المجنون عام ١٩١٩ بتوقيع ع. ش – وكتب المازني والعقاد كثيرة.

ولقد ترك الثلاثة أثرهم واضحا في الشعر والأدب والنقد المعاصر. وكتبت عنهم مئات الدراسات والمقالات والبحوث ..

رحمهم الله ..

المدرسة .. وحركة التجديد

-١-

مدرسة الديوان من المدارس الشعرية المعاصرة والجديدة، وهي المدرسة المجددة الابتداعية - الرومانسية - وقد خلفت مدرسة البارودي وشوقي وحافظ ومطران المحافظة - الكلاسيكية - وتزعمت حركة التجديد في الشعر، وألحت في الدعوة إليه.

أعلامها الثلاثة: عبد الرحمن شكري، وإبراهيم المازني، وعباس العقاد؛ قاموا بدور كبير في خدمة نهضتنا الشعرية، وفي نشر حركة التجديد في الشعر العربي الحديث. وتسمى "مدرسة شعراء الديوان" نسبة إلى هذا الكتاب النقدي المشهور؛ الذي ألفه اثنان من هذه المدرسة، وهما: العقاد والمازني، وأصدراه في جزءين، وبسطا فيه دعوتهما الجديدة، ونقدا فيه حافظا وشوقيا والمنفلوطي؛ كما نقدا زميلهما الثالث وهو عبد الرحمن شكري!

وقد أحدث هذا الكتاب الصغير ضجة كبيرة في الجو الأدبي والشعري في مصر والعالم العربي؛ وكان له تأثيره على شوقي والمنفلوطي، وغير من نظرية عمود الشعر القديمة. وعلى الرغم من أن شكري فارق زميليه وتركهما وحدهما في الميدان إلا أنه يعد رائد هذه المدرسة الأول، وإمامها الذي اقتدت به، وهؤلاء الثلاثة ثقافتهم إنجليزية، ووجهتم هو الأدب الإنجليزي.

وقد احتدم الخلاف بين المازني وشكري، وأسرفا في نقد بعضهما لبعض، فكتب المازني في "الديوان" يهاجم عبد الرحمن شكري في مقال نقدي بعنوان "صنم الألاعيب"، وكتب شكري يهاجم في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه زميله القديم المازني؛ كما كتب رمزي مفتاح كتابه المشهور "رسائل النقد" يهاجم فيه العقاد، ويتهمه بالسرقة من شكري.

وقد ذكر العقاد في كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي" أن ثقافة مدرسة شعراء الديوان كانت تتناول كل الثقافات العالمية عن طريق الأدب الإنجليزي، وأنها استفادت من النقد الإنجليزي، فوق استفادتها من الشعر وكل فنون الأدب الأخرى؛ وأنها اتخذت هازليت إماما لها في النقد، وكان مرجعها الأول هو

مجموعة "الكنز الذهبي"، وهي مختارات من الشعر الإنجليزي من عصر شكسبير إلى نهاية القرن التاسع عشر.

وقد قرر العقاد في كتبه ومقالاته أن مدرسة الديوان هي أول حركة تجديدية في الشعر الحديث، وأنكر فضل مطران على حركات التجديد هذه، وكانت ثقافة مطران فرنسية، وذكر العقاد كثيرا أن شوقيا وحافظا تأثرا به وبمدرسة الديوان، وقد يكون ذلك على وجه المبالغة لا غير.

ومن حيث كان مطران يتزعم الدعوة إلى الشعر الموضوعي كانت مدرسة الديوان تدعو إلى الجانب الذاتي أو الغنائي، فشعرها هو شعر الوجدان الذي يعبر عن ذات الشاعر وشخصيته أبلغ تعبير وكتب شكري على صدر الجزء الأول من ديوانه الذي سماه "ضوء الفجر" هذا البيت من الشعر:

ألا يـــــا طـــــائر الفـــــردو س إن الشـــــعر وجـــــدان

وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال، واتجه العقاد إلى شعر الفكرة، ودافع عنه في ديوانه "بعد الأعاصير".

وقد صدر للعقاد في حياته: الجزء الأول من ديوانه (١٩١٦) الأربعة الأجزاء الأولى من ديوانه (١٩٢٨) – وحي الأربعين – هدية الكروان (١٩٣٣) – عابر سبيل (١٩٣٧) – أعاصير مغرب – بعد الأعاصير (١٩٥٠).

ولقد حمل رواد مدرسة الديوان: العقاد وشكري والمازني لواء الشعر بعد شوقي، وأعلنوا الثورة على الشعر الكلاسيكي والشعر القديم، وكتبوا أعنف الفصول النقدية الرائعة، التي عدلت من مسيرة الشعر المعاصر، وأعادت له الرونق والذيوع والقيمة الفنية الإبداعية.

-٢-

في المعلمين العليا اتصل إبراهيم عبد القادر المازني (١٩ أغسطس ١٨٩٠ – ١٠ أغسطس ١٩٤٩) بزميله السابق عليه "عبد الرحمن شكري"، ووثقت الزمالة الصلة بينهما، واجتمعا ومعهما العقاد على حب الأدب الإنجليزي، وقرأوا للشعراء الإنجلير وخاصة شعراء مجموعة "الكنز الذهبي التي اختارها وجمعها "بلجريف" أستاذ الشعر باكسفورد، وبدأوا يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعاني والصور الغربية؛ ويكتبون في وحدة القصيدة، ويدعون إلى الأصالة وصدق الشاعر في العاطفة والإحساس؛ وفي

التعبير كذلك، إلى ظهور شخصيته الفنية، واستلهام الشاعر للطبيعة، وتناوله لشتى الموضوعات الإنشائية، ويحاربون التقليد والزيف والافتعال والتكلف وشعر المناسبات الطارئة.

وصدر الجزء الأول من ديوان شكرى عام ١٩٠٩، والديوان الأول للمازنى عام ١٩١٣، والأول للعقاد عام ١٩١٦، من حيث ظهر ديوان مطران عام ١٩٠٨ وديوان أنداء الفجر لأبي شادي عام ١٩٠٩.

وحدثت بين مدرسة شعراء الديوان ومدرسة شوقي وحافظ معارك نقدية، ظهر فيها عام ١٩١٥ كتاب للمازنى فى نقد شعر حافظ، عنوانه "شعر حافظ"، وأعلن شكرى بعد ذلك انفصاله عن زميليه، وثارت الخصومة بين ثلاثتهم، وأخذ شكرى يعتب على المازنى انتحاله لبعض الأشعار الإنجليزية، مما دون فى "الكنز الذهبى"، مما حفظ المازنى عليه.

وفي عام ١٩٢١ أصدر المازنى والعقاد كتاب "الديوان" فى جزءين ينقدان فيه أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، ونقد المازنى فيه المنفلوطى، كما نقد شكرى بعد أن مدحه فى مقدمة كتاب "شعر حافظ".

ويؤمن أصحاب مدرسة الديوان بأن الشعر يجب أن يكون تعبيرا عن وجدان الشاعر وذاته وحياته الباطنية، وصادرا عن نفس الشاعر وطبعه، والشعر عندهم تغلب عليه النزعة الوجدانية، وعند مطران النزعة الموضوعية، وأساس الحكم بعظمة شاعر عند شعراء مدرسة الديوان هو ظهور شخصية الشاعر فى شعره وذاتيته فى الإحساس والتعبير.

وشكرى فى الحقيقة هو الذى ألهب إحساس المازنى الفنى، ودله على مناحى التجديد.

وقد بدأ المازنى حياته الأدبية شاعرا يتأثر بالشعراء الإنجليز وبالشعراء العرب، وبخاصة ابن الرومي والمتنبى والشريف ومهيار.

ويأخذ المازنى على شعراء المدرسة المحافظة تفكك الوحدة الموضوعية والعضوية فى قصائدهم، وإغراقهم فى شعر المناسبات وتقليدهم للقدماء، ويصور ذلك فى مقدمة كتابه "شعر حافظ" الصادر عام ١٩١٥، ونقد فيه حافظا. ويدعو إلى

رومانسية الموضوع ورمزية التعبير الشعري، وإلى الصدق في الإحساس والأداء في كتابه "الشعر: غاياته ووسائطه" الصادر عام ١٩١٥ أيضا.

وللمازني من القصص الكثير، وله في فن المقالة الكثير أيضا، وهو من طليعة الكتاب المحدثين، وأجاد المازني في أدب الترجمة إجادة تامة.

-٣-

أما عبد الرحمن شكري (١٢ أكتوبر ١٨٨٦ – ١٥ ديسمبر ١٩٥٨) فهو من هو، من رواد المدرسة الحديثة في الشعر العربي، وهي المدرسة التي خلفت المدرسة القديمة المتمثلة في شوقي وحافظ وأضرابهما، والتي ورثت بلاغة البارودي ومذهبه، والتي بقيت امتداداتها حتى اليوم ممثلة في شعراء كثيرين لا يؤثرون بالشعر التقليدي المجدد شيئا.

وكان شكري من أكثر هؤلاء الرواد دعوة إلى التجديد، وحرصا عليه، وإيمانا به، ولداته في الدعوة إلى التجديد والجديد: مطران، وأبو شادي والمازني والعقاد.

وقد تأثرت مدرسة أبولو بمطران، وعدوه رائد الشعر الجديد وإمامه، وتأثر كثيرون بشكري وعدوه عميدهم ورائدهم، وفي مقدمة من تأثر به المازني زميله في مدرسة المعلمين العليا، والذي كتب الكثير في أستاذية شكري وإمامته.

وقد تعارف شكري والمازني والعقاد، وجمعت ثلاثتهم روابط الأدب وصلات الشعر، والدعوة إلى المذهب الجديد فيه، وقدم العقاد الجزء الثاني من ديوان شكري عام ١٩١٣ منوها بشاعريته وموهبته، وكتب المازني عام ١٩١٣ مقالات نشرها في جريدة عكاظ الأسبوعية يوازن بين شكري وحافظ، ويفضل شكري عليه. ثم فرقت الأيام بينهم، فأخذ المازني ينقد شكري، وكتب شكري في الجزء الخامس من ديوانه عام ١٩١٦ ينقد المازني ويأخذ عليه سرقاته من الشعراء الإنجليز. وتبادلا النقد على صفحات جريدة النظام، ونقد شكري المازني والعقاد على صفحات جريدة عكاظ في مقالات نشرها عام ١٩١٩ و١٩٢٠. ونقد المازني شكري في كتاب "الديوان" عام ١٩٢١ وسماه "صنم الألاعيب"، ولم يعد الصفاء بينهما إلا عام ١٩٣٤، حيث عاد المازني ينوه بشكري، ويقر بأستاذيته.

ومدرسة أبولو تقدر شاعرية شكري ومواهبه، وتعده ينبوعا من ينابيع الشعر الحديث. ويتمثل تجديد شكري في الجزء الأول من ديوانه "ضوء الفجر" الذي

صدر عام ١٩٠٩ وأعيد طبعه عام ١٩١٤، وفي الجزء الثاني منه (لآلئ الأفكار) الذي صدر عام ١٩١٣، والثالث (أناشيد الصبا عام ١٩١٥)، والرابع (زهر الربيع عام ١٩١٦)، والخامس (خطرات عام ١٩١٦)، والسادس (الأفنان عام ١٩١٨)، والسابع (أزهار الخريف عام ١٩١٩). ثم أعيد طبع الديوان كله عام ١٩٦٠ بعد وفاة شكري في مجلد واحد على نفقة عبد العزيز مخيون، وتقديم نقولا يوسف، وأضيف إلى الأجزاء السبعة جزء ثامن جمع فيه شعره منذ عام ١٩١٩ حتى وفاة الشاعر.

كما يتمثل كذلك في كتبه المطبوعة: الثمرات - الاعترافات - حديث إبليس - وقد ظهرت عام ١٩١٦. وفي كتبه المخطوطة الباقية والتي نشرت فصولها في المجلات.

وكان من أوائل ما قرأه شكري دواوين الشعراء القدماء، وفي القصيدة، ونظم من الشعر المرسل، وعدد صور القافية، وجدد في بحور الشعر، وألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية. ولم يحفل بشعر المناسبات، وشعره الغنائي المعبر عن ذات الشاعر وعاطفته صورة لتجديده. وكان شكري من أوائل من مهد لمذاهب النقد الحديثة في الأدب العربي، وسار على المذهب النفسي وطبقه في دراساته للشعراء القدامى والمعاصرين.

وكان من أوائل ما قرأه شكري دواوين الشعراء القدماء، وفي صدرهم ابن الفارض والمتنبي والشريف وابن الرومي، وقرأ للمحدثين وفي مقدمتهم البارودي. كما قرأ لشعراء الغرب وبخاصة شعراء كتاب "الكنز الذهبي".

لقد كان شكري أحد الشعراء العصريين من دعاة مذهب التجديد في مصر، نبغ في الشعر صغيرا، ونظم في الموضوعات الجديدة محتذيا شعراء الإفرنج، وألف كتابا في أدب الشعر نم عن اطلاعه الواسع. وهو أحد رواد التجديد الأدبي: العقاد - المازني - شكري - مطران. ومن العاملين على نقل الأدب الغربي إلى العربية بالترجمة.

ويعده مندور شاعر التأملات النفسية والاستبطان الذاتي ..

ويجمع النقاد المحدثون على عبقريته وشخصيته الفنية المبدعة وعلى أثره في نهضة الشعر المعاصر.

عبد الرحمن شكرى
رائد مدرسة الديوان
(١٢ أكتوبر ١٨٨٦م – ١٥ ديسمبر ١٩٥٨م)

-١-

عبد الرحمن شكرى، شاعر غنى للحياة، وللإنسان، وللطبيعة، وغنى للحب والأمل، والألم أيضا، أجمل الأغنيات، وأبدع القصائد.

ومنذ أكثر من ثلاثين عاما، ودع الشاعر، عبد الرحمن شكرى الحياة، عن اثنين وسبعين عاما، لقى فيها كل صنوف الألم والاضطهاد، والعذاب، ولم ينعم فيها بآماله وأحلامه، التى كان يتطلع إليها فى فجر شبابه، وقضى حياته فى غربة روحية رهيبة.

وكما يقول فى قصيدته "الشاعر البابلى المجهول" التى نظمها نحو عام ١٩٣٥، وهو فى التاسعة والأربعين من عمره، ويعنى بهذا الشاعر المجهول نفسه:

يا غريب الدار عن عينى
ناظرا فى غابر الزمن
هل سمعت اسمى وما نقل
الركب عن شعرى وعن فطنى
قد وصفت الحسن أجمعه
لم أدع فى الكون من حسن
وبحثت النفس قاطبة
لم يفتنى أيما شجن
سهر الأقوام واختصموا
فى منى راض ومضطغن
استباح الدهر من أدبى
ما استباح الدهر من وطنى

ولنرجع إلى الوراء قرنا من الزمان، وهانحن أولاء: الآن فى ١٢ أكتوبر عام ١٨٨٦م، فى مدينة بور سعيد مع أسرة مصرية من أصل مغربى، هاجرت إلى مصر. وأقامت فى بنى سويف حينا، ثم انتقلت إلى بور سعيد، المدينة الصغيرة، المطلة على البحر المتوسط والتى لم يكن قد مضى على إنشائها أكثر من ربع قرن .. هذه الأسرة هى أسرة (عياد)، ومنها كان حسن عياد، ثم ابنه أحمد شكرى عياد وكان يشغل وظيفة رئيس قلم المرور بميناء بور سعيد، كان ذا ثقافة عالية يجيد الفرنسية وآدابها إجادة تامة .. وأنجب أحمد شكرى ابنه محمدا، الذى حصل على قسط كبير من التعليم والثقافة، والتحق بوظيفة فى الضبطية فى المدينة، وكان وطنيا مخلصا محبا لبلاده، عاصر ثورة عرابى، وأيدها بكل قواه وطاقته، حتى اعتقل بعد هزيمة الثورة، وفصل من وظيفته، وظل فى السجن بضع سنين حتى أفرج عنه، وعاد إلى عمله، معاونا للإدارة فى هذا الثغر الجميل الذى ولد فيه ابنه عبد الرحمن شكرى، شاعرنا الرائع، الذى كان ميلاده فى الثانى عشر من أكتوبر ١٨٨٦م فى بيت صغير فى شارع أفريقية.

ووجه محمد شكرى طفله الصغير عبد الرحمن شكرى شطر التعليم، فنال الابتدائية من بور سعيد عام ١٩٠٠م وهو فى الرابعة عشرة من عمره.

وفى مشوار حياته الطويل تلقى تعليمه الثانوى فى مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية، ونال منها شهادة البكالوريا عام ١٩٠٤م بتفوق كبير.

وخلال هذه الفترة كان شكرى كثير القراءة فى جميع ألوان الثقافة والأدب والشعر، وكان لوالده مكتبة كبيرة حافلة، أفاد منها شكرى إفادة عظيمة، وفى الشعر قرأ للمتنبى وأبى العلاء والشريف الرضى ومهيار وابن الفارض والبهاء زهير والبارودى، والكثير مما وقع فى يده من دواوين الشعراء، وقرأ للشعراء الإنجليز، وبخاصة شعراء المدرسة الرومانسية، وفى مقدمتهم بايرون وشيلى، وسواهما، ممن تضمن مختارات من شعرهم كتاب الكنز الذهبى.

واتجه بعد ذلك إلى مدرسة الحقوق فالتحق بها عام ١٩٥٤م وفيها اتصل بالحزب الوطنى، الذى قاده مصطفى كامل، وعاصر الحركة الوطنية آنذاك بكل أحداثها، وفى عام ١٩٠٦م نظم قصيدته الوطنية الشهيرة وهى بعنوان "الثبات"

وألقاها زميله عبد الحميد بدوي - نيابة عنه في حفل وطني أقيم في الأزبكية. وفيها يخاطب الشباب يحثهم على الاستمساك بعرى الوطنية والنضال:

ثباتا فإن العار أصعب محملا
من الذل لا يفضي بنا الذل للعار
سيهزمهم منا أبوة ماجد
وهمة خطار وعزمة مقدار

فاتهم الاحتلال الشاعر بالتحريض على الثورة، وفصل من مدرسة الحقوق، بعد عامين من بدء دراسته بها.

وفي كتابه "الاعترافات" الذي طبعه عام ١٩١٦م تصوير لطفولته ومسارح صباه، وهو سيرة ذاتية له حتى سن الثلاثين .. وفيه وصف لآمال الشباب المصري وآلامه آنذاك، ولصموده في معركة التحدي للاستعمار.

ووجهه مصطفى كامل، بعد فصله من الحقوق، إلى إكمال دراسته العالية في مدرسة المعلمين العليا، فالتحق بها عام ١٩٠٦م وكان مقرها يومئذ بدرب الجماميز، في مكان المدرسة الخديوية، وكانت مدة الدراسة بها ثلاثة أعوام، وكان من أساتذة اللغة العربية فيها: حسن الطويل - أحمد ضيف - محمد بك دياب - عثمان أبو النصر .. وسواهم.

وقد تخرج شاعرنا شكري منها عام ١٩٠٩م، وكان من أهم الكتب الدراسية فيها "مجموعة الكنز الذهبي"، وهي مختارات من الشعر الإنجليزي الرومانسي، وقد ألفها أحد أساتذة الشعر الإنجليزي في كلية اكسفورد، وكان منتدبا إلى المعارف المصرية، ويعمل مشرفا فيها، ولما قرأ شكري هذه الأشعار الرومانسية الحالمة أعجب بها وأثرت تأثيرا شديدا في شاعريته.

ونظم شكري في هذه الفترة مراثيه في الإمام محمد عبده وفي مصطفى كامل، وفي قاسم أمين، وفي هذه الفترة أيضا نشر أول دواوينه الشعرية عام ١٩٠٩م وهو ديوان "ضوء الفجر" الذي قال حافظ فيه:

أفي العشرين تعجز كل طوق
وترقصنا بأحكام القوافي
شهدت بأن شعرك لا يجاري
وزكيت الشهادة باعترافي

لقد بايعت قبل الناس شكرى

فمن هذا يكابر بالخلاف؟

وأختير شكرى بعد تخرجه من المعلمين العليا عام ١٩٠٩م فى بعثة دراسية إلى إنجلترا، فسافر إليها، وأقام فيها ثلاث سنوات درس فيها التاريخ الدستورى والتاريخ القديم والحديث والجغرافيا والعلوم السياسية والاقتصادية والآداب الإنجليزية.

وفى هذه المرحلة كتب قصائد جميلة رائعة مثل قصيدة "الشتاء" فى إنجلترا، وقصيدة "شاعر فى الغربة" التى يقول فيها:

كنت مثل الغريد جيئ به من

روضه والزمان غير ذميم

حيث وجه النهار جذلان بسا

م، ووجه الظلام غير ذميم

ودواع إلى الغناء كثار

من حبيب وموطن وحميم

عاش يبكى أيامه حيث صفو الـ

عيش سهل الجناب سهل النسيم

انقضى عيشه غريبا عن الأهـ

ـل قليل العزاء جم الهموم

الهوى والحياة واليأس والحز

ن وريب من الزمان خصومى

ونظم كذلك قصيدته "حنين غريب" وفيها يقول:

انشقونى نسائم النيل، إنى

لعليل والنيل حاجة نفسى

أنا فى بلدة يمر بها الدهـ

ـر حزينا لا يستضيء بشمس

وعاد الشاعر إلى وطنه، فبادر عام ١٩١٣م بطبع الجزء الثاني من ديوانه الذي سماه "لآلىء الأفكار"، وقد صدر بمقدمة بقلم العقاد.

وعين الشاعر مدرسا للإنجليزية بمدرسة رأس التين الثانوية التي درس فيها دراسته الثانوية، وكان آنذاك في السابعة والعشرين من عمره، ودرس كذلك في المدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية وكان من تلامذته في الشعر: على أدهم، ونقولا يوسف، وعبد الحميد السنوسي، وحسن فهمي .. وسواهم من الأدباء والشعراء.

وفي هذه الفترة صدر له:

١- ديوانه الثالث "أناشيد الصبا" عام ١٩١٥م.

٢- ديوانه الرابع "زهر الربيع" عام ١٩١٦م.

٣- ديوانه الخامس "الخطرات" في العام نفسه.

٤- كتابه "الاعترافات"

٥- كتابه "الثمرات" وهذه كلها صدرت عام ١٩١٦م.

٦- كتابه "حديث إبليس".

٧- ديوانه السادس "الأفنان" عام ١٩١٨م.

٨- كتابه "الصحائف".

٩- ديوانه السابع "أزهار الخريف" عام ١٩١٩م.

وهو آخر دواوين الشاعر التي صدرت في حياته.

١٠- كتابه "الحلاق المجنون" بتوقيع ع. ش. وقد صدر عام ١٩١٩م.

ووقف الشاعر بعد ذلك عن طبع شيء من شعره ومن كتبه الأخرى.

شاهد شكري عهد الاحتلال، والحرب العالمية الأولى، وحركة الزعيم مصطفى كامل، وثورة ١٩١٩م، وعاش في الإسكندرية مكبلا بقيود الوظيفة. يلتف حوله كل شعراء الثغر. من أمثال السنوسي وحسن فهمي، وعبد اللطيف النشار وسواهم، وكان يلقونه عصر كل يوم في حديقة الشلالات في الثغر.

ومنذ عام ١٩١٩م انطوى الشاعر على نفسه، لأنه لم يجد من التقدير ما كان يستحقه، وعاش في نطاق الوظيفة، أستاذا للغة الإنجليزية، فناظرا للمدرسة الثانوية في الفيوم، فالزقازيق، فحلوان، فالعباسية الثانوية، ثم مفتشا للغة الإنجليزية.

وفي عام ١٩٣٨م قدم استقالته من الوظيفة وهو في الثانية والخمسين من عمره، وذلك بعد أن غلبه اليأس، واستولى عليه الحزن، وكما قال في شعره في مطلع شبابه من قصيدته "شكوى شاعر" التي ضمنها الجزء الثاني من ديوانه:

قد طال نظمي للأشعار مقتدرا
والقوم في غفلة عني وعن شأني

وقامت الحرب العالمية الثانية، وخلالها وبين الحين والحين كان يرسل نفثات يراعه إلى الرسالة والمقتطف والهلال فتنشرها له.

وترك الشاعر بعد استقالته من وظيفته مدينة الإسكندرية، وعاد إلى بور سعيد ليعيش مع أسرة أخيه، في شقة متواضعة من منزلهم في شارع أفريقية، حيث مسرح طفولته، ومهد صباه، وحيث قضى في مدينته وموطنه الأول سبعة عشر عاما (١٩٣٨م – ١٩٥٥م)، وكان الشاعر أعزب لم يتزوج ولم ينجب.

وفي يناير من عام ١٩٥٢م أصيب بالشلل، وكان في الطريق إلى منزله يحمل بعض كتب اشتراها من بعض المكتبات، ومع مرض السكر أيضا عاش الشاعر أواخر حياته الحزينة الصامتة.

وفي عام ١٩٥٥ انتقل الشاعر مرة أخرى إلى الإسكندرية حيث قضى بها ثلاث سنوات عجاف، مع بعض أقاربه، وبلغه نبأ احتراق منزل أخيه ببور سعيد في العدوان الثلاثي على المدينة عام ١٩٥٦م، كما علم بأسر ابني أخيه الضابطين في القوات البحرية المصرية، وتكاثرت الهموم على الشاعر، حتى لبى نداء ربه ظهر يوم الاثنين الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٥٨م.

وفي رابطة الأدب الحديث بالقاهرة كنا على وشك أن نزور شكري في عزلته الرهيبة حين بلغنا اشتداد وطأة المرض عليه، وكتبنا في الصحف آنذاك نلفت نظر الدولة إليه. وحين جدت الدولة في تكريمه وعلاجه مات الشاعر.

وصدق شكري فيما قال في قصيدته "رؤية شاعر" التي نظمها في سن مبكرة، وضمنها الجزء الثاني في ديوانه المنشور، عام ١٩١٣م وفيها يقول:

لئن خانني الذكر الجميل وملني
مسامع قومي أو غلبت على أمري

سيروى عظامي شاعر بدمانه
وينثر أزهار الربيع على قبرى

فيا ساكنا في الغيب هذى نبوءتي
فذكر بها القوم الآلى جهلوا قدرى

مات شكرى وترك خمسة كتب لم تر النور بعد، وكان قد نشرها فصولا فيما بين عامي ١٩١٩م، ١٩٥٢م في المقتطف والرسالة والثقافة والهلال، وهي:

١- نظرات في النفس والحياة، نشر مسلسلا بالمقتطف (١٩٤٧م - ١٩٥١م).
٢- الشعر العباسي.
٣- دراسات نفسية.
٤- بين القديم والجديد.
٥- أبحاث ودراسات شتى.

-٢-

ولعلنا لو قرأنا قصيدة شكرى "ظالمي ما أعدلك" (ص٢٥٦ من الديوان) لرأينا فيها خصائص مذهبه الشعرى كاملة .. يقول شكرى:

ظالمي ما أعدلك
فاقض إن الحكم لك

أى ذنب جنته
عن ودادى نقلك

أى أمر طارق
عن دعائى شغلك

قد بدا لى يا حبيبي
منك أن لا قلب لك

إن يكن فيك جمال
إن شعرى جملك

ليت لى يا قلب قلبا
طائعا لى بدلك

مـــــا أظـــــن الحـــــب إلا

بالغــــا بـــــى أجلـــــك

ويتمثل تجديد شكرى فى الجزء الأول من ديوانه "ضوء الفجر" الذى صدر عام ١٩٠٩م، وأعيد طبعه عام ١٩١٤م، وفى الجزء الثانى منه (لآلىء الأفكار) الذى صدر عام ١٩١٣م، والثالث (أناشيد) الصادر عام ١٩١٥م، والرابع (زهور الربيع) عام ١٩١٦م، والسابع (أزهار الخريف) عام ١٩١٩م، ثم أعيد طبع الديوان كله عام ١٩٦٠م، بعد وفاة شكرى فى مجلد واحد على نفقة عبد العزيز مخيون، وقدم له نقولا يوسف، وأضيف إلى الأجزاء السبعة جزء ثامن جمع فيه شعره منذ عام ١٩١٩م حتى وفاة الشاعر.

كما يتمثل كذلك فى كتبه المطبوعة: الثمرات – الاعترافات – حديث إبليس – وقد ظهرت عام ١٩١٦م، وفى كتبه المخطوطة الباقية والتى نشرت فصولها فى المجلات.

وترجع أهمية شكرى فى الشعر المصرى الحديث إلى أنه هو البدء الحقيقى للمدرسة الحديثة، وللحركة الرومانسية فى الشعر المعاصر، وأنه منذ كان طالبا فى مدرسة المعلمين العليا، كان يدعو إلى القيم الشعرية الرومانسية الأصيلة، من تجربة شعرية، ووحدة عضوية، وحرص على الموسيقى، وعلى أن تكون القصيدة الغنائية ذاتية الطابع، وجدانية المشاعر، ممثلة لشخصية الشاعر الفنية تمام التمثيل، ومن ثم نادى بنظرية جديدة، أسماها "شعر الوجدان" وجعلها شعارا له، كتبه على الجزء الأول من ديوانه الذى سماه "ضوء الفجر"، ويتمثل هذا الشعار فى بيته المشهور:

أيـــا يـــا طـــائر الفـــردوس

إن الشـــــعر وجـــــدان

واحتفل شكرى فى شعره، بالقصة الشعرية، وبالطبيعة وبالألم والأنين والحنين، وبكل أدوات الرومانسية، وعناصرها الفنية فى القصيدة الشعرية.

وكانت المدرسة الرومانسية هذه هى التى قامت فى وجه مدرسة البعث التى قادها شوقى وحافظ وأضرابهما، ودعتها إلى أن تخفف غلوائها فى شعر

النماذج، وأن تبدأ مرحلة شعر الوجدان، لتكون القصيدة تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته، فيبعد بها عن المناسبات الطارئة، وعن التقليد الضعيف للقدماء.

وشخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر عنده، فإذا كان الشاعر يشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذي يجب أن يحتفى به، يقول شاعرنا: "الشعر ما أشعرك بعظمته وجعلك تحس عواطف النفس إحساسا شديدا".

والمضمون الشعري عنده لابد أن يتخذ في الشعر الغنائي الطابع الذاتي، سواء استمده الشاعر من الطبيعة أم من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية.

والأصالة، وصدق الشاعر في عاطفته وشعوره، وتناوله لشتى الموضوعات الإنسانية، وهيامه بالطبيعة، وبعده عن الزيف والتقليد، وعن شعر المناسبات، وتلقيح القصيدة بالمعاني والأخيلة والصور الغريبة كل ذلك جزء لا يتجزأ من بناء القصيدة.

وأهم البواعث عنده في نظم الشعر هو الحب والطبيعة والبطولة والخواطر والتأملات والشعور بشخصية الفنان وتجربته الشعرية.

ويشرح شكري مذهبه في الشعر في كلمة كتبها مقدمة للجزء الخامس من ديوانه، بعنوان "في الشعر ومذاهبه" والتي نادى فيها بطلاقة الأسلوب، وشخصية الشاعر، وتعبيره عن ذاته تعبيرا قويا مباشرا، كما نادى بوحدة القصيدة .. ونظم الشعر المرسل، وعدد صور القافية، وأعلن الثورة على التقليديين ومذاهبهم.

وبهذا بدأ شكري دعوته إلى التجديد في الشعر المصري الحديث، وبدأ بذلك كفاحا طويلا في سبيل التحرير الفني للقصيدة، ومن أجل تطوير أسلوب الشعر ومضمونه وموسيقاه.

وكان شكري يجمع بين التيار العاطفي الشاكي المتشائم والمتمرد والتيار الفكري المسترسل الهادئ، فزاوج بين الجانب التأملي وبين التأثيرات العاطفية الوجدانية.

وكان يكرر قوله في الاحتفاء بالوحدة العضوية للقصيدة ينبغي أن ننظر إلى القصيدة من حيث هي شيء فرد كامل، لا من حيث هي أبيات مستقلة، ذلك لأن قيمة البيت تأتي من كونه عضوا في جسم القصيدة الكلي.

على أن المذهب الرومانسي الذى دعا إليه شكرى كان له إرهاصات كثيرة ظهرت فى شعر مطران، ونثر المنفلوطي، وفى الشعر الغربى الذى ترجم إلى العربية، وبخاصة شعر لامرتين وهوجو وبايرون .. وسواهم.

-٣-

على أن النقاد جميعا يعترفون لشكرى بمنزلة الزعامة والريادة فى الحركة الشعرية التجديدية والمعاصرة.

يقول العقاد عنه: "إنه من أوائل من دعا إلى وحدة القصيدة، وجدد فى موسيقى الشعر، وألف القصة الشعرية والعاطفية والاجتماعية والتاريخية، بل كان شكرى من أوائل من مهدوا للمذاهب النظرية الحديثة فى الأدب المصرى الحديث".

ويقول عنه المازنى: "كان الجزء الأول من ديوان شكرى ويوميات العقاد بداية اقتحام المذهب الجديد فى الأدب – يريد الأدب الرومانسى – كما كان فاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم، مذهب شوقى وحافظ وأضرابهما.

ورأى فيه إنه شاعر التأمل النفسى والاستبطان الذاتى.

ومدرسة أبولو تقدر شاعرية شكرى وريادته ومواهبه، وتعد شعره ينبوعا من ينابيع الشعر الحديث، ويقول عنه أبو شادى: إنه شاعر الأصالة والعبقرية الشعرية، ويسمى مدرسة الديوان مدرسة شكرى فيقول: مدرسة شكرى التى انتسب إليها المازنى والعقاد، مدرسة شعرية متحررة منوعة، ولكن الفرق شاسع بين الأستاذ والتلميذ، فشكرى شاعر سابق لزمنه، وزعيم مدرسة مالت لما ابتعدت عن توجيهه ووحيه المباشر، ولكنه بنى مفاخر لن تموت للشعر العربى الحديث.

ونوه به السحرتى .. وجميع نقاد مدرسة أبولو يعدون شكرى رائدا لمدرسة الديوان ويعترفون بفضله على المازنى والعقاد.

يقول عنه رمزى مفتاح فى كتابه "رسائل النقد": إنه شاعر عظيم الموهبة، وهو الزعيم الأكبر، ومنشىء المدرسة الحديثة فى الشعر العربى.

ويقول عنه د. مختار الوكيل فى كتابه "رواد الشعر الحديث فى مصر": إن شاعريته تحتضن الحياة جميعها، وتصور الوجود بأسره، لأنه شاعر عبقرى، لا يقف دون التعبير عن شعوره حيال الكون كله.

وفى كتاب "قصة الأدب المعاصر": شكرى من رواد المدرسة الحديثة فى الشعر العربى، بل هو أشهر الرواد، وأكثرهم دعوة إلى التجديد، وحرصا عليه، وإيمانا بـه. وزملاؤه فى الدعوة إلى التجديد: العقاد والمازنى .. وممن لهم فى الدعـوة التجديدية حظ كبير أيضا مطران وأبو شادى.

وأهم حدث أدبى فى حياة شكرى هو دعوته إلى المذهب الرومانسى الجديد فى الشعر مع زميليه العقاد والمازنى.

لقد نشأت من آرائهم مدرسة جديدة فى الشعر المصرى، سميت باسم "مدرسة الديوان" نسبة إلى "كتاب الديوان" الذى أصدره العقاد والمازنى فى جزئين عام ١٩٢١م، وبسطا فيه آراء المدرسة فى الشعر والنقد. وقد تزعمت هذه المدرسة حركة التجديد فى الشعر الحديث، وألحت فى الدعوة إليه، ويؤكد العقاد أن "مدرسة الديوان" هى أول حركة تجديدية فى الشعر الحديث.

ويذكر العقاد فى كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم" إن ثقافة مدرسة شعراء الديوان كانت تتناول كل الثقافات العالمية عن طريق الأدب الإنجليزى، وإنها استفادت من النقد الإنجليزى استفادتها من الشعر وكل فنون الأدب الأخرى، وأنها اتخذت هازلت إماما لها فى النقد، وكان مرجعها الأول: "مجموعة الكنز الذهبى" وهى مختارات مشهورة من الشعر الإنجليزى من عصر النهضة إلى نهاية القرن العشرين.

وقد تعرف المازنى بشكرى فى مدرسة المعلمين العليا، وكان شكرى يسبقه فيها، وكتب المازنى فى جريدة السياسة (٥ أبريل ١٩٣٠م) مقالا يقول فيه:

"غبر زمن كان فيه شكرى محور النزاع بين القديم والجديد، ذلك أنه كان فى طليعة المجددين، إذا هو لم يكن الطليعة والسابق إلى هذا الفضل، فقد ظهر الجزء الأول من ديوانه وكنا يومئذ طالبين فى المعلمين العليا، وكانت صلتى به وثيقة، وكل منا يخلط صاحبه بنفسه، ولم أكن يومئذ إلا مبتدئا على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين فى الأدب، ورأى حاسم فيما ينبغى أن يكون عليه، ومن اللؤم الذى أتجافى بنفسى عنه أن أنكر أنه أول من أخذ بيدى ودلنى على المحجة الواضحة".

ثم تعرف المازنى بالعقاد فى جريدة الدستور التى كان يصدرها آنذاك المفكر الكبير محمد فريد وجدى، وكان العقاد أحد محرريها، وقاد المازنى العقاد إلى شكرى، وعرفه به، ومن ثم أصبح هؤلاء الثلاثة أخوة فى المذهب وفى الفكر وفى الحياة، وأخذوا يدعون إلى مذهبهم الشعرى، ولا يكادون يفترقون، ولا يكفون عن القراءة والكتابة.

وأخذ المازنى والعقاد يستزيدان من اللغة الإنجليزية على يدى صديقهما شكرى، ويتعمقان فى آداب الغرب والشرق، فى إعجاب شديد برائدهما شكرى، وبثقافته الواسعة. ولم يلبث هؤلاء الثلاثة أن صاروا مثالا رائعا للفكر المصرى فى أوائل القرن العشرين، فهم يمثلون النزعات الجديدة فى الشعر. وهم يميلون إلى الروماسية وشعرائها، ويقرأون للشعراء الرومانسيين الإنجليز، ويتأثرون بهم تأثرا شديدا، وهم يتخذون من مجموعة الكنز الذهبى زادا فنيا لهم فى الشعر.

وصدر الجزء الثانى من ديوان شكرى عام ١٩١٣م، وفى صدره مقدمة للعقاد أثنى فيها على شاعرية شكرى وموهبته الفياضة.

وكتب المازنى أيضا عدة مقالات نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية وازن فيها بين حافظ وشكرى وفضل شاعره على حافظ. ومن أجل ذلك هاجم حافظ المازنى، وعاد المازنى يكتب عن أخطاء حافظ الشعرية وذلك مما نشره فى كتابه: "شعر حافظ" الذى صدر عام ١٩١٥م.

وفى عام ١٩١٣م أصدر المازنى الجزء الأول من ديوانه وكتب العقاد مقدمته كذلك، رفع فيها من شأن الديوان، ورحب بظهوره، وباتجاهه نحو الرومانسية. وفى عام ١٩١٦م ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد.

وخاض الثلاثة معركة التجديد، مع شوقى وحافظ والمنفلوطى.

ولم تلبث الأيام أن فرقت بينهم فاعتزلهم شكرى، وإن كان يعد دائما الرائد الأول لمدرسة شعراء الديوان، وإمامها الذى اقتدت به.

وهاجم شكرى المازنى ورماه بسرقة شعره من شعراء المدرسة الرومانسية الإنجليزية، وبخاصة شعراء "مجموعة الكنز الذهبى" وذلك فى مقدمة الجزء الخامس من ديوان شكرى.

ولما أصدر المازني والعقاد الديوان وهو كتاب نقدى صغير. صدر في جزئين، نقدا فيه أحمد شوقي وحافظا وهاجم العقاد شعر شوقي هجوما شديدا لأنه ليس فيه كما قال شيء من تصوير النزعات الإنسانية، وليس تعبيرا عن ذات الشاعر. وليست القصيدة عنده ذات وحدة عضوية واحدة.

وهاجم المازني شكري في الديوان هجوما شديدا. وهاجم رمزي مفتاح الكتاب والعقاد ورماه بالسرقة من شكري.

وفي عام ١٩٣٠م عاد المازني إلى الكتابة عن شكري، وفضله على شعراء الشعر الحديث، فكتب في جريدة السياسة (عدد ٥ أبريل ١٩٣٠م) يعترف بفضل شكري. كما كتب بعد في جريدة البلاغ عدد أول سبتمبر سنة ١٩٣٤م ـ يقول:

كنا زميلين في مدرسة المعلمين العليا، ولكنه كان ناضجا وكنت فجا، وكان أديبا شاعرا واسع الاطلاع، وكنت جاهلا ضعيف التحصيل تناول يدى وشد عليهما، وكنت أقرأ ابن الفارض والبهاء زهيرا ففتح عيني على الثقافة العالمية، وعلى أعلام الأدب الغربي، وصرفني عن المقلدين، وأغراني بأصحاب المواهب والابتكار، وصحح لي المقاييس وأقام الموازين الدقيقة، وفتح عيني على الدنيا وما فيها، فأنا مدين له بكل ما أعان على ما صرت إليه.

عبد الرحمن شكرى .. من رواد الشعر

-١-

كان شكرى من رواد المدرسة الحديثة فى الشعر العربى، وهى المدرسة التى خلفت المدرسة الكلاسيكية الممثلة فى شوقى وحافظ وأضرابهما، والتى ورثت بلاغة البارودى ومذهبه، والتى بقيت امتداداتها حتى اليوم ممثلة فى شعراء كثيرين لا يؤثرون بالشعر التقليدى التراثى المجدد شيئا.

وكان شكرى من أشهر هؤلاء الرواد، وأكثرهم دعوة إلى التجديد، وحرصا عليه، وولعا به .. ولداته وزملاؤه فى الدعوة إلى التجديد والجديد: خليل مطران، وأحمد زكى أبو شادى، وعبد القادر المازنى، والعقاد.

وقد تأثر الدكتور أبو شادى ومدرسته، مدرسة الأبوللين، بمطران. وعدوه رائد الشعر الجديد. وتأثر كثيرون بشكرى وعدوه عميدهم ورائدهم. ومن أوائل من تأثر بشعره وشاعريته عبد القادر المازنى زميل شكرى فى مدرسة المعلمين العليا. والذى كتب الكثير فى شتى المناسبات عن أستاذية شكرى وريادته، ومما قاله المازنى عنه:

"كان شكرى أول من أخذ بيدى، وسدد خطاى، ودلنى على المحجة الواضحة".

-٢-

عرف المازنى شكرى فى دار المعلمين العليا فى القاهرة، ثم تعرف بالعقاد، وعرف به شكرى. وجمعت ثلاثتهم روابط الأدب، وصلات الشعر، والدعوة إلى المذهب الجديد فيه. وقدم العقاد الجزء الثانى من ديوان شكرى عام ١٩١٣م، وأثنى على شاعريته وموهبته. وكتب المازنى عام ١٩١٣م عدة مقالات نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية يوازن فيها بين شكرى وحافظ، ويفضل شكرى عليه.

وهكذا جمعت زمالة العلم والشباب فى مدرسة المعلمين العليا فى القاهرة فى أوائل القرن العشرين بين طالبين صغيرين هما: إبراهيم عبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى، وكانا طالبين من أنبغ الطلاب فى هذه المدرسة؛ وربطت بينهما

هذه الزمالة برباط وثيق، ثم أكدت هذه الصلة الحياة ووحدة الثقافة والاتجاه بينهما وبين العقاد. وأصبح هؤلاء الثلاثة يمثلون فكرا أدبيا جديدا، دعوا إليه، وكتبوا حوله، ودخلوا معارك نقدية كثيرة من أجله.

وكان هؤلاء الثلاثة مثالا رائعا للفكر العربي في أوائل القرن العشرين. فهم يمثلون النزعات الجديدة في الشعر في ذلك الحين، وهم يقرأون للشعراء الرومانسيين الإنجليز من أمثال: وردزورث، وشيلي، وبيرون، وكيتس، وغيرهم، ويتأثرون بهم في منحاهم الرومانسي، وكانت في أيدي الشباب في مصر آنذاك، وفي عهد سطوة الاحتلال الإنجليزي وتشديد قبضته على التعليم إبان ذلك العهد، مجموعة شعرية مشهورية، اسمها "مجموعة الكنز الذهبي"، اختارها وجمعها مشرف إنجليزي في وزارة المعارف المصرية آنذاك، اسمه "فرانسيس بالجريف" وكان أستاذا للشعر في جامعة أكسفورد، وكانت هذه المجموعة رومانسية الطابع، وقرأها شكري والمازني وتأثرا بطابعها. وكان العقاد آنذاك صحفيا شابا يكتب مقالاته وقصائده في جريدة "الدستور" التي كان يصدرها الكاتب المعروف الأستاذ محمد فريد وجدي، وفي غيرها من الصحف. وجمعت النزعة الأدبية بين هؤلاء الثلاثة – شكري والعقاد والمازني – دعاة إلى الجديد والتجديد. وكانوا قد قرأوا التراث، وتزودوا بشعر المتنبي والشريف الرضي وابن الرومي ومهيار والمعري والبارودي وغيرهم من أعلام الشعراء.

-٣-

وكان ميلاد شكري في مدينة بور سعيد عام ١٨٨٦م، ومن إحدى مدارسها نال الابتدائية عام ١٩٠٠م، ثم عاش في الإسكندرية بعد ذلك أربع سنوات هي أيام تعليمه الثانوي في مدرسة رأس التين الثانوية، ثم سافر إلى القاهرة والتحق بمدرسة الحقوق عام ١٩٠٤م وقضى فيها عامين فصل بعدهما عام ١٩٠٦م، لاشتراكه في بعض المظاهرات الوطنية ونظمه الشعر في التنديد بالاحتلال الإنجليزي. فاضطر إلى الالتحاق بمدرسة المعلمين العليا بالجماميز بالقاهرة، وكانت مدة الدراسة بها ثلاث سنوات. ولم يلبث شكري أن تخرج عام ١٩٠٩م: ثم أوفد في بعثة دراسية إلى إنجلترا لتفوقه، وسافر إليها، وأقام فيها ثلاث سنوات، في جامعة شفيلد حتى انتهى

من دراسته وعاد إلى أرض الوطن عام ١٩١٢م، فعين مدرسا في مدرسة رأس التين الثانوية، ثم في المدرسة العباسية.

كتب العقاد عام ١٩٥٩م يقول عن صديقه شكرى: عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة، فلم أعرف قبله ولا بعده أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية، وما يترجم إليهما من اللغات الأخرى، ولا أذكر أننى حدثته عن كتاب قرأته إلا وجدت منه علما به وإحاطة بخبر ما فيه، وكان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت إليها، ولاسيما كتب القصة والتاريخ. وقد كان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة، نافذ الفطنة، حسن التخيل، سريع التمييز بين ألوان الكلام. فلا جرم أن تهيأت له ملكة في النقد على أوفاها، لأنه يطلع على الكثير، ويحيد منه ما يستحسنه ولا يأباه، فلا يكلفه نقد الأدب غير نظرة في الصفحة والصفحات، يلقى بعدها الكتاب وقد وزنه وزنا لا يتأتى لغيره في الجلسات الطوال.

وعادت الأيام تفرق بين هؤلاء الأصدقاء الثلاثة، بفعل الوشاة والوشاية؛ وأخذ المازنى ينقد صديقه القديم عبد الرحمن شكرى، ورد عليه شكرى فكتب في الجزء الخامس من ديوانه الصادر عام ١٩١٦م أينقد المازنى ويأخذ عليه سرقاته من الشعر الغربى، وتبادلا النقد على صفحات جريدة النظام، ونقد شكرى صديقيه العقاد والمازنى على صفحات عكاظ في مقالات نشرت عام ١٩١٩م وعام ١٩٢٠م. ولما أصدر العقاد والمازنى "الديوان" عام ١٩٢١م نقدا فيه عبد الرحمن شكرى، وسماه المازنى "صنم الألاعيب" ورماه بالشعوذة والجنون.

وقد صدر الديوان آنذاك في جزئين .. وقد أحدث هذا الكتاب الصغير ضجة كبيرة في الجو الأدبى والشعرى في مصر والعالم العربى؛ وبه سميت مدرسة العقاد والمازنى وشكرى مدرسة الديوان، بل كان له تأثيره على شباب الشعراء والأدباء، وعلى شيوخهم كذلك، من مثل المنفلوطى وشوقى؛ وأنا أعد عام صدوره بدء الحركة الحديثة في الشعر فلقد غير من نظرية عُمود الشعر القديمة، وعلى الرغم من أن شكرى فارق زميليه وتركهما وحدهما في الميدان، إلا أنه يعد رائد هذه المدرسة الأول.

ومن حيث كان مطران يترعم حركة الدعوة إلى الشعر الموضوعي، كانت مدرسة شعراء الديوان تدعو إلى الجانب الذاتي أو الغنائي منه: فشعرها هو شعر الوجدان، الذي يعبر عن ذات الشاعر وشخصيته أبلغ تعبير، وقد اتخذ شكري شعارا له وضعه على الجزء الأول من ديوانه الصادر عام ١٩٠٩م، والذي سماه "ضوء الفجر"، والشعار هو هذا البيت:

ألا يـــا طـــائر الفـــردوس إن الشـــعر وجـــدان

وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال، واتجه العقاد إلى شعر الفكرة، ودافع عنه في ديوانه "بعد الأعاصير".

-٤-

وإذا كان التقاطع قد هدم الصلات الأخوية التي كانت قائمة بين هؤلاء الثلاثة، فإن حبل الصفاء قد عاد مرة أخرى يربط بين هؤلاء الرواد الثلاثة برباطه الوثيق، وذلك عام ١٩٣٤م، حيث كتب المازني من جديد ينوه بشكري، ويقر بأستاذيته، مرددا قوله:

حنوت على الود الذي كان بيننا
وإن صد عنه ما جنينا على الود
فياليت أني قد غفرت جفاءه
ونبوته حتى يصد عنه الصد
وأكتم من آلام نفسي عزة
إذا لم يتح لي ما أزيل به وجدي

وكان شكري في ذلك العام، عام ١٩٣٤م، قد رقي ناظرا بالمدارس الثانوية، وعمل مفتشا في التعليم الثانوي بعد ذلك ما بين عامي ١٩٣٥ و١٩٣٨م، إلى أن اعتزل الخدمة، وآثر التفرغ لنفسه وللشعر.

وكتب المازني معاودا اعترافه بأستاذية شكري، يقول:

"كنا طالبين في مدرسة المعلمين العليا، وكانت صلتي به وثيقة. وكان كل ما يخلط صاحبه بنفسه. ولكنني لم أكن يومئذ إلا مبتدئا. على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين في الأدب، ورأي حاسم فيما ينبغي أن يكون عليه: ومن اللؤم، الذي أتجافى بنفسي عنه، أن أنكر أنه أول من أخذ بيدي، وسدد خطاي.

ودلني على المحجة الواضحة، وإنني، لولا عونه المستمر، لكان الأرجح أن أظل أتخبط أعواما أخرى، ولكان من المحتمل جدا أن أضل طريق الهدى"[1].

-٥-

وفي شباب شكري صدر له سبعة أجزاء من ديوانه:

الجزء الأول صدر عام ١٩٠٩م بعنوان "ضوء الفجر".

والثاني صدر عام ١٩١٣م بعنوان "لآلئ الأفكار".

والثالث صدر عام ١٩١٥م بعنوان "أناشيد الصبا".

والرابع صدر عام ١٩١٦م بعنوان "زهر الربيع".

والخامس صدر عام ١٩١٦م بعنوان "خطرات".

والسادس صدر عام ١٩١٨م بعنوان "الأفنان".

والسابع صدر عام ١٩١٩م بعنوان "أزهار الخريف".

ثم أعيد طبع الديوان في مجلد واحد عام ١٩٦٠م، وأضيف إلى الأجزاء السبعة جزء ثامن جمع فيه شعره منذ عام ١٩١٩م، حتى نهاية حياة الشاعر.

وصدر لشكري كذلك كتبه: الثمرات، والاعترافات، وحديث إبليس، التي ظهرت عام ١٩١٦م، والصحائف الذي صدر عام ١٩١٨م، والحلاق المجنون الذي صدر عام ١٩١٩م.

وعاد شكري إلى العزلة في مدينته بور سعيد، حيث أقام فيها سبعة عشر عاما ما بين عامي ١٩٣٨ و١٩٥٥م، وكان قد أصيب بالشلل النصفي في يناير عام ١٩٥٢م.

وفي عام ١٩٥٥م انتقل إلى الإسكندرية، ليقضي فيها باقي حياته، في عزلة أشد من عزلته الأولى، وذلك بين أسرته وحيث الشاطئ والبحر والجو الجميل.

وخلال إقامته في بور سعيد كان يبعث بفصوله الأدبية إلى مجلة المقتطف حيث تنشر فيها مذيلة بتوقيعه بالحروف الأولى لاسمه (ع. ش). ولا تزال كتب أخرى له مخطوطة، وهي: نظرات في النفس والحياة، بين القديم والجديد، الشعر العباسي، دراسات نفسية، أبحاث ودراسات شتى.

---

[1] جريدة السياسة عدد ٥ أبريل ١٩٣٠ من مقالة للمازني عن التجديد في الأدب.

-٦-

وفي ديوانه كثير من القصائد التي تحدث فيها عن شعره وشاعريته، وعن مذهبه الجديد في الشعر. ومن ذلك قصيدتاه: شكوى شاعر، ونبوءة شاعر، وهما في الجزء الثاني من ديوانه ومطلع الأولى:

قد طال نظمي للأشعار مقتدرا
والقوم في غفلة عني وعن شاني

وفي الثانية يقول شكري:

لئن خانني الذكر الجليل وملني
مسامع قومي أو غلبت على أمري
سيروى عظامي شاعر بدموعه
وينثر أزهار الربيع على قبري
إذا جنني الليل البهيم أطاف لي
خيالا له يزري على صفحة البدر
يجئ مجئ النوم من حيث لا أرى
ويسمعني ما قد قرضت له شعري

ويشرح شكري مذهبه في الشعر في مقدمته الطويلة، التي كتبها مقدمة للجزء الخامس من ديوانه بعنوان "في الشعر ومذاهبه"، والتي نادى فيها بوحدة القصيدة، ودعا إلى حرية التعبير، وطلاقة الأسلوب، وتصوير الشعر لنفس الشاعر، وتعبيره عن وجدانه تعبيرا صادقا مباشرا، وأعلن خصومته للتقليديين ومذاهبهم في الشعر، وقد اتسم شعره بنزعة إنسانية عميقة، تتجلى في مثل قصائده: اليتيم - زناء عصفور - غلام مريض.

وكان أبو شادي وشعراء ونقاد مدرسته، من مثل ناجي والسحرتي ود. مختار الوكيل ووديع فلسطين، من أكثر الناس حبا في إنصاف هذا الشاعر الذي غبنه معاصروه ولم ينصفه زمنه.

ولقد كتب عنه مندور في كتابه "الشعر المصري بعد شوقي" كما كتب عنه السحرتي في كتابه "الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث" وكتب عنه د. مختار

الوكيل فى كتابه "رواد الشعر الحديث فى مصر" .. وفى كتاب "الأدب العربى الحديث ومدارسه" فصل طويل عنه، ومقدمة ديوانه التى كتبها نقولا يوسف عنه بعد وفاته ذات أهمية فى الإلمام بحياة الشاعر والمؤثرات العديدة فى شعره، وقد طبع هذا الديوان بعد وفاة شكرى، وذلك عام ١٩٦٠م على نفقة الأستاذ عبد العزيز مخيون، ويشير إلى شكرى كل من كتبوا عن الشعر المعاصر وفى مقدمتهم الدكتور شوقى ضيف فى كتابه "الشعر المعاصر"، وكذلك كل من كتبوا عن مدرسة الديوان.

على أن حب شكرى للطبيعة وهيامه بها جزء أصيل من كيانه وشاعريته وشعره، فقد ولد ونشأ وعاش على شاطئ البحر الأبيض المتوسط فى بور سعيد والإسكندرية.

وأخيرا توفى الشاعر فى منتصف شهر ديسمبر من عام ١٩٥٨م، بعد أن مل الحياة وملته الحياة، وكما كان يقول:

وقضى عيشه غريبا عن الأهل
قليل العزاء جم الهموم
إن أكن عائشا فعيش عليل (م)
النفس يذوى مثل الرجاء العقيم
الهوى والحياة واليأس والحزن
وريب من الحياة خصومى

شكرى .. والشعر الحديث

مدارس التجديد فى الشعر الحديث بدأت دعوتها منذ أوائل القرن العشرين.. وتعتد مدرسة أبوللو بمطران ودعوته إلى التجديد فى القصيدة، وإلى الوحدة العضوية، والشعر الموضوعى، والجانب الذاتى فى الوصف؛ ويرى العقاد فى كتبه ومقالاته أن مدرسة الديوان هى أول حركة تجديدية فى الشعر الحديث، ويقول المازنى: إن الجزء الأول من ديوان شكرى ويوميات العقاد كانا بداية اقتحام المذهب الجديد فى الأدب والشعر، وقد قام الصراع بينه وبين المذهب القديم، مذهب شوقى وحافظ وأضرابهما؛ ولكن أؤكد أن بداية المذهب الجديد فى الشعر الجديد كان ظهور كتاب الديوان بجزئيه عام ١٩٢١م.

ومدرسة الديوان - شكرى والعقاد والمازنى - بدأت دعوتها بالدعوة إلى الشعر الوجدانى أو الذاتى .. وينوه د. أبو شادى رائد مدرسة أبوللو بشكرى، ويعده ينبوعا من ينابيع الشعر الجديد؛ والعقاد كذلك نوه بألمعية شكرى، وإن كان لم يعترف بإمامته وريادته لمدرسة الديوان، ولم يجعل نفسه علة على أحد فى المذهب الجديد الحديث، ويعد العقاد شكرى زميلا له فى المدرسة، ويقول: أنه من أوائل من دعوا إلى وحدة القصيدة ونظموا القصة الشعرية وجددوا فى موسيقى الشعر، ولم يحفلوا بشعر المناسبات. من حيث يعترف المازنى بأستاذية شكرى له، ويعده فى طليعة المجددين إذا هو لم يكن الطليعة والسابق إلى هذا الفضل (السياسة عدد ٥ أبريل ١٩٣٠)، ويقول - من اللؤم أن أنكر أنه أول من أخذ بيدى وسدد خطاى (المرجع نفسه).

ويذكر د. مختار الوكيل فى كتابه "رواد الأدب الحديث فى مصر" إن شكرى هو الذى كان يوجه زميليه العقاد والمازنى نحو الأدب الغربى، ويذكر المازنى أنه كان يقرأ ابن الفارض والبهاء زهير والبحترى وابن الرومى والشريف الرضى والمعرى وأبا نواس وشعراء الحماسة وأن شكرى هو الذى فتح عينيه على شكسبير وبيرون ووردزورث وشيلى وميلتون وهازليت ولى هنت وماكولى وشيلر وجوته وموليير وراسين وروسو وغيرهم، وهو الذى صرفه عن المقلدين وأغراه

بأصحاب المواهب والابتكار "السياسة عدد أول سبتمبر ١٩٣٤". والعقاد ينكر أن يكون شكرى هو صاحب الفضل عليه فى توجيهه إلى الأدب الغربى (الجهاد عدد ٤ سبتمبر ١٩٣٤).

ويعتد العقاد بذوق شكرى النقدى، ويقول إنه لم يسبقه أحد فيه، وكان يدعو إلى تطبيق البلاغة النفسية المستمدة من أدب المغرب على ما يقرؤه من شعر الفحول فى العربية، ويجعله أول من كتب فى العربية عن الفرق بين تصوير الخيال وتصوير الوهم، وهما ملتبسان حتى فى موازين بعض النقاد الغربيين (١٨٣ حياة قلم).

وفى مقدمة شكرى للجزء الخامس من ديوانه ينادى بطلاقة الأسلوب وتصوير الشعر لنفس الشاعر وتعبيره عن وجدانه تعبيرا صادقا مباشرا، ويقول: أنه ينبغى للشاعر أن يتذكر كى يجىء شعره عظيما، لا يكتب للعامة ولا لأمة، وإنما يكتب للعقل البشرى، ونفس الإنسان أين كان، وهو لا يكتب لليوم الذى يعيش فيه، وإنما يكتب لكل يوم وكل دهر.

لقد حمل شكرى دعوة التجديد فى الشعر الحديث رائدا وموجها وداعيا إلى المذهب الجديد بكل قوة طيلة حياته الخاصة الحافلة بالألم والأحزان.

عباس محمود العقاد

(٢٨ يونيو ١٨٨٩ - ١٢ مارس ١٩٦٤م)

(١)

العقاد عبقري موهوب، وأديب مفكر، وناقد زكي، وكاتب عصامي، وإمام من أئمة الأدب والشعر في العالم العربي، وكان شاعرا مجددا يجمع بين قوة العاطفة، وعمق الفكر، ظهر في الميدان الأدبي والفكري والسياسي في مصر، من أوائل القرن العشرين. واشترك في مختلف الحركات الوطنية والفكرية، ونال الصدارة في كل مجال وميدان.

ظهر في سنة ١٩١٣ الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن شكري (١٢ أكتوبر ١٨٨٦ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨م)، وفيه مقدمة قيمة بقلم الأستاذ العقاد عن الشعر ومزاياه، يقول في مستهلها عن الشعر: "ليس الشعر لغوا تهذي به القرائح فتتلقاه العقول في ساع كلالها وفتورها، فلو كان كذلك لما كان هذا الشأن في حياة النفس، لا بل الشعر حقيقة الحقائق ولب الألباب والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها".

وفي عام ١٩١٤م ظهر الجزء الأول من ديوان المازني، وفيه مقدمة رائعة بقلم العقاد عنوانها "الطبع والتقليد" يقول في أولها: "حسب بعض الشعراء اليوم أنه ليس على مبدعهم إن أراد أن يكون شاعرا عصريا إلا أن يرجع إلى شعر العرب بالتحدي والمعارضة، فإن كانت العرب تصف الإبل والخيام والبقاع، وصف هو البخار والمعاهد والأمصار، وإن كانوا يشبهوا في أشعارهم بدعد ولبنى والرباب، ذكر اسما من أسماء نساء اليوم، ثم يحور من تشبيهاتهم، ويغير مجازتهم بما يناسب هذا التحدي، فيقل حينئذ إن الشاعر مبتدع عصري، وليس بمقلد قديم، وهذا حسبان خطأ، فما أبعد هذا الشعر عن الابتداع، والأخلق به أن يسمى الابتداع التقليدي، لأنه ضرب من ضروب التقليد، فلولا أن شاعرا سبق هؤلاء الشعراء لما استطاعوا أن يعرضوه".

وفي سنة ١٩١٦م ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد الذي أسماه في الطبعات التالية "يقظة الصباح"، وأذكر أني أدمنت قراءته حتى استظهرت أكثر قصائده، وقد امتازت قصائد هذا الديوان بما كان يسميه العقاد "الوحدة العضوية" فكانت القصيدة تقوم على موضوع واحد تتناوله من شتى نواحيه، في وحدة مسلسلة، وترابط يكاد يكون منطقيا، على خلاف ما ألفناه في الشعر القديم، وفي شعر الشعراء الذين كانوا يتبعون في نظم قصائدهم طرائق القدماء، وقد أعجبتني هذه الطريقة في ديوان شكري، وديوان المازني، وديوان العقاد. ولا شك أنهم تأثروا بأدب الغرب في اتباع هذه الطريقة وبخاصة في العهد الذي ساد فيه الأدب الروماني.

وظهرت الحركة القومية التي قادها المرحوم سعد زغلول، وكان العقاد في طليعة الكتاب الوفديين المناضلين عن مبادئ الوفد وخطته، حيث ناصره العقاد بقلمه، ووقف بالمرصاد لخصومه، وبرز في الجدل السياسي والحملات الحزبية، ولم يحل ذلك دون بذله الجهود الأدبية، فظهر في سنة ١٩٢١م الجزء الأول والثاني من كتاب "الديوان" وقد اشترك معه في تحريره الأستاذ المازني، وهاجم العقاد في كتاب الديوان شعر شوقي هجوما عنيفا، ونقده نقدا مريرا .. لم يكن دائما البادئ بل كان موقفه موقف المدافع الذي يرد الهجوم، وكان شوقي لا ينفك يغري به صاحب جريدة عكاظ الشيخ فهيم قنديل، فكان لا يخلو عدد من أعدادها من نقد للعقاد أدخل في باب الهجاء والسباب منه في باب النقد الأدبي.

-٢-

وكان في العقاد حدس الشاعر ورهافة حسه ودقة ملاحظة العالم وقدرته على التحليل والتعليل وعمق الفيلسوف ونفاذ نظراته وسعة إحاطته، وكان العقاد يلتزم القصد في حياته ويتحرى الاعتدال فيعيش في كتبه ومطالعاته ولكنه مع ذلك لا ينسى نصيبه من الدنيا، ولكن في غير إسراف، وكان حريصا على حياته وصحته ووقته ولم يكن بخيلا بماله، وكان يعتز بلغته ودينه وعروبته، ومع ذلك كان واسع الأفق إنساني النظرة، يكتب عن غاندي ويشيد به كما يكتب عن عمر بن الخطاب وأبي

بكر الصديق، ويعجب بالزعيم الباكستاني جناح، كما يعجب بمحمد فريد وسعد زغلول، ويكتب عن عبقرية محمد، كما يكتب عن عبقرية المسيح.

وكان يؤمن بالحياة والعظمة والبطولة، ويشك في الذين يستقصون مواقف الأبطال ويسفهون أحلامهم، ويحيطون بواعثهم بالريب أو يردونها إلى التماس المصلحة الشخصية وطلب المجد الذاتي.

وكان أدب العقاد وشعره كذلك سواء فيما قدمه من خواطر إنسانية أو فيما جعله صورة كذلك لمجتمعه وبيئته.

وقد استغل هذا المضمون في شعره الوطني والاجتماعي، فهو عندما أراد أن يدعو مواطنيه إلى العزة والصمود والاستقامة والكرامة لم يقف موقف الواعظ، ولكنه وقف موقف الأديب الثائر فصور مجتمعه وكأنه متشائم من الأوضاع التي يراها، فالمائعون المتملقون يتولون أسمى الوظائف، وأعيان الدولة جماعة ضعفت نفوسهم وقلت علومهم، وفشت خستهم ودناءتهم، وكثر نفاقهم وتملقهم وجثوا خاضعين تذللا، واللئام قد بلغوا أسمى الدرجات فكأنهم القرود، وقد اعتادوا التسلق. فهو الذي يقول في قصيدة جعل عنوانها "زماننا"[1]:

فشت الجهالة واستفاض المنكر
فالحق يهمس والضلالة تجهر
إنا لفي زمن كأن كباره
بسوى الكبائر شأنها لا يكبر
من كل ذي وجه لو أن صفاته
تندى لكان من الفضيحة يقطر
بئس الزمان لقد حسبت هواءه
دنسا وأن بحاره لا تطهر

-٣-

كان العقاد مولعا بالتجديد والإبداع والابتكار، وقد دفعه هذا الولع إلى الإسهام في إنشاء مدرسة شعرية سميت "مدرسة شعراء الديوان" وتعد أساسا للأدب الرومانسي في الأدب العربي.

---

[1] الجزء الأول من ديوانه، ص١١١

وأهم البواعث عند هذه المدرسة في نظم الشعر، الحب والصدق والعاطفة وجمال الطبيعة وتحبيب القيم المعنوية والاعتزاز بالنفس وتخليد مظاهر البطولة وإبراز الخواطر والتأملات، فهي قد حررت الشاعر من ربقة العبودية وأبعدته عن التملق والتكسب.

وكان العقاد يتناول الأغراض الشعرية المتنوعة، ولكنه كان يبدع في الوصف وفي إبراز عواطف الحب الكامنة في نفسه، وفي إبداء خواطره الفلسفية التي اقتبسها من تجاربه ومن ثقافته الواسعة التي روضت فكره على التعميق في البحث والإمعان في الملاحظات.

فقد تحدث في شعره عن الإنسان، وعن سر وجوده، وعن عجزه عن معرفة سر الكون الغامض، وعن حاجته إلى الإيمان، كما عبر عن كثير من خوالجه وتأملاته وارتساماته التي كانت مرآة لآرائه في الحياة، ومن ذلك قوله:

ما وجدنا من البرية إلا
خلقا زائفا وجهلا مبينا
حشرات لا تعرف الخير والشـ
ـر وفيها الهلاك للعارفينا[1]

وقوله:

أنصفت مظلوما فأنصف ظالما
في ذلة المظلوم عذر الظالم[2]

وقوله:

إذا صاحت الأطماع فاصبر فإنها
تنام إذا طال الصباح على النهم
وقهر الفتى آلامه فيه لذة
وفي طاعة اللذات شيء من الألم[3]

---

[1] عن الديوان الأول، ص٣٦.

[2] عن ديوانه: وحي الأربعين.

[3] عن الديوان الأول، ص٣٧.

والذى يتتبع شعر العقاد يجد فيه طابع التبرم والشكوى، ويظهر ذلك في جل الأغراض التى نظم فيها، ولقد كان يحاول أن يخفف بالشعر عن نفسه من حين لآخر. لكنه لم يزده الورد إلا عطشا فهو الذى يقول[1]:

ظمآن ظمآن لا صوب الغمام ولا
عذاب المدام ولا الأنداء ترويني
حيران حيران لا نجم السماء ولا
معالم الأرض في الغماء تهديني
يقظان يقظان لا طيب الرقاد يدا
نيني ولا سمر السمار يلهيني

وهاته القصيدة تعد من غرر قصائد العقاد. فهي نفثة من نفثاته، وعصارة حية ومرآة وضاءة لنفسه الرقيقة الحزينة القلقة.

إنه ظمآن حيران يقظان، إنه غصان أسوان حزين، يستعمل الشعر للتخفيف عن آلامه وأحزانه، ولكن الشعر لا يطفئ أواره، كما تطفئ الدموع أحزان المحبين، إنه يعيش وحيدا في هذه الحياة لا يجد قلبا يسعده ولا خلا يأسوه، أنه يتمنى أن تنتهي حياته وأن يمحوه الموت من الوجود لتفنى حسراته وأناته، وهكذا نجد العقاد يصور خوالجه، وفيها من رنات الأحزان ما يسترق القلوب ويستجلب المدامع. ولعل هذا القلق من الحياة هو الذى دفعه إلى الحذر منها وإلى التفكير في مصير الطارئين عليها. إنها مادامت حياة آلام وأحزان فلماذا يعمل من جديد على إيجاد أبنائه فيها؟ لهذا آثر حياة الوحدة، فهو من هذا الجانب شبيه بالمعرى الذى كان يقول:

وإذا أردتم بالبنين كرامة
فالحزم أجمع تركهم في الأظهر

وقد كتب العقاد قصيدة رائعة جعلها حوارا بين المعرى وابنه، الابن يريد أن يخرج إلى الوجود، أن يستمتع بالحياة، فقد ضاق بالعدم، وأحب أن يرى مفاتن الطبيعة وأن يستلذ بمحاسنها، إنه يتوق إلى رؤية الوجوه الحسان. ويود أن يرى

---

[1] الجزء الثانى من ديوان العقاد، ص١٩٤.

الورود والأزهار والفلاة والبحار، ولكن الأب يشرح لابنه أسباب إعراضه، فيقول عن الحياة:

شـــرها يـــا بنـــي شـــر ثقيـــل   خيرهـــا يـــا بنـــي خـــير قليـــل
أهلـــها يـــا بنـــي أهـــل حقـــود
زعموهـــا إلى الخلـــود تـــؤدي   مـــا رأينـــا ســـوى فنـــاء ولحـــد
قـــف ببـــاب الحيـــاة لا تدخلنـــها   واعتصم يـا بنـي مـا اسـطعت منـها
ســـوف ألقـــاك - فـأنتظر - بـــالوصيد[1]

وكان العقاد جعل هذه القصيدة تعبيرا عما يحس به، لذلك قدمها بتعليق وجيز قال فيه عن المعرى: أنه والد رؤوف صد أبناءه عن الحياة رحمة بهم، فيالها من رحمة لا يعرفها له أبناؤه.

وكان العقاد يقصد من تشاؤمه أن يستغله لإثارة غريزة الخير في الإنسان، فهو إذا صور الرذيلة فإنما يريد بذلك أن ينفر الإنسان منها، وإذا تضايق من معاملة البشر بعضهم لبعض فإنما يريد بذلك أن يخفف من سورة الظلم في النفوس الطاغية عساها أن تشعر بالشر الذى ترتكبه فترق أخلاقها وتعمل للمصلحة الإنسانية عامة، وقد حقق بعض الباحثين أن الأدب كلما كان هادفا إلى إصلاح المجتمعات فهو أدب إيجابي، وإن قدم في صورة تشاؤمية.

وقد هاجم العقاد طيلة حياته الشعر الحر، وثار على الابتذال والعامية والسوقية، ورأى الشعر فنا يجب أن ترتفع الأذواق إلى مستواه، لا أن ينزل هو إلى مستوى الناس، وكتب في "مجلة الهلال"[2] يقول:

"ليس في وسع "المتحررين" أن يحاربوا الشعر القديم، بتحريره كما يقولون من الوزن والقافية واللوازم الموسيقية، لأن أوزان الشعر أصيلة عميقة القرار في طبيعة الشعب كما نرى من أوزان الأزجال والمواويل وتراتيل الفرح والنواح في كل بيئة من بيئات الحضر والريف .. وبعض هؤلاء المتحررين يجهل أو يتجاهل معنى العروض، فيقول: إنه يزن الشعر بالتفعيلة وهي كلمة لا فرق بينها وبين ألوف الكلمات

---

[1] الديوان الثاني، ص١٨٤.

[2] عدد فبراير سنة ١٩٦٢.

فى الأوزان العروضية، إذ ليس فى اللغة كلمة تتجرد من أوزان التفاعيل، بين فعل وفاعل وفعولن، وفاعلان ومستفعلن ومفاعيلن وغيرها من مركبات الفعل والاستفعال، وإنما يأتى الوزن من جميع التفعيلات معا ويختلف بين بحر وبحر باختلاف التركيب واختلاف حركات الحروف. ومن قال أن التفعيلة هى "تصميم" المنزل أو الحجرة أو النافذة أو الباب، ولن يقوم بناء فوق وجه الأرض على مثل هذا التصميم؟ وقد عجزت هذه الدعوات قديما وحديثا – عن المساس بتراكيب الأغانى الشعبية التى يمكن أن يقال إنها تستغنى بأنغام الآلات عن الأوزان العروضية، وعجزت عن المساس بتراكيب الزجل وهى مقياس للشعر الذى يمكن أن يشيع فى اللغة العامية، فإذا عجز هذا الشعر المتحرر – كما يقولون – من الشيوع فى الكلام الدارج فهو أعجز من الشيوع فى اللغة الفصحى، وهو على هذا أعجز من أن يتهم بالتأثير فى هبوط الشعر الحديث، ولسنا نبرئ الأسباب الأخرى جميعا، من هذا التأثير إلا لأننا نستبعد أن تجرد الطبيعة الإنسانية من حاسة الشعر فى فترة من الزمن، لأن التجرد من هذه الحاسة هو بعبارة أخرى مرادف للتجرد من بواعث الحياة .. وقد تقوى هذه البواعث أو تضعف، قد تصح أو تفسد، وقد تحسن أو تقبح ولكنها لا تموت كل الموت فى وقت من الأوقات.

وقد خلف العقاد ثروة كبيرة من المؤلفات فى الأدب والنقد والدفاع عن الإسلام وتحليل عبقرياته، وكتابه "ابن الرومى" مشهور ومن أوائل كتبه: مراجعات، ومطالعات، وسواهما.

وقد حارب بعض الشباب العقاد فى حياته، وكتب العقاد يقول[1]:

"إنه يكتب للخاصة، ولا يسوءه أن يقرأه العامة".

وكان العقاد يعجب بتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، ونجيب محفوظ، وصوفى عبد الله، وجاذبية صدقى، فى القصة .. وأكد العقاد أن الشعر الحديث كافة ليس شعرا على الإطلاق إذ تنقصه الموسقى والوزن، والشعر وزن قبل كل شىء، وقال: إن الأدباء وشبابهم يعيشون فى عصرى أنا، عصر العقاد.

---

[1] عدد المساء الأسبوعى، نوفمبر عام ١٩٦٧.

(٢)

وللعقاد مع شكرى والمازنى قصة طويلة، فقد جمعت زمالة العلم والشباب فى مدرسة "المعلمين العليا" فى القاهرة فى أوائل القرن العشرين بين إبراهيم عبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى، وكانا طالبين من أنبغ الطلاب فى هذه المدرسة، وربطت بينهما هذه الزمالة بصلات وثيقة، ثم ألفت الحياة ووحدة الثقافة والاتجاه بينهما وبين العقاد، وصار هؤلاء الثلاثة يمثلون فكرا أدبيا جديدا دعوا إليه، وكتبوا حوله، ودخلوا معارك نقدية كثيرة من أجله.

وكان هؤلاء الثلاثة مثالا رائعا للفكر المصرى فى أوائل القرن العشرين، فهم يمثلون النزعات الجديدة فى الشعر فى ذلك الحين، يقرأون للشعراء الرومانسيين الإنجليز من أمثال: وردزورث، وشلى، وبيرون، وكيتس .. وغيرهم، ويتأثرون بهم فى مناحاهم الرومانسى، وكانت بأيدى الشباب فى مصر آنذاك، وفى عهد سطوة الاحتلال الإنجليزى وتشديده قبضته على التعليم، آنذاك، مجموعة شعرية مشهورة، اسمها مجموعة "الكنز الذهبى" اختارها وجمعها مشرف إنجليزى فى وزارة المعارف المصرية حينئذ اسمه "فرانسيس بالجريف"، وكان أستاذ الشعر فى جامعة أكسفورد، وكانت هذه المجموعة رومانسية الطابع، وقرأها شكرى والمازنى، وتأثرا بطابعها، وكان العقاد آنذاك صحافيا صغيرا يكتب مقالاته وقصائده فى جريدة الدستور التى كان يصدرها الكاتب المعروف محمد فريد وجدى، وفى غيرها من الصحف، وجمعت النزعة الأدبية بين العقاد وشكرى والمازنى أحبابا وأصدقاء ودعاة إلى الجديد.

ولما أصدر شكرى الجزء الثانى من ديوانه، كان قد مضى على صدور الجزء الأول منه أربع سنوات، وكتب العقاد مقدمة هذا الجزء (الثانى) وأثنى على شاعرية صديقه شكرى وعلى موهبته، وكتب المازنى فى العام نفسه عدة مقالات نشرها فى جريدة عكاظ الأسبوعية المصرية، وازن فيها بين حافظ وشكرى، وفضل صديقه شكرى على حافظ، ومن أجل ذلك هاجم حافظ المازنى، وعاد المازنى الجزء الأول من ديوانه، فكتب العقاد مقدمته، يرحب فيه بالديوان ويرفع من شأن المازنى الشاعر، واتجاهه الرومانسى الغالب على شعره على ما أسلفنا.

وكان الاتجاه الرومانسي ذائعا في الأدب المصري آنذاك بتأثير المنفلوطي وكتاباته، وبتأثير ذيوع أدب لامارتين، وهوجو، وغيرهم من الشعراء الغربيين في محيط الأدباء المصريين آنذاك، وبتأثير مطران وكتاباته كذلك.

وأكثر الثلاثة آنذاك من الدعوة إلى مذهبهم الجديد في الشعر والنقد، وبدأوا يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعاني والصور الغريبة، ويكتبون في وحدة القصيدة، ويدعون إلى الأصالة وصدق الشاعر في العاطفة والإحساس والتعبير، وظهور شخصيته الفنية، واستلهام الشاعر للطبيعة، وتناوله لشتى الموضوعات الإنسانية، ويحاربون التقليد وشعر المقلدين وشعر المناسبات الطارئة.

ومن حيث كان مطران ينادي بالشعر الموضوعي، والجانب الوجداني في الوصف، كان العقاد وزميلاه يدعون إلى الجانب الذاتي أو الغنائي منه، وخرجوا بنظرية جديدة أسموها "شعر الوجدان" واتخذ شكري شعارا له على الجزء الأول من ديوانه، الذي سماه "ضوء الفجر". هذا البيت من شعره:

ألا يــــا طـــائر الفـــــردو س إن الشـــــعر وجــــــدان

ومن نظرية الشعر الوجداني عند هؤلاء الثلاثة انبثقت الدعوة إلى أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته، وأن يبعد عن المناسبات، وأن يغلب عليه طابع الألم والأنين وحب الطبيعة وتصويرها، وأن تسوده وحدة عضوية كاملة، ويعبر عن تجربة شعرية عميقة، وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال، واتجه العقاد إلى شعر الفكرة، وأخذ المازني على شعر شوقي ومدرسته، تفكك الوحدة الموضعية في قصائدهم وإغراقهم في شعر المناسبات، وفي التقليد للقدماء، وصور ذلك في مقدمة كتابه "شعر حافظ" الذي صدر عام ١٩١٥ ونقد فيه حافظا نقدا لاذعا، ودعا المازني لذلك إلى الرومانسية في كتابه "الشعر: غاياته ووسائطه". الذي صدر في عام (١٩١٥) كذلك.

ويقول المازني: كان شكري أول من أخذ بيدي، وسدد خطاي، ودلني على المحجة الواضحة. وكان الجزء الأول من ديوان شكري ويوميات العقاد بداية اقتحام المذهب الجديد في الأدب، وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم، ومذهب شوقي وحافظ وأضرابهما كما يقول المازني .. وعندما يقول وردزورث إن الشعر انفعال يسترجعه الشاعر في هدوء، كان المازني يعود به إلى منبعه الأول، وهو

العاطفة والوجدان. وكان شكرى كما يقول العقاد من أوائل من دعا إلى وحدة القصيدة، وجدد فى موسيقى الشعر، وألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية، بل كان شكرى من أوائل من مهدوا للمذاهب النقدية الحديثة فى الأدب المصرى الحديث .. ويقول فيه الدكتور مختار الوكيل فى كتابه "رواد الشعر الحديث فى مصر" ص٤٦: "إن شاعريته تحتضن الحياة جميعها وتصور الوجود بأسره" .. وفى عام ١٩١٦ أصدر العقاد الجزء الأول من ديوانه وسماه فى الطبعات التالية "يقظة الصباح"، وقصائده فيه تحتفى بالوحدة العضوية للقصيدة احتفاءا ظاهرا، والعقاد حريص كل الحرص فى شعره على نظرية "الوجدان الشعرى".

وهكذا صار المضمون الشعرى عند هؤلاء الثلاثة لابد أن يتخذ فى الشعر الغنائى الطابع الوجدانى سواء استمده الشاعر من الطبيعة الخارجية أو من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية.

(٣)

ويرجع هؤلاء الثلاثة فى النقد إلى هازليت وماكولى وأرنولد وشاسترى، وأغلب آراء العقاد فى النقد تعود إلى آراء وليام هازليت ومحاضراته عن الشعراء الإنجليز، ويشبهه العقاد كثيرا فى عنفه النقدى مع إيثار للمذهب النفسى فى النقد الذى كان يؤثره شكرى كذلك.

وخاض الثلاثة معركة الجديد مع شوقى وحافظ والمنفلوطى، ولكن الأيام عادت ففرقت بينهم، ففى عام ١٩١٦ انفصل شكرى عن زميليه بعد أن استفحلت الوشايات بينهم، وثارت أثر ذلك الخصومة بين ثلاثتهم، فأخذ شكرى يعيب على المازنى انتحاله لبعض الأشعار الإنجليزية بعامة ومما دون فى "الكنز الذهبى" بخاصة، وكتب فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه يندد بهذه السرقات الشعرية، وتبادلا النقد على صفحات جريدة "النظام"، وكتب شكرى يهاجم المازنى والعقاد- الذى انتصر لصديقه المازنى - معا على صفحات "عكاظ" فى مقالات نشرها عامى ١٩١٩ و١٩٢٠.

وفى عام ١٩٢٠ و١٩٢١ أصدر العقاد والمازنى جزءين من كتاب جديد سمياه "الديوان" نقد فيه العقاد شوقيا والمنفلوطى، ونقد المازنى فيه حافظا وعبد الرحمن شكرى، الذى سماه "صنم الألاعيب" ورماه بالشعوذة والجنون.

وأطلق اسم مدرسة شعراء الديوان على هؤلاء الثلاثة الشعراء على الرغم من أن مؤلفي الكتاب العقاد والمازني فقط، وعلى الرغم من أنه يحمل هجوما على زميليهما شكري.

وقد أحدث كتاب "الديوان" ضجة كبيرة في العالم العربي، وكان حافزا لظهور كتاب الغربال للشاعر المهجري نعيمة، الذي كتب العقاد مقدمته.

وبوازع من شوقي وشكري، كتب رمزي مفتاح كتابه "رسائل النقد" يهاجم فيه العقاد ويتهمه بالسرقة من شكري.

ويذكر العقاد في كتابه "شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي"، الذي كان ينشر مقالات في صحيفة "الجهاد" القديمة التي كان يصدرها الصحفي المصري محمد توفيق دياب:

"إن ثقافة مدرسة شعراء الديوان تتناول كل الثقافات العالمية، عن طريق الأدب الإنجليزي، وإنها استفادت من النقد الإنجليزي، واتخذت هازليت رائدا لها في النقد، وكان مرجعها الأول كتاب "الكنز الذهبي" الذي كان يحتوي على مختارات من الشعر الإنجليزي من شكسبير إلى نهاية القرن العشرين.

ويقول العقاد: إن مدرسة الديوان هي أول حركة تجديدية في الشعر الحديث متجاهلا مطران ودعوته التجديدية قبل مدرسة الديوان وإن كان صوت مطران في الدعوة إلى التجديد قبل مدرسة الديوان غير جهوري.

وفي رأي هؤلاء الشعراء الثلاثة، أصحاب مدرسة الديوان، إن شخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر، وأن الشعر إذا كان يشعرك بعظمته وقوته، فهو النموذج الذي يجب أن نحتفي به، وكان وردزورث الشاعر الإنجليزي يقول، وقد سئل عن شعر شاعر: "إنه ليس من الحتم في شيء"، يريد أن منزلة الشاعر مستمدة من شعره، فإذا أصبح شعره على لسان الناس، ولا غنى لهم عنه، ويتمثلون به في مختلف جوانب حياتهم العامة، فهو شعر قد فرض نفسه على الشعر وعلى النقاد والناس.

ولا ريب أن هؤلاء الشعراء الثلاثة، على اختلافنا معهم في كثير من آرائهم في النقد، وأحكامهم على الشعر والشعراء، قد فرضوا شعرهم على الحياة من حولهم، وفرضوا شخصيتهم على الأدب الحديث والشعر المعاصر فرضا.

ويشاء الله أن يعود الصفاء بينهم فيحل محل العداء والجفاء، وكان ذلك عام ١٩٣٤، فيتصافون ويمد بعضهم يديه إلى البعض الآخر.

ويكتب العقاد والمازنى الفصول الطويلة عن شكرى، اعترافا بفضله، وأقر المازنى بأستاذية شكرى له، ونظم شكرى قصيدته الطويلة بعد الإخاء والعداء، ونشرها فى مجلة الرسالة وقال فيها:

حنوت على الود الذى كان بيننا

وإن صد عنه ما جنينا على الود

(٤)

هؤلاء الشعراء الثلاثة هم رواد مدرسة شعراء الديوان المعروفة فى أدبنا الحديث، ومدرسة الديوان من المدارس الشعرية المعاصرة والجديدة، وهى المدرسة المجددة الابتداعية – الرومانسية – فقد ظهرت بعد مدرسة البارودى وشوقى وحافظ ومطران المحافظة – الكلاسيكية – وتزعمت حركة التجديد فى الشعر، وألحت فى الدعوة إليه.

أعلامها الثلاثة: عبد الرحمن شكرى، وإبراهيم المازنى، وعباس العقاد، قاموا بدور كبير فى خدمة نهضتنا الشعرية، وفى نشر حركة التجديد فى الشعر العربى الحديث. وتسمى "مدرسة شعراء الديوان" نسبة إلى هذا الكتاب النقدى المشهور الذى ألفه اثنان من هذه المدرسة وهما: العقاد والمازنى، وأصدراه فى جزءين وبسطا فيه دعوتهما الجديدة، ونقدا فيه حافظا وشوقيا والمنفلوطى، كما نقدا زميلهما الثالث وهو عبد الرحمن شكرى، وقد أحدث هذا الكاتب الصغير ضجة كبيرة فى الجو الأدبى والشعرى فى مصر والعالم العربى، وكان له تأثيره على شوقى والمنفلوطى، وغير من نظرية عمود الشعر القديمة. وعلى الرغم من أن شكرى فارق زميليه وتركهما وحدهما فى الميدان إلا أنه يعد رائد هذه المدرسة الأول، وإمامها الذى اقتدى به زميلاه.

وقد صدر للعقاد فى حياته:

-الجزء الأول من ديوانه (١٩١٦).

-الأربعة الأجزاء الأولى من ديوانه (١٩٢٨).

-وحى الأربعين (١٩٣٣).

-هدية الكروان (١٩٣٣).
-عابر سبيل (١٩٣٧).
-أعاصير مغرب (١٩٥٠).
-بعد الأعاصير (١٩٥٠).

ولقد حمل رواد مدرسة الديوان: العقاد وشكرى والمازنى لواء الشعر بعد شوقى، وأعلنوا الثورة على الشعر القديم (الكلاسيكى)، وكتبوا أعنف الفصول النقدية التى غيرت مسار الشعر العربى المعاصر.

(٥)

ويرجع هؤلاء الثلاثة فى النقد إلى هازليت وماكولى وأرنولد وشاسترى، وأغلب آراء العقاد فى النقد تعود إلى آراء وليام هازليت ومحاضراته عن الشعراء الإنجليز، ويشبهه العقاد كثيرا فى عنفه النقدى مع إيثار المذهب النفسى فى النقد الذى كان يؤثره شكرى كذلك.

وقد تحدث الشاعر عبد الرحمن شكرى فى الجزء الثانى من ديوانه عام ١٩١٣م فى قصيدة (نبوءة شاعر) ثائرا ناقدا لمذاهب التقليديين فى شعرهم، ولعله كان يقصد بهذا مدرسة الكلاسيكيين من أمثال شوقى وحافظ وأضرابهم .. ويوضح شكرى مذهبه فى الشعر فى قصيدته (شكوى شاعر) التى نشرها فى الجزء الثانى من ديوانه أيضا حيث يقول:

قد طال نظمى للأشعار مقتدرا
والقوم فى غفلة عنى وعن شأنى
قد أولعوا بكبير السن أو رجل
يبنى له الجاه ما يغلو به البانى
ولو سئلت فقلت الشعر فى خبر
من السياسة فى زور وبهتان
ولو سئلت فقلت الشعر مبتذلا
فى وصف مخترع أو ذم أزمان

لقيل نعم لعمري أنت من رجل
جم المحاسن من صدق وتبيان

وإنما الشعر تصوير وتذكرة
ومتعة وخيال غير خوان

وإنما الشعر مرآة لغانية
هي الحياة فمن سوء وإحسان

وإنما الشعر إحسان بما خفقت
له القلوب كأقدار وحدثان

قالوا أتيت بشعر كله بدع
فقلت نعم لعمري قوله الشاني

من كل معنى يروع الفهم طائله
معنى من ألحان في لفظ من الجان

ويشرح شكري مذهبه في الشعر في مقدمته الطويلة التي كتبها مقدمة للجزء الخامس من ديوانه بعنوان (في الشعر ومذاهبه)، التي نادى فيها بوحدة القصيدة ودعا إلى حرية التعبير، وطلاقة الأسلوب، وتصوير الشعر لنفس الشاعر، وتعبيره عن وجدانه تعبيرا صادقا مباشرا، وأعلن الثورة على التقليديين ومذاهبهم .. وبهذا بدا شكري دعوته إلى التجديد في الشعر المصري الحديث الذي كان مطران ينادي به ويدعو إليه .. وبدأ شكري بعد ذلك كفاح مدرسة شعر الديوان في سبيل التحرر الفني للقصيدة، وحرية الشاعر في تعبيره، ومن أجل تطوير أسلوب الشعر وأفكاره وموضوعاته، وقد اتسم شكري في شعره بنزعة إنسانية عميقة تتجلى في مثل قصائده: اليتيم، وغلام مريض، ورثاء عصفور، وليتني كنت إلها، التي ينادي فيها بإنسانية الحياة والتفكير والعمل .. ويسود شعر شكري النزعة التصويرية العميقة، التي تتجلى في عمق حبه للطبيعة وروعة تصويره لها، ولنقرأ قصيدة شكري القصيرة "سحر الطبيعة" التي يقول فيها الشاعر:

كؤوس من النور هذي الزهو
ر أم هي أخيلة الشاعر؟

وليست بحلم ولكنها

أجل من الحلم الباهر

وماء الحياة ونبع الخلو

د في مائها السلسبيل المائر

وعشب قشيب وظل ظليل

أدنيا أرى أم منى الساحر؟

ومما يزيد وراء الزهور

أذى العيش والقدر الجائر

لقد خفت أن تنطوى مثلما

يزول الخيال عن الناظر

فأسلمت نفسى لسحر الخيال

لأخلد فى حسنها الزاهر

وحب شكرى للطبيعة جزء أصيل من كيانه، فقد ولد ونشأ على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، فى بور سعيد فى الثانى عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦م، وعاش فيها أيام عزلته سبعة عشر عاما من سنة ١٩٣٨م حتى عام ١٩٥٥، وأصيب فيها بالشلل النصفى فى أواخر ١٩٥٣م، ثم ودعها فى أكتوبر عام ١٩٥٥ ليعيش مع أسرته فى الإسكندرية، حيث الشاطئ والبحر الجميل إلى أن قضى حياته، ولفظ أنفاسه الأخيرة فى منتصف ديسمبر عام ١٩٥٨م.

وشكرى مع النزعات الإنسانية النبيلة، يعد من بين شعراء الديوان شاعر الحب والخير والجمال، الحب الذى يقول فيه شكرى من قصيدته "ليتنى كنت إلها":

أنا والحب خالدان كلانا

ذو خيال ونشوة وجنون

ومن أجل الإنسانية والحب اللذين نظم فيهما شكرى الكثير من شعره ترك شكرى زميليه فى مدرسة الديوان، ثم اعتزل الحياة. وبين الحين والحين كان يرسل نفثات بارعة إلى مجلتى الرسالة والمقتطف، وكنا مند قامت رابطة الأدب الحديث

نريد أن نزو شكرى فى عزلته لنعرب له عن إعجاب الجيل المعاصر به وبشعره، ولنكبر جهاده فى سبيل أمته وشعبه، وفى سبيل الأدب الذى أعزه، والشعر الذى آمن به .. ولكننا كنا كمن يبحث عن السراب، لم نعرف عنوان شكرى لنذهب إليه، ثم ودع الحياة الوداع الأخير ..

وكتب نقولا يوسف فى جريدة المساء عن شكرى .. يقول:

كانت وصيته الأخيرة .. المكتوبة بيده اليسرى غير المشلولة: "لا تدفنونى فى حجرة تقفل على كالسجن، ولكن فى قبر يهال عليه التراب" .. والحق أنه لم يحب القيود .. فكان متحرر النفس من الرذائل .. متحرر العقل من الخرافات .. متحرر الشعر من أغلال الشكل والموضوع .. منطلق الخيال فى رحب الفضاء .. معتزلا قيود الوظائف مطالبا فى عهود الاحتلال والإقطاع بتحرير بلاده من ربقة الاستعمار والاستغلال .. أما السجن المادى فقد جنى على أبيه وعلى أسرته من قبل يوم اعتقل أعوان الخديوى، والده – محمد شكرى عياد – لمناصرته الثورة العرابية، وصداقته لعبد الله النديم .. فنجم، عن هذا السجن، وهذا التعطل، وعما كابده من الضيق والإرهاق، أن خرج أبناؤه غير أشداء العود .. كما جنى أعوان المحتلين على الشاعر فى حركة مصطفى كامل عام ١٩٠٦م، لما وقف زميل الشاعر عبد الحميد بدوى "القاضى بمحكمة العدل الدولية بعد ذلك"، وألقى على الجماهير قصيدة عبد الرحمن شكرى الوطنية:

ثباتـا فـإن العـار أصعـب محمـلا
من الذل لا يفضى بنا الذل للعـار

فاتهموا الشاعر بالتحريض على الثورة وفصلوه من مدرسة الحقوق بعد أن قضى بها عامين. ويلتحق الشاعر بمدرسة المعلمين بالقاهرة، ويتخرج منها عام ١٩٠٩م، ليرسل فى بعثة إلى جامعة شيفيلد، ويعود فى خريف ١٩١٢م، ليشتغل بالتعليم مدرسا فناظرا فمفتشا بالتعليم الثانوى، ولكنه يظل ينظم الشعر، وينشر الأبحاث الأدبية والنقدية فى الصحف والمجلات.

وكان ديوانه الأول: "ضوء الفجر" قد ظهر عام ١٩٠٩م، والشاعر فى الثالثة والعشرين .. يقف على عتبة الحياة، ولم يقتحم بعد ساحات مشاكلها وتجاربها، ومع

ذلك فإن الروح الثائر المجرد الذى سطع فى تلك الباكورة كان باهرا، فانبرى صديقه المازنى يقرظه فى الصحف.

وفى ١٩١٥م يظهر الجزء الثالث "أناشيد الصبا" ويتلوه كل من الرابع والخامس عام ١٩١٦م فالسادس عام ١٩١٨م، فالسابع: "أزهار الخريف عام ١٩١٩م، ثم تشغله هموم المهنة التعليمية والتنقل فى البلاد عن جمع أشعاره فى دواوين أخرى بعد هذا التاريخ، فيكتفى بنشر شعره وأبحاثه فى عديد من الصحف والمجلات مرددا:

ألقى بشعرى فى حلق الزمان ولا

أبيت منه على هم وبال

وقد أمكن جمع ما نشره من الشعر بعد عام ١٩١٩م فى الجزء الثامن.

وأما كتبه النثرية التى تضم فصوله وأبحاثه فى الأدب والنقد والدراسات النفسية والفلسفية، فقد طبع منها فى حياته خمسة كتب وهى: "الثمرات" و "حديث إبليس" و"الاعترافات" وقد ظهرت جميعا عام ١٩١٦م .. ثم "الصحائف" عام ١٩١٨م، وقصة "الحلاق المجنون" عام ١٩١٩م (بتوقيع ع. ش)، ولم يطبع منها بعد خمسة أخرى كان قد نشر فصولها فيما بين ١٩١٩م و ١٩٥٢م فى مجلات الرسالة والثقافة والمقتطف والهلال وغيرها .. وهى: كتابه "نظرات فى النفس والحياة" وقد نشر مسلسلا بمجلة المقتطف فيما بين ١٩٤٧م – ١٩٥١م ، و "الشعر العباسى" و"دراسات نفسية" و "بين القديم والجديد" و "أبحاث ودراسات شتى"، ولم يضع الشاعر أسماء لهذه الكتب الأربعة الأخيرة التى تفرقت فصولها فى عدد من الصحف و المجلات .. و هكذا لم ينقطع الشاعر عن نظم الشعر وكتابة الأبحاث حتى عام ١٩٥٢م يوم أرغمه الشلل الذى أفلج نصفه الأيمن ولازمه إلى نهاية حياته على الكف عن الإنتاج الأدبى، وإن كان لم ينقطع عن كتابة الرسائل الخاصة بيده اليسرى إلى أهله وأصدقائه وتلاميذه حتى نهاية حياته.

وما كاد الشاعر يعتزل وظيفته بوزارة التعميم عام ١٩٣٨م بعد أن مارس التعليم نحو ربع قرن حتى رغب فى دأب أن يوفر على النقاد بعض الجهد، فأخذ ينشر فصول كتابه "الاعترافات" فى الصحف ثم طبعها عام ١٩١٦م فى كتاب، كما نشر بعض الذكريات عن نشأته وعن التعليم .. وراح يصحح بعض الأخطاء التى وقع فيها

ناقدوه فى مقدمات دواوينه وفى مقالاته التى لم تجمع أو رسائله التى لم تنشر .. ويشرح رأيه فى الشعر ومذهبه ، و الشعراء وحقيقتهم ، كما عرض لهم الشاعر نظما، وتوالت الأنباء عن سوء صحة الشاعر، وحين جدت الدولة فى تكريمه مات الشاعر العظيم، وكأنما كان يتمثل ما قاله فى صدر شبابه وهو فى الغربة:

كنت مثل الغريد جىء به من
روضة كالولهان غير ذميم
حيث وجه النهار جذلان بسام ،
م ووجه الظلام غير بهيم
ودواع إلى الغناء كثار
من حبيب وموطن وحميم
أنزلوه فى منزل مثل بطن الأ
رض جهم السماء جهم الأديم

*****

نظرية الشعر عند العقاد

عباس محمود العقاد ..

هذا الرائد الكبير ..

هذا المفكر الخالد ..

هذا الأديب الشاعر الناقد العالمي ..

كان أكبر شعراء مدرسة الديوان أثرا في أجيال متعاقبة من أدباء النهضة منذ أوائل القرن العشرين، وسيظل يؤثر في أجيال قادمة، بعظمة فكره، وجمال شعره، وعمق أدبه، وجليل توجيهه للجماهير في شتى ميادين المعرفة والثقافة والأدب.

حمل هو وشكري والمازني رسالة التجديد في الشعر وحاور أحمد شوقي وزعماء الأدب المحافظين طويلا دفاعا عن الإبداع بالمنظور الشعري، وطعم شعره هو وزملاؤه في مدرسة الديوان بالأخيلة والمعاني والصور الغريبة، وكتبوا في وحدة القصيدة، ودعوا إلى الذاتية والأصالة وظهور شخصية الشاعر واستلهام الطبيعة بالأساطير، وتناولوا شتى الموضوعات الإنسانية، وحاربوا التقليد والتكلف والافتعال وشعر المناسبات الطارئة، ودعوا إلى شعر الوجدان، وبهذا بدأ المسار إلى نظرية جديدة للشعر، كان العقاد أكثر زملائه دعوة إليها، ودفاعا عنها، واعتدادا بها. ومن ثم اعتد به كثير من النقاد رأسا للمدرسة الجديدة في الشعرالحديث.

حمل العقاد على شعراء المعارضة والتقليد للقدماء، ودعا إلى أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته،وإلى أن يبعد عن المناسبات، وأن يحمل طابعًا وجدانيًا متميزًا، يعبر الشاعر به عن تجربة عميقة، وتسود القصيدة وحدة عضوية متنامية، وفي رأيه أن شخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر، وأن الشعر ما أشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الأمثل.

ويؤكد العقاد أن الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة:

* *أولها:*

أنه قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية، فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى إذا ترجم إلى لغة من اللغات.

* *وثانيها:*

إن الشعر تعبير عن نفس صاحبه، فالشاعر الذى لا يعبر عن نفسه صانع، وليس ذا شخصية فنية.

* *وثالثها:*

إن القصيدة بنية حية، وليست أجزاء متناثرة، يجمعها الوزن والقافية[1].

ورأى العقاد أن المحك الذى لا يخطىء فى نقد الشعر، هو إرجاعه إلى مصدره، فإن كان لا يرجع إلى مصدر أعمق من الحواس، فذلك هو شعر القشور والطلاء، وإن كنت تلمح وراء الحواس، شعورا حيا، ووجدانا تعود إليه المحسوسات، كما تعود الأغذية إلى الدم، ونفحات الزهور إلى عنصر العطر، فذلك هو شعر الطبع القوى، والحقيقة الجوهرية، وهنا ما هو أدنى من شعر القشور والطلاء، وهو شعر الحواس الضالة، والمدارك الزائفة[2].

ودعا العقاد إلى التجديد فى المضمون، وليس ذلك باختيار الموضوع الجديد بل بالمضمون الجديد[3]، ولم يبال بالشكل، وإن اعتد فيه بالقدرة اللغوية، والموسيقى الشعرية.

ورأى أن عصرية الشاعر ليس المعول فيها على وصفه للاختراعات العصرية، بل المعول فيها على كيفية الوصف، ووجهة النظر[4]، وإن يترجم الشاعر عن زمنه[5]. والشعر إذا أشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذى يجب أن يحتفى به.

---

[1] النقد العربى الحديث ومذاهبه، لكاتب هذا البحث، ص٨٨.

[2] الديوان، ٤٠ فصل من النقد عند العقاد.

[3] النقد والنقاد المعاصرون، لمندور، ص١٣٩.

[4] فصول من النقد عند العقاد، ص٢٣٠.

[5] مطالعات للعقاد، ص٢٩٨.

والتزم العقاد الوزن في القصيدة الغنائية[1]، وأجاز تغيير البحر من فصل إلى فصل في الملاحم والقصائد المطولة[2]، وفي كتابه "اللغة الشاعرة" دفاع عن الشعر العربي وأوزانه وموسيقاه، ومقابلة بينه وبين العروض والوزن في اللغات الأوربية. والعقاد في هذا الكتاب يشيد كل الإشادة بأصالة الوزن في الشعر العربي، ويؤكد على الحقيقة التي انتهى إليها، وهي أنه من الخطأ الترخص في قواعده، على نحو ما يهدف إليه أصحاب الشعر الحر بإلغائهم للقافية، وإغفالهم لنظام البيت.

الشاعر عند العقاد هو المتحرر من أسار التقليد، وهو الذي يدرك الدنيا كلها في صورة تختلف عن سائر الصور، وهذا هو ما يعنيه بفلسفة المشاعر.

والشاعر في رأيه ليس هو من يأتي برائع المجازات، إنما هو من تتوفر فيه مزية الطبيعة الفنية، التي تجعل فن الشاعر جزءاً من حياته[3].

وفي رأيه أن شوقي ارتفع بشعر الصنعة، وهبط بشعر الشخصية، ويعتبر شعره خلوا من الملامح الشخصية.

الشعر هو الحياة، والحياة هي الشعر في أجمل مفهومه، فهو صوت الحياة وأغنيتها الكبرى:

الحب والشعر ديني والحياة معًا
ديـن لعمـرك لا تنفيـه أديـان
والشعر ألسنة تفضي الحياة بها
إلى الحياة بما يطويه كتمان
ما دام في الكون ركن للحياة يرى
ففي صحائفه لا شك ديوان[4]

---

[1] مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٦٣ من مقال للعقاد، راجع نقد العقاد لملاحم شوقي.

[2] دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية للعقاد.

[3] ابن الرومي للعقاد، ص٤ و ٥.

[4] ديوان العقاد، ص٤٣.

طاهر الجبلاوى وجماعة الديوان

طاهر الجبلاوى ١٨٩٨ - ١٩٧٩ هذا الأديب الشاعر الدمياطى الخفيف الظل، الحلو الحديث، المهذب فى سمره وفكاهته .. لا يمكن أن ينسى أبدًا.

بدأت قصته مع الشعر وهو فى الخامسة عشرة من عمره، وفى عام ١٩٢٢ جمع قصائده فى ديوان باسم "ديوان الجبلاوى" قرظه وقدمه خليل مطران، وقرظه شوقى وحافظ بأبيات رقيقة، وكان فى هذا الديوان معنيًا بتحرى الديباجة والقوالب المتينة .. واتصل بالعقاد فوجهه وجهة جديدة، وشرح له مذهبه فى الشعر، والمعانى الشعرية، قال له: إن الشعر وجدان وعاطفة وصور خلابة وموسيقى حلوة، ووحدة عضوية منسابة فى القصيدة كلها، وأرشده العقاد إلى قراءات فى الشعر الإنجليزى، وفى النقد على منهج النقاد الرومانسيين، وهى باللغة الإنجليزية، فعكف على قراءتها وهو مقيم فى بلدته دمياط، ولم يلبث أن عاد إلى القاهرة عام ١٩٢٥م، ومع ديوان جديد باسم "ملتقى العبرات"، وحمله إلى أستاذه وصديقه العقاد، فقدم له بأبيات متألقة، ثم نشر طاهر بعد ذلك ديوان "هواتف وأحلام" فقدم له العقاد بكلمة طيبة، ونظم مسرحيته "ديك الجن الحمصى" من ثلاثة فصول أضاف إليها فصلاً بعد طبعها نشر فى ديوانه "هواتف وأحلام" وديوانه "من بقايا الكأس".

شهد الجبلاوى ميلاد جماعة الديوان، وصدور كتاب الديوان للعقاد والمازنى عام ١٩٢١م ومعارك الجماعة مع مدرسة شوقى وحافظ، ثم مع مدرسة أبوللو، وخاض غمار الحياة والأدب فى قوة وإصرار.

صحب العقاد طيلة حياته، يلازمه فى الغدوات والروحات منذ عام ١٩١٥ حتى وفاته عام ١٩٦٤، يقول: "كنا نلتقى صباح كل يوم ومساء كل يوم، نتبادل الحديث فى شتى الشئون، فعرفت الكثير عن حياته. وسجل كل ذلك فى كتابه "ذكرياتى مع عباس العقاد" الذى صدر هذه الأيام فى طبعة أنيقة أشرف على إعدادها وإصدارها ابنه الأديب المعروف عباس طاهر الجبلاوى فى نحو خمسمائة صفحة، وهذا الكتاب من أوثق المصادر فى دراسة العقاد وأدبه، والكتاب يضم بين دفتيه كتاب الجبلاوى "العقاد فى سبحات الحب والجمال".

"الذكريات" و"سبحات" في ٢٦٠ صفحة ألحق بها الأديب الأستاذ عباس صورا من رسائل العقاد إلى أبيه تقع في نحو خمسين صفحة، وديوان والده "الجزء الثاني - أحلى الأشعار" في أكثر من مائة صفحة.

كان العقاد يطلق على شعر مدرسة البعث شعر النماذج وكان يحمل على شعر المحاكاة والقوالب الموضوعة، ويدعو إلى التعبير الصادق الذي لا زيف فيه، وجعل حد الشاعر الكبير في رأيه أن تتجلى في شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها وجلالها وعلاقتها وسرها، وأن يرشد شعره إلى فلسفة للحياة ومذهب من حقائقها وفروضها.

الباب الرابع

مدرسة شعراء أبوللو

مدرسة أبوللو

-١-

في عـام ١٩٣٢ أعلن الدكتور أحمد زكي أبو شـادي ميلاد مدرسة أدبية جديدة، أطلق عليها اسم جماعة (أبوللو)، وقال عنها في مجلته التي أصدرها باسم (مجلة أبوللو) أنها مدرسة جديدة من مدارسنا الأدبية.

وبينما لم يطلق العقاد وشكري والمازني اسمًا على مدرستهم الأدبية، وإنما أطلق عليها النقاد اسم (مدرسة شعراء الديوان) باسم الكتاب النقدي الذي أصدروه .. نجد أن أبا شادي قد سمى المدرسة التي كونها باسم مميز لها، عرفت به من أول قيامها، وصار علما عليها، وتردد على ألسنة كل الناس هذا الاسم.

وكان أبو شادي يقصد من إنشاء هذه الجماعة أن تكون خاصة بالشعر وللشعر، ويقصد من وراء قيامها النهوض بهذا الفن الأدبي الرفيع، ورعاية الشعراء ماديًا وأدبيًا، وكانت أغراض الجماعة كما أعلنت منذ ميلادها هي:

١- السمو بالشعر العربي، وتوجيه جهود الشعراء توجيهًا شريفًا.

٢- مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر.

٣- ترقية مستوى الشعراء ماديًا وأدبيًا واجتماعيًا، والدفاع عن كرامتهم.

ومركز الجماعة القاهرة، وعضويتها مفتوحةً في مصر والعالم العربي، للشعراء خاصة، وللأدباء ومحبي الأدب عامة، ممن يهمهم تقدم أغراض الجمعية.

وجمعت هذه الجماعة طائفة من أعلام الأدباء والشعراء والنقاد. وجماعات من شعراء الشباب وأدبائهم، ومن بين أعضائها الكبار:

-أحمد زكي أبو شادي (١٨٩٢ - ١٩٥٥).

-أحمد محرم (١٨٧٧ - ١٩٤٥).

-إبراهيم ناجي (١٨٩٨ - ١٩٥٣).

-علي محمود طه (١٩٤٩).

-كامل كيلاني (١٩٥٩).

-د. أحمد ضيف (١٩٤٢).

-د. على العنانى.
-د. أحمد الشايب.
-محمود أبو الوفا.
-حسن كامل الصيرفى.
ثم انضم إليهم:
-مصطفى عبد اللطيف السحرتى (١٩٠٢ - ١٩٨٣).
-صالح جودت (١٩٧٦).
-د. عبد العزيز عتيق.
-د. مختار الوكيل.
-محمود حسن اسماعيل .. وغيرهم.

وتولى أبو شادى أمانة سر هذه الجماعة الأدبية بصفة دائمة، واختير أمير الشعراء أحمد شوقى (١٨٦٨ - ١٩٣٢) رئيسًا لها. وكان حافظ قد توفى قبل ذلك بعدة شهور.

وفى يوم الاثنين العاشر من أكتوبر عام ١٩٣٢ عقدت الجلسة الأولى لها برئاسة شوقى فى داره "كرمة ابن هانئ" بالجيزة لوضع الأسس العامة لنظامها الإدارى والأدبى، ولم يعش شوقى بعد ذلك إلا أيامًا معدودة، إذ توفى فجر يوم الجمعة الرابع عشر من أكتوبر عام ١٩٣٢م.

وبعد أسبوع كامل من الحزن، اجتمع الأعضاء فى يوم السبت الثانى والعشرين من أكتوبر عام ١٩٣٢ فى مقر رابطة الأدب الجديد بالقاهرة، واختاروا الشاعر خليل مطران (١٨٧٣ - ١٩٤٩) رئيسًا لها.

ومنذ ميلاد هذه الجماعة وهى تصدر مجلة تحمل اسمها، وتنشر أدبها، وهى مجلة (أبوللو)، وهى أول مجلة خصصت للشعر ونقده فى العالم العربى.

وفى افتتاحية العدد الأول من أعداد المجلة، كتب أبو شادى يقول: إن الشعر من أجل مظاهر الفن، ولم نترهد فى أن نخصه بهذه المجلة، التى هى الأول من نوعها فى العالم العربى، كما لم نتوان فى تأسيس هيئة مستقلة لخدمته هى (جمعية أبوللو)، حبا فى إحلاله مكانته السامقة الرفيعة وتحقيقًا للتآخى والتعاون بين الشعراء.

وفى صدر العدد شوقية فى تحية ميلاد الجماعة والمجلة، ومطلعها:

أبوللـو، مرحبًـا بـك يـا أبوللـو
فـإنك مـن شعاع الشمس ظـل

-٢-

ويختلف الأدباء: هل أبوللو جماعة أو مدرسة، وفى صدر عدد أبريل عام ١٩٣٣ من المجلة، كتب أبو شادى يقول: إن مدرسة أبوللو مدرسة تعاون وإنصاف وإصلاح وتجديد.

وفى عدد فبراير عام ١٩٣٣ يعلل أبو شادى للسر فى اختيار اسم إغريقى لهذه الجماعة، بأنه الرغبة فى أن تحمل اسمًا عالميًا فنيًا يلائم صبغتها .. إن أبوللو مدرسة أدبية حقيقية ذات أهداف واضحة، ومضمون متميز.

ولقد كانت هذه المدرسة فى تعاون مع (مدرسة البعث)، وفى شبه خصام مع (مدرسة الديوان)، وكان اتجاهها رومانسيا خالصا، مع التعاون مع المذاهب الأدبية الأخرى بقدر الإمكان.

وأبو شادى مؤسسها ذو ثقافة عالمية واسعة، ويجيد فهم الشعر ومقاييسه فهمًا جيدًا،وهو أديب وشاعر وناقد، وقد درس الطب فى إنجلترا عشر سنين (١٩١٢ - ١٩٢٢).

ومات أبو شادى عن نحو ٩٠ كتابًا، منها ستة وعشرون ديوانًا شعريًا وعشر مسرحيات شعرية.

ومن أشهر دواوينه المطبوعة:

-الشفق الباكى (١٩٢٤).
-الشعلة (١٩٣١).
-أشعة وظلال (١٩٣١).
-الينبوع (١٩٣٣).
-أطياف الربيع (١٩٣٣).
-عودة الراعى (١٩٤٢).

وله أربعة دواوين مخطوطة هى:

-الإنسان الجديد.
-النيروز الحر.

-أناشيدى.
-إيزيس.
وقد طبع الأولان أخيرا بمعاونة الأستاذ وديع فلسطين.
وله كذلك أربعة دواوين مطبوعة بالإنجليزية، وهى:
-أغانى العدم.
-أغانى السرور والحزن.
-أغانى الحب.
-كيفما تتفق.
ومنذ عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٥٥، هاجر الشاعر إلى أمريكا، وأقام فى نيويورك حينا، ثم فى واشنطون حينا آخر، حتى توفى فى الثانى عشر من أبريل عام ١٩٥٥، ودفن فى مقابر المسلمين فى واشنطون.

-٣-

دعا أبو شادى وجماعة (أبوللو) فى الشعر لصدق العاطفة، ووحدة القصيدة، ولذاتية تجربة الشاعر وعمقها.
ودعت (أبوللو) إلى البساطة والصدق وترك التكلف، وإلى الإخاء فى الأدب وإلى أن يكون الأدب تعبيرا عن الذات، وإلى احترام المذاهب والمدارس الأدبية وتعاونها، مع جنوح إلى الرومانسية وميل إليها، وقد كررت الدعوة إلى الطلاقة والأصالة والموهبة، وإلى أن يكون الأسلوب ممثلا لخصائص صاحبه، كما دعت إلى ظهور الشخصية الأدبية وإلى الحرية الفنية.
وجاء أدب (الأبوللبين) ممثلا لمذهبهم الأدبى تمثيلاً تامًا.
فوجدنا عند إبراهيم ناجى شعر العاطفة الحادة المتقدة.
وعند على محمود طه شعر الخيال والصور الشعرية الأنيقة.
وعند صالح جودت شعر الروح المصرية بكل تراثها ومقومات فها وأصالتها.
ووجدنا عند الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى سعة الثقافة وعمقها، ووضوح الرؤية الشعرية، وتمثل المذهب تمثلاً صحيحًا.
ووجدنا عند حسن كامل الصيرفى روح الحزن والألم. وعندما يقول ألفريد دى موسيه: الحزن السامى يجعلنا نقدر اللذة، أو عندما يقول أديب فرنسى آخر: إن الدموع ضرورة للعبقرية، يقول الشاعر حسن كامل الصيرفى:

دموعى كنت آمالا تمد القلب بالشر

وكـــانت هـــــذه الآمـــــ   ل كالأنغـــام فــي الفجـــر

وبتمثل التيار العاطفي في شعر ناجي وصالح جودت والشابي والتيجاني بشير .. وسواهم.

ويغالي الشعراء الأبولليون في حب الطبيعة، حتى لتصبح عندهم الملاذ الذي يجدون السكينة في جواره، بعيدين عن زيف المدنية وصخبها، وهم لا يقبلون عليها واصفين، ولا يصفونها مادحين، إنما يندمجون في روحها، ويعانقونها عناق الأحباب.

وهذا أبو شادي يفر من عالم الناس إلى دنيا الطبيعة، فيقول من ديوانه "عودة الراعي":

ورجعت الماء المعربد مستزيدًا ما حكاه
ورجعت للزهر المبادل من يضاحكه أساه
وتركت كون الناس في يأس إلى كون سواه

ويقول محمود غنيم:

نبـــهوني لـــدى الســـحر .. نبـــهوني
وضعونـــي علـــى النـــهر .. ودعونـــي
أنـــا والمـــاء والشـــجر .. فـــي ســـكون
أمـــلأ الســـمع والنظـــر .. بـــالفتون
ثـــم أفضـــي إلى القمـــر .. بشـــجوني

وقد تأثر شعراء كثيرون في الشعوب العربية بنزعة أبوللو الرومانسية، وفي مقدمتهم: الشابي، والتيجاني يوسف بشير. ونقرأ العودة للشاعر ناجي، فنجدها روحًا عذبة عذوبة "صلوات في هيكل الحب" للشابي .. وهكذا عرف الأبولليون الشعر.

وقد جدد صالح جودت ومختار الوكيل وحسن كامل الصيرفي في الشعر وموسيقاه تجديدًا كبيرًا.

والصيرفي شاعر أبوللي كبير، صدر له من أبوللو ديوان "الألحان الضائعة" عام ١٩٣٤م.

يقول عنه أبو شادي: إنه شاعر مبتدع، جيد الخيال، رومانتيكي النزعة غالبًا، رمزي أحيانًا، يمتاز بموسيقيته العذبة.

ويبوه السحرتي بمعانيه الأصيلة في الطبيعة، ويصفه بأنه شاعر سابح في الخيال.

أبو شادي وديوان النيروز الحر[1]

-١-

النيروز الحر هو الديوان الثاني من مجموعة الأشعار المهجرية الكاملة للشاعر والطبيب الدكتور أبوشادي رائد حركة التجديد الشعرية ومؤسس مدرسة أبوللو ومجلتها. وقد قام بتحقيقه ومراجعته والتعليق عليه والإشراف على طبعه، أديب كبير متمكن، كان ولا يزال من مدرسة الشاعر، وله إلمام واسع بكل تراث أبي شادي، وهو الأديب والصحفي المشهور الأستاذ وديع فلسطين.

وقد جمع الشاعر بنفسه قبل وفاته في واشطون عام ١٩٥٥م قصائد هذا الديوان ورتبها ووضع هوامشها واختار للقصائد عنوان "النيروز الحر" بنفسه، وهو عنوان إحدى قصائد الديوان (ص١٦٤) التي نظمها في سبتمبر عام ١٩٥٢ في بدايات الثورة المصرية .. وهذا الديوان في مجمله يجمع القصائد التي نظمها الشاعر منذ منتصف مارس عام ١٩٥٢ إلى آخر العام نفسه، وهو مقيم في نيويورك، حيث كان في السنة السادسة من حياته في المهجر الأمريكي بعد خروجه من القاهرة عام ١٩٤٦، وهجرته إلى الولايات المتحدة في العام نفسه.

وقد أصدر أبوشادي في المهجر ديوانه "من السماء" الذي طبع في نيويورك عام ١٩٤٩، وكتب عدة دواوين شعرية لم تطبع في حياته، وصدر منها عام١٩٨٥ عن ناشر هذا الديوان الذي بين أيدينا "ديوان الإنسان الجديد"، ثم صدر الديوان الثاني من أشعاره المهجرية هذا العام، وهو "النيروز الحر". ويبقى ديوانان من شعر أبي شادي المهجري، هما: "إيزيس وأناشيدي" وهما مخطوطان، والأمل كبير في طبعهما في القريب بفضل الناشرين الكريمين لهذا الديوان، وبجهود الأستاذ الكبير وديع فلسطين، وجهود ابنة الشاعر الأستاذة صفية أبو شادي.

---

[1] صدر عام ١٩٨٨م في القاهرة في ٢٨٨ صفحة عن دا[illegible] المستقبل

-٢-

أما المرحلة التى كتب فيها الشاعر قصائد هذا الديوان فهى مرحلة حرجة فى تاريخ مصر السياسى والوطنى، ففى عام ١٩٥٢:

-أحرقت القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢.

-وقامت الثورة المصرية فى يوليو ١٩٥٢.

-وطرد الملك فاروق من مصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢.

-وحدثت تحولات جذرية فى تاريخ مصر السياسى والقومى والاجتماعى.

وتحمل قصائد هذا الديوان روح تلك الفترة الحاسمة والحرجة فى تاريخ وطننا العظيم.

وقصائد هذا الديوان تتنوع إلى قصائد وطنية وقومية واجتماعية وذاتية ووجدانية وإنسانية وإلى شعر تمثيلى وقصصى، وإلى قصائد فى الشكوى والحنين إلى الوطن ووصف الطبيعة، وما إلى ذلك كله.

وتبلغ جملة قصائد الديوان سبعًا وسبعين قصيدة ..

وتختلف موسيقاها الشعرية حسب التجربة التى يتحدث عنها الشاعر والموضوع الذى ينظم فيه، وهى على هذا التنوع:

-ثلاث وعشرون قصيدة من الكامل.

-اثنتا عشرة قصيدة من كل من بحر البسيط وبحر الخفيف.

-ست قصائد من مجزوء الكامل.

-خمس قصائد من بحر الرمل.

-ثلاث قصائد من كل من مخلع البسيط وبحر الوافر وبحر الرجز.

-قصيدتان من كل من بحر المتقارب وبحر المجتث.

-قصيدة من كل مجزوء الرمل وبحر الطويل.

وهى فى جملتها بحورلها غنائيتها وموسيقاها الحلوة.

ومن قصائد الديوان من الشعر القومى:

-مراكش الدامية.

-تونس الثائرة.

ومن قصائده الوطنية:
- خلع الفاروق.
- إلى أبطال الثورة المصرية.
- أيها الشعب.
- قالت الأحداث.
- النيرور الحر.

ومن القصائد الوجدانية:
- الحسن والفن.
- نصف الحسن.
- الشباب الدائم.
- ماذا تمتحين.

ومن قصائد الديوان: قصيدة بعد ستة أعوام التي رثى فيها زوجته بعد مضى ستة أعوام على وفاتها (في العام ١٩٤٦).

وهكذا تمضى قصائد الديوان تحمل الأمل والبشر حينا، واليأس والألم والشكوى حينًا آخر، من مثل قصائد: غنى، نفيان، دموعى.

الشعر عند الشاعر معنى قبل أن يكون لفظًا، وفكرًا قبل أن يكون أسلوبًا، تجارب الشاعر كثيرة، وأناشيده التي تعبر عن تجاربه عديدة، وآماله وطموحه وصور حياته لا يمكن حصرها أو استيعابها.

الأسلوب عند الشاعر هو أداء للفكرة أو التجربة. وهو بقدر المعنى لا يزيد عنه ولا ينقص.

ولاكتناز فكر الشاعر بالمعاني الجيدة ربما جاء أسلوبه في بعض الأحيان مقصرا في أداء ما يريد أداءه من معان ومن أفكار عميقة وجديدة معًا.

(٣)

لنقرأ للدكتور أبي شادي في "النيرور الحر" من قصيدته "بعد ستة أعوام" حيث يذكر ثكل وفاء زوجته التي لقيت أجلها عام ١٩٤٦م:

لـو كـان يرجـع مـا فقـدت ثكـالى
لرجعـت لى بجمـالك الوضـاء

غيبــت عنـــي والحيـــاة كلــها

ظمــأ يطــول ولا يبـــل ظمـــائي

لم يبق لي في وحدتي غير الأسى

واليأس من أهلـي ومـن خلصـائي

ماذا أقول في هذه القصيدة الإنسانية الرائعة في "رثاء الزوجة" منذ ستة أعوام من وفاتها، وكان الشاعر قد رثاها بقصيدة مماثلة من أروع شعرالمراثي للزوجة، وهي إحدى قصائد ديوانه "من السماء".

القصيدة تبلغ أربعة وأربعين بيتًا وهي تحمل أجمل قيم الوفاء لزوجة راحلة، ولن يلمس جمال هذه القصيدة إلا شاعر نكب بوفاة زوجته - وقد عانيت ولا زلت أعاني هذه التجربة المريرة، وفي قصيدة لي كتبتها بعد وفاة زوجتي بستة شهور لا بستة أعوام أقول:

نصف عام مضى، مضى يا حبيبي

أنـا فيـه فـي وحدتـي كـالغريب

نصف عـام أو نصـف قـرن ســواء

الأسـى فيـه والشـجا مـن نصيبـي

كنـت لي مؤنسًـا، وكنـت ضيـاء

لظلامـي، وإلـف عشـي الجديب

أي شـيء لي يـا حيـاتي يبقـى

بعدكـم غـير عـبرتي ونحيبـي

ليس لي في الدنيا سوى الألم الدا

مي سوى الذكرى ثم عيشي الكئيب

كنت سلواي في هجير حياتي

وأنـا أسـعى للمنـى فـي الـدروب

مضـت الأيـام الجميلـة واهًـا

لغـدي، واهًـا للزمـان الرهيـب

يا فؤادي الحلم الجميل انتهى والـ

أمـل الدانـي صـار غـير قريـب

لسـت أدري مـاذا الصنيـع وقلبـي

يشتكي مـن لفح اللظـى واللـهيب

غـابت الحلـوة الرفيقـة غـابت

ونـهايات شمـسنا للمغيـب

كـان حلمًـا قـد ضـاع منـي وذكـرا

ه تنـاديني فـي الضحـى والغـروب

وبيومـي وفـي غـدي سـوف أحيـا

في رؤى أمسي، في صداه الحبيب

وكأنما كان القدر يضع مشابهات كبيرة بين أحداث متشابهة في حياتي وفي حياة أبي شادي.

(٤)

ولنعد إلى قصيدة "النيروز الحر" التي سمي الديوان باسمها:

نظم الشاعر في مهجره بالعالم الجديد هذه القصيدة، التي تشع بالفرحة وبالحنين إلى وطنه الأول "مصر"، كما تشع بأطيب الأمنيات لها في عهدها الجديد، وفيها بث الشاعر طائفة من خواطره الوطنية، ومن أحلامه، والقصيدة من بحر الكمال. وتبلغ أربعة عشر بيتًا، يقول الشاعر منها:

بوركـت يـا وطنـي العزيـز محـررًا

سمحًـا، وفـي كـل القلـوب حبيبًـا

لو أستطيع بعثت من ضحك الضحى

كـنزًا، ومـن لهـب الغـروب نسيبًا

لـو أسـتطيع بذلـت أضعـاف الـذي

حملـت فـي إيثـاري التعذيبـا

لـو أسـتطيع غسـلت راحـة دوركـم

بمدامعـي، ورشـتها تطييبـا

لـو أستطيع هربـت مـن شـيخوختـي

ورجعـت أرفـل فـي الشـباب قشـيبًا

لــو أسـتطيع سـبكت للنـيروز مـــن

شـــغفي ضيـــاء طـــاهرا ولهيبًـــا

ويختمها بقوله:

لـو أستطيع لطرت فـوق خواطـري

حتـــى أقبـــل مـــاهرا ونجيبًـــا

والقصيدة نغم جميل، ووطنية دافقـة، وحنين دافـق إلى الوطـن الأم .. إنها قصة إنسانية جديرة بأن يسمى باسمها الديوان.

(٥)

أنذكر هنا قصيدته الجميلة "إلى أبطال الثورة المصرية" أم نذكر قصيدته "أيها الشعب"؟ أم نذكر عشرات القصائد الجميلة، الفريدة في شعرنا المعاصر، التي تمثل فكرا رومانسيًا مستغرقًا في النشوة والخيال والنغم واللحن والصورة والتجربة والحنين والأنين.

والتي تمثل تجديد الرومانسيين الحالمين، المستغرقين في نشوتهم مع الحب والجمال والطبيعة والكون الفسيح، ومع الشعور بالغربة والحرب الخفية والمعلنة، ومع القلق والهموم والأحزان، ومع التفاؤل والبسمة والأمل يطيف بالشاعر على الرغم من آلامه وأشجانه.

إن هذا الشعر العمودي في جملته، الجديد في فكره ومضمونه،الثائر في روحه ونغمه، المتقد باللهب في ثورته وعنفه وعشقه للحرية ورفضه للقيود، هذا الشعر يصور أبا شادي في حياته في المهجر وهو في الستين من عمره، يجاهد ويكافح من أجل وطنه وشعبه، وهذا الشعر يعلن عن نفسه في كبرياء، ويلح في ثورته على كل صور الأحداث والظلمة القاسية النكراء .. ليقول للجيل بلغة شاعر أصيل:

كونـوا للوطـن المنقـذ والحـامي، والبـاني، والمجـدد لنهضتـه ولحضارتـه ولسيادته، ولتاريخه المجيد العريق، تكن له الحياة، ويكن لكم المجد والخلود.

*****

ناجى .. والشعر الغنائى

أهم خصائص الشاعر الغنائى - كما يقول النقاد - أن يعبر لنا فى تجربته الفنية عن لحظة حادة من اللحظات، أو يعبر عن شىء مرئى فى غير تفصيل ولا تعليق، يقيد اللحظة الهاربة ويثبتها ويعرب عن لمحات شروده وعجبه ودهشة نفسه، فى موسيقية سابغة متماوجة.

فاصول الفن الغنائى هى: التجربة العميقة الموحية، والذاتية المعبرة الملهمة، والموسيقى الشعرية المتدفقة بالحياة والحركة والتصوير، يضاف إلى ذلك: شعور الشاعر بشخصيته الماثلة فى ذهن القارئ والسامع، والأسلوب الشعرى الذى يصور فنه الغنائى، بما يشتمل عليه هذا الأسلوب من خيال وتناسب وتخير فنى للألفاظ والتعبير ووحدة واضحة فى القصيد.

والتجربة الشعرية فى فن ناجى الغنائى قوية عالية، وإنه ليبلغ فى أحيان كثيرة غاية التوفيق فى التعابير عن مشاعره وعواطفه، تعبيرًا حيًا صادقًا، ولعله كان يشير إلى ذلك فى قوله عن الشعر:

إنمـــــا الشــــــعر مزهــــــر
قـــد حكــــى قصـــة الأمــــم

وبأوتـــــــاره المنــــــــى
تتلاقــــــــى وتزدحـــــــم

هــــــو نــــــاى مرجـــــع
لشــــجى ومــــا كتــــم

هــــو أنشــــودة الحيـــا
ة ، وفيــــض مــــن النغـــم

هــــو آهــــات شــــاعر
عـــــرف الحـــــب والألم

ويقول ناجي في مقدمة ديوانه "ليالي القاهرة": "الشعر عندي هو النافذة التي أطل منها على الحياة، وأشرف منها على الأبد وما وراء الأبد. هو الهواء الذي أتنفسه، وهو البلسم الذي داويت به جراح نفسي عندما عز الأساة". ومما أعان على وضوح التجربة الفنية في شعره أنه كان لا يعرف الزيف في الشعور، ولا التقليد في العاطفة، فلم يستمد إحساسه بالجمال من إحساس شاعر سواه.

وانظر كيف يجيد ناجي في غزله المواءمة بين تجربته وصياغته، وكيف ينقل تجربته إلى الأذهان نقلاً حيًا خصبًا مؤثرًا، حتى ليخلق هذه التجربة في عقولنا، فنرى ما يراه، ونتأثر بما تأثر به، ونبكي معه حين يبكي لأنه ليس شاعرًا وصافًا فحسب. استمع إليه وهو يقول من "ملحمة الأطلال":

أعطني حريتي، اطلق يدي
إنني أعطيت ما استبقيت شي
آه من قيدك أدمى معصمي
لم أبقيه؟ وما أبقى علي
ما احتفاظي بعهود لم تصنها
وآلام الأسر والدنيا لدي!
ها أنا جفت دموعي فاعف عنها
إنها قبلك لم تبذل لحي
وهب الطائر عن عشك طارا
جفت الغدران والثلج أغارا
هذه الدنيا قلوب جمدت
خبت الشعلة والجمر توارى
وإذا ما قبس القلب غدا
من رماد لا تسله كيف صارا
لا تسل واذكر عذاب المصطلي
وهو يذكيه فلا يقبس نارا

يـا حبيبي كـل شـيء بقضـاء

مـا بأيدينـا خلقـنـا تعـساء

ربمـا تجمعنـا أقدارنـا

ذات يـوم بعـد مـا عـز اللقـاء

فـإذا أنكـر خـل خلـه

وتلاقينـا لقـاء الغربـاء

ومضـى كـل إلى غايتـه

لا تقـل شـئنا، وقـل : الحـظ شـاء

فهنا تجد شتى عناصر الفن الغنائي كاملة قوية جياشة بالروح والحياة.

وإذا ما تميزت القصيدة الغنائية أو الوجدانية بالموسيقى المنفعلة المؤثرة؛ فإننا نلمح أثر ذلك في فن ناجي الغنائي، كما في قصيدة العودة وسواها، حيث نجد أصواتًا من الموسيقى الحادة، تتميز بالتنوع حينًا وبالوحدة حينًا آخر، والنقاد يرون توحيد النغم الموسيقي في القصيدة خيرًا من تنوعه. ولكن لا ضير على الشاعر عند الكثيرين من اختلاف نغم موسيقاه في القبض والسرعة، ومدى الارتفاع والانفعال كما فعل ناجي في "العودة" التي تعد من آيات عبقريته وموهبته الخلاقة.

وتذكرنا موسيقى ناجي الغنائية البديعة بموسيقى قديمة لشاعرين من أشهر شعراء العربية في القديم: مهيار والشريف الرضي. فإذا ما قرأنا شعرهما صعدنا إلى جو شبيه بالجو الذي عشنا فيه مع شاعرنا إبراهيم ناجي، مما تشعر معه بمقدرة الشاعر العربي على تنغيم الألفاظ، وتلحين الأساليب، واتخاذ مادة شعره من الغناء والموسيقى، وإن كانت هذه المقدرة وقفًا على قليل من أعلام الشعر العربي في القديم والحديث، وقد تأثر بموسيقى ناجي كثير من الشعراء العرب، ومن بينهم الشاعر الحجازي أحمد عبد الغفور عطار في ديوانه: "الهوى والشباب".

ومن وراء هذين العنصرين القويين في فن ناجي الغنائي: "التجربة الشعرية؛ والموسيقى المنفعلة، نلمح شخصيته القوية الماثلة وذاتيته المعبرة المستلهمة في وضوح وجلاء .. اسمع إليه وهو يقول:

ذهـب العمـر هبـاء فـاذهبي

لم يكـن وعـدك الا شـبحا

صفحة قد ذهب الدهر بها
أثبت الحب عليها ومحا

انظري ضحكي ورقصي فرحا
وأنا أحمل قلبا ذبحا

كنت تمثال خيالي فهوى
المقادير أرادي لا يدي

ويحها لم تدر ماذا حطمت
حطمت تاجي، وهدت معبدي

والقارئ يحس عندما يقرأ ناجي أنه يرسم صورة الشعرية بوضوح شديد حتى لنرى ما يرسمه مرأى العيان، فكل كلمة في القصيدة تمثل صورة أو تكملها. والكلمة عنده لا تؤدي معنى، وإنما ترسم صورا متحركة أخاذة، وكأنك في دار للسينما تشاهد هذه الصورة المتحركة وتراها، وتسمع أصواتها وضجيج حركتها، أقرأ لناجي قصيدته المرهفة: "رسائل محترقة" التي يقول فيها:

ذوت الصبابة وانطوت
وفرغت من آلامها

لكنني ألقى المنا
يا من بقايا جامها

عادت إلى الذكريا
ت بحشدها وزحامها

في ليلة ليلاء أر
قني عصيب ظلامها

هدأت رسائل حبها
كالطفل في أحلامها

أشعلت فيها النار تر
عى في عزيز حطامها

تغتال قصة حبنا
من بدئها لختامها

أحرقتـــــها ورميــــــت قلبـــــ

بـــى فـــى صميـــم ضرامــــها

فسوف تعرف الشاعر في وضوح، وسترى شخصيته ماثلة للعيان ممثلة في الأذهان .. وتطالعنا شخصية الشاعر كذلك بوضوح في غير قصائد الغزل. استمع إليه وهو يقول:

قـد ينــام الـتراث جيــلا فجيــلا

غافيــا فـــى مجـــاهل خرســـاء

وتنـام الـروح العريقـة فـى المجــ

ــد لتبــدو فــى طلعـــة سمــراء

فتراهــا مصريــة الـسـمت والقــو

ة والعـــزم والحجـــا والمضــــاء

فــما قــد غفـا الجــلال ليصحــو

مـن جديـد فـى وجـهك الوضـاء

فسوف تدرك كيف أحسنا بالشاعر نفسه، وكيف نقف أمام شخصيته القوية المهيمنة، متأملين متعجبين، ومن قصيدة له أنشدها في فبراير ١٩٤٧ حين وقف الشاعر في مدينة الزقازيق ينشد قصيدة له في مهرجان نظمته جامعة أدباء العروبة يقول:

يـا أمـــة نبتــت فيــها البطــولات

لا مصر هانت ولا الأبطـال قد ماتوا

مـا يـبرح المجــد يدعونـا فنتبعــه

كمـا تطــير إلى النــار الفراشــات

أيـن الغـزاة الألىء مـروا بنـا زمـرا

وأيــــن يـــالله تيجـــان ودولات

طـافوا البقـاع فلمـا حـل رحلـهمو

بمصـر لم يصبحـوا فيـها كمـا بـاتوا

كـأن صخـرة أقـدار تحطمـهم
وما مـن القـدر المحتـوم إفـلات
مـروا ومصـر علـى التـاريخ باقيـة
كصفحـة حولهـا للنـور هـالات

ثم يذكر حظ مصر العاثر في معركة التل الكبير، وجهاد أبطالها: عرابي ورفقائه الأحرار، ممجدا مكرما، حتى يقول:

يـا قلـة أخفقـت لكنـها طلعـت
كأنـها فـي جبـين النيـل مشـكاة
النيـل حبـل ونحـن العقـد متصـلا
حباتـه، كيـف تـذرى منـه حبـات
الشـرق سـحر وأرواح معطـرة
كأنـها مـن جنـان الخلـد نفحـات
إن العروبـة ظـل الله فـائتلفوا
تظلكـم بالعنايـات السـموات

هذا هو ناجي في صوره وفي شعره، وقد كان يعرف الشعر بأنه موسيقى وصور وإقناع وخيال، ولا يعني ناجي من الخيال إيراد التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وما إليها، وإن كانت هذه هي أهم أدوات الخيال، وإنما كان يريد للشاعر حين يتخيل، أن يطلق نفسه للتصورات العالية في شتى مرائي الحياة، ومن صور الخيال في شعره قوله:

يـا مـن أحـب وافتـدى
ويلـذ لي فيـه الألم
لـك حسـن أنـوار الخميـ
ـلة طـل صبحـا فابتسـم
لـك نضـرة الفجـر الجميـ
ـل علـى الروابـي والقمـم

وقوله كذلك:

لا القوم راحوا بأخبار ولا جاءوا
ولا لقلبك عن ليلاك أنباء
جفا الربيع ليالينا وغادرها
وأقفر الروض لا ظل ولا ماء

وقوله:

نمشي وقد طال الطريق بنا
ونود لو نمشي إلى الأمد
ونود لو خلت الحياة لنا
كطريقنا وغدت بلا أحد

ومن صوره الخيالية الطريفة قوله:

مر يومي كأمسه، وأتى ليل
بهيج ترف فيه السماء
قد جلت فيه عرسها، كل نجم
قدح يستحم فيه الضياء

ولنه ليبلغ فن الشاعر الغنائي منزلة عالية من الجودة في ملحمة الأطلال، التي اختار لها وزنا غنائيا، هو بحر الرمل الذي اختاره كذلك لقصيدته "العودة"، وأما ملحمته "ليالي القاهرة" فهي متعددة الأوزان والقوافي، وأروع ما فيها الليلة السادسة، التي يقص فيها الشاعر قصة لقاء، في ظلام ليالي القاهرة، أبان الحرب العالمية الثانية.

ونؤكد هنا أن إبراهيم ناجي يتفوق في فنه الغنائي على شعرائنا المعاصرين اليوم تفوقا ظاهرا، وهو في موسيقاه يتفوق كذلك تفوقا ملموسا على إيليا أبي ماضي وغيره، إنه يمثل الشخصية المصرية الشاعرة، والروح الغنائية الفريدة في شعب مصر تمام التمثيل.

*****

صالح جودت
(٧ ديسمبر ١٩١٢ - ٢٣ يونيو ١٩٧٦)

(١)

عاش صالح جودت فى رحاب الشعر قريبا من نصف قرن، وعرف منذ مطلع حياته الشعرية بأنه شاعر رومانسى النزعة، وجدانى التجربة، له غنائيته الجميلة، وموسيقاه الحلوة، وحواره العذب، ولغته الشاعرة الأنيقة، التى تمثل فى بساطتها وعذوبتها لغة الشعب العالية.

ولقد كان واحدا من أعلام مدرسة أبوللو الشعرية، وكان مولده فى الزقازيق فى ٧ ديسمبر ١٩١٢، وفى مرحلة تعليمه الثانوى بمدرسة المنصورة الثانوية تعرف بزملائه: الهمشرى، ومختار الوكيل (الدكتور)، وبالشاعرين ناجى، وعلى محمود طه، وبدأت شاعريته ومواهبه فى الشعر التى غذاها قراءاته الواسعة، وانتماؤه إلى أبوللو، والتقاؤه فى رحابها بأعلام الشعر.

وكانت رحلته الأولى فى الحياة بعد تخرجه من كلية التجارة بجامعة القاهرة عام ١٩٣٧م، هى عمله فى الصحافة وفى الإذاعة وشارك فيما بعد فى كل مؤتمرات الأدباء ومهرجانات الشعر التى عقدت فى القاهرة وفى مختلف العواصم العربية، كما شارك فى مؤتمرات إسلامية وثقافية كثيرة. ومثل مصر فى مهرجان لبنان لذكرى مطران، وفى حفل تكريم الأخطل الصغير فى بيروت (١٩٦١م). وفى حفل إزاحة الستار عن تمثال العالم اللغوى عيسى إسكندر المعلوف، وقام برحلات كثيرة إلى الشرق والغرب سجلها فى كتابه "قلم طائر".

ونال جائزة شوقى وجائزة الدولة فى الشعر عام ١٩٥٨ عن ديوانه "ليالى الهرم". ورشح قبل وفاته بقليل للجائزة التقديرية. ومنذ سبتمبر ١٩٧٣ صار مقررا للجنة الشعر فى المجلس الأعلى للفنون والآداب، فحل محل العقاد وعزيز أباظة، وصار ثالث مقرر لها على امتداد أيامها.

وشغل عضوية كثير من الجمعيات الأدبية والفنية:

-نادى القصة - جمعية الأدباء - مجلس إدارة الهيئة العامة للكتاب - مجلس إدارة صندوق معاشات الفنانين والأدباء - لجنة الرقابة على المصنفات الفنية - لجنة النصوص بالإذاعة - وشغل نائب رئيس مجلس إدارة جمعية المؤلفين والملحنين مع صديقه محمد عبد الوهاب.

كما شغل منصب:

مراقب البرامج الثقافية فى الإذاعة، ومدير إذاعة صوت العرب، ورئيس تحرير مجلة الإذاعة، ومدير لتحرير المصور، ورئيس تحرير له، ولمجلة الهلال، ونائب رئيس مجلس الإدارة بدار الهلال.

ويقص صالح قصته فى أندية الأدب الليلية فى القاهرة، وقصة رفقائه فيها ممن صاروا أشهر أبناء المدرسة الحديثة، فى الأدب يومئذ: محمود تيمور، وتوفيق الحكيم، وأحمد رامى، وإبراهيم المصرى، ود. حسين فوزى، وعلى أدهم، ومحمود طاهر لاشين، وسواهم. كما يذكر انتماءه إلى مدرسة أبوللو الشعرية منذ قيامها عام ١٩٣٢م وكان معه فيها: على محمود طه، وزكى مبارك، وحسن كامل الصيرفى، ومحمد الهمشرى، ومحمود أبو الوفا، وغيرهم[1]. وكانت أبوللو كثيرة الخصومات[2]، ويرجح جودت أن يطلق على أبوللو جماعة لا مدرسة[3]، ويستدل على ذلك برأى للدكتور محمد مندور[4]، وفى الحق أنها كانت مدرسة متكاملة البناء الأدبى، فلها مذهبها ونظرياتها وأفكارها واتجاهاتها الخاصة[5]، ويؤيد ذلك الناقد مصطفى السحرتى[6]، كما قرره أبو شادى فى مجلته أبوللو أيضا.

---

[1] ص٦٤ ناجى، ص١٢ بلابل.

[2] ص٧٧ ناجى.

[3] ص١٣٩ ناجى.

[4] ص١٤٠ نفس المرجع..

[5] وقد أيدت ذلك فى أكثر من موضع، راجع ص١٠٠ "مدرسة أبوللو الشعرية"

[6] ٨ و١٢ مدرسة أبوللو الشعرية.

وتأثر جودت فوق ذلك كله هو وناجي بالمدارس الأدبية الجديدة في الأدب الغربي[1].

وثلاثية صالح جودت الجليلة المقدسة التي تشمل:

١- في رحاب الكعبة.
٢- في رحاب المدينة المنورة.
٣- في رحاب القدس.

فيها كل خصائص موسيقى صالح جودت بما يجللها من خيال وعاطفة وتجربة عميقة .. وهذه الثلاثية في صدر ديوان "الله والنيل .. والحب" وهي من أوزان متعددة: فالنشيد الأول من المتقارب، والثاني من الرمل، والثالث من السريع. والثلاثية مشهورة، وقد غنتها أم كلثوم، وتمتاز بأعذب نغم موسيقى عرف في قصيدة معاصرة، وقد أفرغ فيها الشاعر كل رؤاه الشعرية وغنائيته الحلوة في ألحان من الشعر والسحر معا.

وقصيدة صالح "على النيل" من ديوان "الله والنيل والحب" .. معجزة فنية أخرى. يقول فيها الشاعر:

وجاءت "ضحى" لأبي تشتكي
فقالت: فتاك طويل اليدين
رآني على النيل عند الغروب
فمر ولم يرع لي حرمتين
دموع الأنوثة ظمأنة
وذل العواطف حتى اكتوين
فسرت إليه فناديته .. ..
فأغلق دون الهوى المسمعين
فأدركته فتجنى علي
وذوب قلبي في نظرتين
ولكن نهدي همسا به
فمسهما فغدا بين بين

[1] ص١٤٦ ناجي.

فأمسكت شعرى بكلتا يدى
فطالعه ذهب فى لجين
وملت عليه فأغريته
فتجنى .. فقبلته مرتين
فعانقنى فثنيت الشفاه
فبادلنى قبلة العاشقين
فقال أبى وهو فى حيرة
حسبت فتاى طويل اليدين
فقالت: أجل أنه ضمنى
وقبلنى فى فمى بعد أين
أترضى يقبلنى قبلة
وقد كنت أطمع فى قبلتين

معجزة فنية فى لوحة رائعة، تتجمع فيها الموسيقى والحوار واللغة المبسطة والأمثلة الشعبية والمفاجآت، ليجعل ذلك كله منها أغنية رائعة .. وأنظر إلى هذه العذوبة فى موسيقى الشعر، البحر والقافية والإيقاع، كل ذلك يفوق حد الجمال، ولا شك أن الشاعر يقف هنا مع الأخطل الصغير ومع الشاعر القروى فى قمة الإبداع، ولكنها الأصالة عند شاعرنا التى تنأى به عن التقليد:

وماذا أقول فى قصائد كثيرة لصالح جودة تصلح كل منها شاهدا على حلاوة موسيقاه وعذوبة أنغامه.

وقصيدته "قاهرتى[1]" و "أنشودة" القاهرة[2]". فيهما الوطنية العميقة التى تزيد موسيقاه حلاوة، ثم قصيدته "حكاية فى الحى[3]" التى تتجمع فيها الموسيقى والحوار وغرابة الخيال وجمال الصورة، مما جعل منها عزفا موسيقيا هامسا ..

وقد ولد شاعرنا الخالد فى السابع من ديسمبر عام ١٩١٢م بالزقازيق. وأتم تعليمه الثانوى بمدرسة المنصورة الثانوية. وفيها التقى بزملائه: محمد الهمشرى،

---

[1] ٦٤ من ديوان "الله والنيل والحب".

[2] ص٨٩ الديوان.

[3] ص١٦٩ الديوان نفسه.

ومختار الوكيل. وفي المنصورة تعرف بالشاعرين المرحومين إبراهيم ناجي، وعلى محمود طه.

ثم دخل كلية التجارة بجامعة القاهرة، وكان في طليعة الناجحين في قسم العلوم السياسية عام ١٩٣٧ والتحق بقسم الدراسات العليا للعلوم السياسية، فحصل على الماجستير عام ١٩٤٩م، وكان أول الناجحين.

كما درس النظم السياسية في معهد سكرتارية الأمم المتحدة في نيويورك عام ١٩٥٩م، وحصل على دبلومة بتقدير ممتاز.

وشغل وظائف إدارية عدة، منها:

-مديرا للدعاية ببنك مصر وشركاته.

-ومحررا بجريدة الأهرام.

-ومديرا لتحرير المصور.

-ثم رئيس تحرير لمجلة الاثنين.

-ورئيس تحرير المصور.

-ونائب رئيس مجلس الإدارة بدار الهلال، ثم رئيسا لها.

-ورئيس تحرير لمجلة الهلال وكتاب وروايات الهلال.

وفي الإذاعة عمل مديرا للأحاديث - ومراقبا للبرامج الثقافية.

ومديرا لإذاعة صوت العرب - ورئيس تحرير لمجلة الإذاعة.

وفي المجال الأدبي كان واحدا من أعضاء جمعية أبوللو، وكتب في مجلتها، ونشر شعره فيها، وعن الجمعية صدر أول دواوينه وهو ديوان صالح جودت عام ١٩٣٤ - وشارك في مؤتمرات الأدباء ومهرجانات الشعر التي عقدت في مختلف العواصم العربية والمدن التاريخية: كالقاهرة والإسكندرية وغزة ودمشق وبيروت وبغداد وتونس والجزائر.

وشارك في كثير من المؤتمرات كالملتقى الإسلامي في الجزائر الذي عقد في جنيف عام ١٩٧٣م. وكالأسبوع الثقافي الألماني الذي عقد في ألمانيا في صيف عام ١٩٧٤م.

ومثل مصر في مهرجانات عربية كبرى: كالمهرجان الذي أقيم في لبنان لذكرى الشاعر خليل مطران، وكحفل تكريم الأخطل الصغير الذي أقيم في بيروت عام ١٩٦١م، وكحفل إزاحة الستار عن تمثال العالم اللغوي عيسى إسكندر المعلوف.

وقام برحلات كثيرة إلى الشرق والغرب، مما ترك في نفسه انطباعات عميقة سجلها في كتابه "قلم طائر".

وقد أفاده كل ذلك تنوع ثقافة، واتساع معرفة، وتمكنا من اللغات الثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية.

وكان من الرعيل الأول الذين فازوا بجوائز الدولة منذ إنشائها، فكان أول الفائزين في الشعر عام ١٩٥٨م عن ديوانه "ليالي الهرم" ورشح قبل وفاته لجائزة الدولة التقديرية في الشعر وذلك في السابع من نوفمبر عام ١٩٧٤م.

ومنذ سبتمبر ١٩٧٣م صارا مقررا للجنة الشعر في المجلس الأعلى للفنون والآداب، فحل بذلك محل العقاد وعزيز أباظة، وصار ثالث مقرر لها على امتداد أيامها.

وإلى جانب عضويته بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية واختياره مقررا للجنة الشعر فيه منذ عام ١٩٧٣م حتى وفاته، كان عضوا في نادي القصة، ومجلس إدارة جمعية الأدباء، ومجلس إدارة الهيئة العامة للكتاب، ومجلس إدارة صندوق معاشات الفنانين والأدباء، ولجنة الرقابة على المصنفات الفنية. كما كان نائب رئيس مجلس إدارة جمعية المؤلفين والملحنين.

وبالإضافة إلى مكانته المرموقة في الشعر، كان كاتبا ممتازا من كتاب السير والتراجم، ويتجلى ذلك في كتبه عن أحمد فتحي شاعر الكرنك، والهمشري، وناجي، كما يتجلى في كتابه "بلابل من الشرق" الذي كشف فيه الستار عن نواح مجهولة لطائفة من الشعراء المعاصرين، كما كان كاتبا مجودا في القصة، غايته في قصصه الإصلاح الاجتماعي ويتحاشى فيها الإثارة والجنس.

وتمتاز كتابته الصحفية بالصراحة والإنصاف وإصابة الهدف، وبالرغبة في تشجيع المواهب. وتمثل مقالاته في الهلال التي كان ينشرها بعنوان "رحلة الشهر"، ومقالاته الأسبوعية في المصور لونا جديدا منصفا من الكتابة الفنية.

وتبلغ مؤلفات الشاعر نحو الثلاثين في مختلف فنون الأدب:

فله ستة دواوين مطبوعة، هي:

١- ديوان صالح جودت - نشر جماعة أبوللو عام ١٩٣٤م.

٢- ليالي الهرم - نشر حسن إيراني عام ١٩٥٧م.

٣- أغنيات على النيل مكتبة مصر عام ١٩٦٢م.

٤- حكايات قلب - نشر دار المعارف عام ١٩٦٥م.
٥- ألحان مصرية - نشر مؤسسة التأليف والنشر عام ١٩٦٨م.
٦- الله والنيل والحب - نشر الهيئة العامة للكتاب.

وله نحو ثلاثمائة أغنية للإذاعة والتليفزيون والسينما، مكتوبة بالفصحى إلا القليل مما كتبه بالزجل، وممن غنى شعره: أم كلثوم، وعبد الوهاب، ونجاة الصغيرة، وليلى مراد، وفايزة أحمد، ونور الهدى، وكارم محمود، وعقيلة راتب وإبراهيم حمودة.

وله مسرحية شيرين قدمها مسرح أوبرا ملك، ومسرحية روميو وجوليت لشكسبير.

وفي القصة القصيرة له خمس كتب هي:
١- في فندق الله - نشر الكتاب الفني الفضي.
٢- كلنا خطايا - نشر مكتبة النهضة عام ١٩٥٧م.
٣- كلام الناس - نشر دار الهلال عام ١٩٥٩م.
٤- خائفة من السماء - نشر المكتب التجاري بلبنان.
٥- أولاد الحلال - نشر كتاب اليوم.

وفي الرواية له:
١- بيت أفندينا - نشر مكتبة النهضة.
٢- عودي إلى البيت - نشر حسن إبراني.
٣- وداعا أيها الليل - نشر مكتبة مصر.
٤- الشباك - نشر دار الهلال.

وفي أدب الرحلات له كتابان:
١- أساطير وحواديت - نشر مؤسسة التأليف والنشر.
٢- قلم طائر.

وفي التراجم الأدبية له ستة كتب هي:
١- ناجي حياته وشعره - نشر المجلس الأعلى للفنون والآداب.
٢- ملوك وصعاليك - نشر مكتبة النهضة ١٩٥٩م.
٣- الهمشري حياته وشعره - نشر المجلس الأعلى للفنون والآداب عام ١٩٥٩م.
٤- شعر المجنون نشر دار الهلال عام ١٩٧٢م.

٥- أحمد فتحي حياته وشعره   نشر دار الهلال.
٦- بلابل من الشرق   نشر دار المعارف عام ١٩٧٣م.

وجمع وحقق ثلاثة دواوين هي:

١- ديوان ناجي - نشر وزارة الثقافة عام ١٩٦١م.
٢- ديوان الهمشري - الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٧٤م.
٣- ديوان أحمد فتحي - تحت الطبع بالمجلس الأعلى للفنون والآداب.

وكتب للسينما عشرات من القصص وترجم أربعة كتب هي:

١- الأفق المفقود تأليف جيمس هيلتون وقد نشر في جريدة الصباح.
٢- العجوز والبحر، تأليف أرنست همنجواي   نشر دار الهلال عام ١٩٧٣م.
٣- مصري في أيرلنده للدكتور إبراهيم رشاد   وقد نشرته دار الهلال عام ١٩٧٣م.
٤- سيدتي الجميلة - تأليف آن ليرنر.

حسن كامل الصيرفى

٦ سبتمبر ١٩٠٨ – ٢٠ مايو ١٩٨٤

–١–

نلمس خصائص شاعرية "الصيرفى" فى شعره واضحة بارزة، يقول حسن كامل الصيرفى" يخاطب الشباب:

إلى الأمام خطوة　　　فخطوة وأقدم
من لم يكن شعاره　　　"إلى الأمام" يهزم
إلى الأمام فالحيا　　　ة ساحة التقدم
العمر فيها مسرع　　　إلى سكون العدم

وكل من لم يخط فيها خطوة يحطم

وكل من لم يبن　　　فيها أثرا يهدم
إلى الأمام إنما الفوز　　　لمن لم يحجم ..

فتجد ملامح شاعرية واضحة فى ألفاظه وأسلوبه ومعانيه وخياله وانسجام تفكيره؛ ووحدة أبياته الشعرية والشعورية ..

ويرثى الصيرفى أبا القاسم الشابى بقصيدته:

أيها المتعب الذى　　　حطم الناى واستراح
أيها الشاعر الذى　　　ضاق بالمشرع المتاح
أرهق الجسم ثائر　　　بين جنبيه لا يراح
لم يسع صدره　　　لم تجد فيه من براح
حطمته بعنفها　　　وهى مشبوبة الطماح
عشت تشدو لعالم　　　قد تلهى بكأس راح
الأعاصير لهوه　　　وأغاريده الرياح

والصيرفى مجيد فى الرثاء والألم والشكوى ووصف العواطف والمشاعر والأحاسيس النفسية الدفينة. وفى الرموز الرقيقة المعبرة. والأوصاف الدقيقة. ويحمع

شعره بين السلاسة والتعبير القوى والفكرة العميقة، وبيته الشعرى يجمع صورا كثيرة متلاحمة مصبوبة فى قالب شعرى جميل، مع البراعة النادرة فى رسم الصور والظلال، وتوشيتها بألوان ساحرة من الخيال، وإضافة التفاصيل الساخرة التى تنم عن فطنة بارعة، وذهن خصب، وملكة نادرة مصورة.

ويشيد السحرتى برمزيات الصيرفى[1]، وبتجربته الشعرية فى قصيدته "التضحية[2] "،حيث يقول:

هنــــا فـــى هيكـــل الحـــب
أحقـــر مبـــــدأ الفـــــرد

ويقول منها:

أجـــل النـــاس مـــن يظمـــا
لـــيرضى الظـــامىء الجـــائع

ويذكر تجربته الشعرية المختلطة بتجارب باطنية أخرى فى قصيدته "غروب شمس"[3] التى رثى بها أخته، ويقول منها:

رؤى الـد نيـا كـواذب خادعـات
وقــد صبغــت بــألوان كــذاب

ومنها:

مضــت بــالأولين وســوف تمضـــى
بنــا وبغيرنــا مــن كــل بــاب
نعيــش وحولنــا أهــل وصحــب
ونحن من الحيـاة علـى اغـتراب[4]

---

[1] ص. الشعر المعاصر.

[2] ص٧٨ الألحان الضائعة.

[3] المقتطف عدد أبريل سنة ١٩٤٧، والرسالة عدد ١٠ مارس سنة ١٩٤٧م.

[4] ٤١ الشعر المعاصر.

ويذكر أسلوب الصيرفي الأثير الهفهاف[1]، ونزعته الانطوائية التي جعلت الشاعر يختار موضوعات الشعر من نفسه[2]. وموسيقاه التي توائم الموضوع الشعري في قصيدته "تعالي ورائي"[3]، وبعض قوافيه المزدوجة مع تنويع البحر[4]، كما في قصيدته القبلة[5]، ويشير إلى رمزية الصيرفي التي قصرها على الترنيم الموسيقي الآسر[6]، وإلى قصيدته "السحابة المفترة"[7] التي رمز بها إلى أحد المغتربين[8]، وإلى قصيدته، وحدة العمر[9]:

ستختلف الحياة أمام عيني

تمر طيوفها وتغيب عني[10]

وقد عرض مؤلف كتاب "سمير الأدباء" للصيرفي وشاعريته، ووصفه بأنه "شاعر فياض الشاعرية المستوحاة من الحياة، وكما توحي إليه أغاني الربيع، وجفاء الطبيعة، ووحدة المشاعر في قصائده. وكما توحي إليه اللفيفة، ويوحي إليه المصباح، فهو شاعر في بيانه، في حياته، في خلقه .. وهو بطبيعته الهادئة الساكنة من غير هذا العالم".[11]

---

[1] ٦٨ المرجع.

[2] ٦٩ المرجع.

[3] ١١٦ المرجع.

[4] ١٢٠ المرجع.

[5] ديوان الشروق.

[6] الشعر المعاصر.

[7] ٤٣ الألحان الضائعة.

[8] ١٣١ الشعر المعاصر.

[9] ٦١ ديوان الشروق.

[10] ٢١٠ الشعر المعاصر.

[11] ص٤٩ سمير الأدباء – طبع بالمنيا.

ولقد ولد الشاعر في ٦ سبتمبر سنة ١٩٠٨، وبدأ ينظم الشعر وهو في الخامسة عشرة من عمره، وترك المدرسة عام ١٩٢٥م ليفرغ للشعر، وبدأ منذ عام ١٩٢٧م ينشر شعره في مجلة "العصور"[١]. ثم صار أحد أعضاء جمعية "أبوللو الشعرية" التي أنشأها أبو شادي ورعاها، وفي عام ١٩٣٤ أصدر ديوانه "الألحان الضائعة"، وصدر له بعد ذلك "الشروق"، ثم ديوان "صدى ونور ودموع".

ويقول أبو شادي عن الصيرفي في تصديره لديوانه "الألحان الضائعة" الذي صدر في القاهرة عام ١٩٣٤[٢]: حسن كامل الصيرفي شاعر أصيل، فياض الشاعرية، المستوحاة من أغاني الربيع، ومن الصدى الخافت، ومن جفاء الطبيعة ومن البسمات الساخرة، ومن موت البلبل، ومن كل ما توحيه الحياة والموت للشاعر الحساس النبيل، وهو شاعر في بيانه، شاعر في حياته، شاعر في خلقه، وهذه الصفات قلما تجتمع حتى تبهجك وتشعرك بالاحترام والمحبة البالغة نحو صاحبها، فالصيرفي هو الفنان الناضج في تعبيره الوجداني المنغوم، وفي صور حياته العامة، وفي مظهر النفس الخلقية، فهو ذاتية من الشعر الحي الثمين .. والصيرفي الشاعر وشعر الصيرفي وحدة منسجمة لا تتجزأ، لقد انتظمت مدرسة أبوللو شعراء ممتازين، ولها أن تفخر بالصيرفي وشعره، فهو ثروة جديدة للشعر المصري الحديث وللشعر العربي عامة، وكيف لا يكون كذلك وهو الجامع ما جمع من الطلاقة البديعة، والخيال الرائع والموسيقى المستحدثة، في نظام هو نظامه لا يقلد فيه أحدًا! وإن تجاوب مع شعراء العالم العربي، وهذا التجاوب الشامل علامة من علامات الشاعرية القوية، كما أن احتفاظه بشخصيته علامة أخرى من علاماتها القوية.

ويحلل أبو شادي شاعريته فيقول[٣]: "الصيرفي شاعر" مبتدع، بعيد الخيال، رومانتيكي النزعة غالبًا، رمزي أحيانًا، بعيد في طوره الحاضر عن المثل القديمة، لغته

---

[١] ص٤، ٥ الألحان الضائعة.

[٢] ص٦ الألحان الضائعة.

[٣] ص٦ الألحان الضائعة.

لغة الشعر الجرئ. فكل ألفاظه أشعة وظلال وأنغام وأصداء، وعطر وشذى وأشباح وأطياف ونحوها"[1].

وكتب عبد العزيز عتيق دراسة نقدية عنه جاء فيها: "شعر الصيرفي شعر الفكرة والتأمل، تنبثق في خاطره انبثاق الشعاع ولا تزال في وضوح ونمو حتى تكمل، وإذ ذاك تساوره على التعبير عنها والخروج إلى الحياة، ومن أحسن فكره الشعرية في هذا الديوان فكرة قصيدة "الشاعر"[2]، ففيها يمثل لنا خلق الشاعر وكيفية هبوطه إلى الأرض وأسباب ذلك في عرض شعرى جذاب[3].

وهذه القصيدة في رأيى هي التي ينهج نُهجا على محمود طه في قصيدته "ميلاد شاعر" وهي طويلة تقع في أكثر من خمسين ومائة بيت ولقد نجح الشاعر في تصوير هذه القصة خير تصوير، كما عبر عنها أوضح تعبير، وأن هذه القصيدة وحدها لكفيلة أن تنظمه في سلك الشعراء المتفردين المطبوعين .. ومن قصائده في هذا الديوان "اللحن الضائع" و"القلب المحطم". و"الحيارى". و"التائه". و"ظمآن". و"استراح يا قلب" و"موت عزرائيل" و"ربيع كالخريف". وتمثل قصيدتاه "ظمآن" و"ووحي المصباح" تجارب شعرية غامضة. وفي قصيدته "المنديل" أصالة التوجيه الموضوعي.

ولقد قوبل ديوان "الألحان الضائعة" بعاصفة من النقد. لم يقابل بها ديوان آخر معاصر. وأحسبني عاجزا عن أن أرسم صورة موجزة جدا لما أثير حول الديوان من دراسات أدبية ومشكلات في النقد. وخصومات بين القديم والجديد.

كتب الناقد الأدبى في مجلة "الحديث الحلبية"[4] يقول بمناسبة ظهور الديوان: "الصيرفي شاعر ينشد شعره من نفس متعبة وقلب قد استفزته الأحلام" .. ونوه بالألوان النفسية - في شعره - التي تفيض بالاكتئاب تارة. وبالبشر والدعة تارة أخرى. ويقول أن الصيرفي في كلتا الحالتين يحكي لنا شعوره. فينظم ذلك في كلمات مختارة. وأوزان مختلفة فيطربنا. وقد تنفذ هذه الكآبة التي تستولى عليه إلى

[1] ص٩ و١٠ المرجع نفسه.

[2] ص٣٣ المرجع نفسه.

[3] ص٩٣ المرجع.

[4] العدد العاشر ١٩٣٤م.

نفوسنا فنحزن ونجد حتى في هذا الاكتئاب جدة نفسية. ويرى أن الصيرفي في طليعة المجددين من شعراء الشباب.

ونوه الشاعر القروي[1] بديوانه "الألحان الضائعة" وبشاعرية "الصيرفي" فيه، وقال عن الصيرفي إنه شاعر مصري موهوب، مواضيعه طريفة، ونغماته جديدة، وشعره نسيج وحده، لا تقليد فيه ولا تقييد، بل إخلاص في الشعور وصدق في التصوير، إنه شاعر الآمال والآلام، وأي شاعر حقيقي لم يكن شاعر آمال وآلام، ولو لم يسم ديوانه "الألحان الضائعة" لخلع عليه كل مطالع من تلقاء نفسه هذا الاسم، فالألحان مزيته العظمى، وقلما تقرأ قصيدة لا ذكر فيها للألحان والأنغام والوتر والقيثارة، كأن الديوان ملحمة متعددة الأناشيد، متنوعة النغمات، في موضوع واحد جامع.

وكتب ناقد حول الديوان يقول[2]، لئن كان شعر علي محمود طه يمتاز بفخامة اللفظ وروعة الأسلوب ورصانة الجمع بين القديم والحديث، وشعر ناجي يمتاز بسحر العاطفة وجمال الذوق وجلال المعاني، فإن شعر الصيرفي يمتاز بموسيقيته الساحرة، وألحانه الحالمة وصفاء الديباجة وإشرافها، وسمو الفكرة: والتقصي الوصفي فيما وراء الصورة، والصيرفي بلا نزاع في طليعة شعراء الشباب المجددين الرمزيين. ويشير إلى خلو شعره من المدح والهجاء والفخر، وإلى أنه ينظم الشعر استجابة لعاطفته الملحة ومشاعره الدفينة، فيكون الفكرة ثم يختزنها في نفسه، حتى إذا ما حاك حولها هيكل القصيدة راح يزجيها، ويغذيها من دماء قلبه، ويضفي عليها ألوانا من سحر العاطفة وفتنتها، فتنثال عليه الخواطر انثيالا، وتواتيه القافية طيعة سلسة القياد، فلا يجري وراء لفظ يتخيره، أو تركيب ينمقه ويوشيه، كل ذلك عن وحي صادق، وغريزة موهوبة. وشعره سداه الألم، ولحمته السخط على الحياة، ومزاجه التبرم بالناس وما تواضعوا عليه، والديوان يكاد يكون خلوا من ذكر المرأة التي هي منبع من منابع الشعر.

ويقول عبد الفتاح إبراهيم من دراسة نقدية بهذا الديوان[3] "لبث الصيرفي- ثائرا على العالم؛ ساخطا عليه؛ ونزعت نفسه إلى التجديد. وخرجت بهذا

---

[1] مجلة العصبة الأندلسية – البرازيل – عدد أكتوبر ١٩٣٨.

[2] جريدة الحال – عدد ٢٣ أغسطس ١٩٣٤م.

[3] كوكب الشرق ٢٦ سبتمبر ١٩٣٤م.

للناس في العصور" و"أبوللو" و"المقتطف"، وعصر الشاعر روحه خمرا للناس يتذوقونها. وينوه بصوفية "الصيرفي" في قصيدته "الحياري" وبابتداع خياله في قصيدة "الشاعر".

وكتب محمود حسن إسماعيل[1] كلمة تحليلية عن الديوان والشاعر، منوها بنزوعه إلى المعاني التجريدية، وبتساميه عن مدارك العاديين، ويقول: إن الشاعر قد نوه في كلمته الأولى بالديوان، إلى تخلصه من الذوق العروضي واكتفائه بالذوق الموسيقي وهذه النزعة سبقه بها شعراء المهجر من السوريين.

وتحدث أبو شادي في مجلته أبوللو[2]،اعن شعر الصيرفي بمناسبة ظهور "الألحان الضائعة"، وحدد معنى الأصالة في الشعر بأن الشاعر الأصيل مبتكر له شخصية مستقلة ولا يقلد أحدا، وهو غالبا شاعر مطبوع، أما الشاعر المطبوع فهو الذي يأتي بالشعر من دون تكلف.

ودرس السحرتي "الألحان الضائعة[3]" مشيرا إلى روح الألم في شعره؛ و"الدموع ضرورية للعبقرية" كما يقول الأديب الفرنسي إسكندر ديماس؛ والحزن السامي يجعلنا نقدر اللذة كما يقول الفيلسوف الفرنسي ليبتزو "والفريدي موسيه"، بل كما يقول الصيرفي:

دموعـــــي كنـــــت آمـــــالا
تمـــــد القلـــــب بالبشـــــر
وكـــــانت هـــــذه الآمـــــال
كالأنغـــــام فـــــي الفجـــــر

ويذكر أن الآلام صهرت روح الصيرفي فأنضجتها وأطهرتها، وأطافت بها صوفية سمحة. حفزته إلى تأملاته الساجية الحنون، وجعلته يرسل ألحانا لا يفهمها إلا كل من يتجاوب مع مثله، وكل من يهتز قلبه لتنفس النهر، وغناء البلبل. وهمس النسيم؛ استمع إليه يشرح فنه فيقول:

---

(1) أبوللو – عدد سبتمبر ١٩٣٤.

(2) عدد أكتوبر ١٩٣٤ – وفي المقتطف عدد نوفمبر عام ١٩٣٤ دراسة للديوان.

(3) أبوللو عدد ديسمبر سنة ١٩٣٤م.

وأنشـــدتهم مـــن أغـــاني الســـماء
أناشـــيد تعـــزف للخــــالدين
فضـاع الصـدى فـى فضـاء الحيـاة
وذاب النشـــيد وهـــم يصخبــــون

ويذكر أن صوفيته تلهم شاعريته، وتخلع عليها الصفاء والنقاء. وفوق ذلك امتزجت بنفسه محبة الفن، ولهذا نراه ينظر إلى الوجود بشعور "الفنان"، ويسبح فى الدنيا هائما على وجهه؛ وتدق شاعرية الصيرفى غاية الدقة؛ ويفيض ديوانه بالشعر الانفعالى الهادئ الحزين، وبالشعر الرمزى وبشعر الطبيعة، وليس فيه من شعر الحب العاطفى إلا النادر،وصفوة القول أن الصيرفى شاعر مجدد هادئ الجوهر،صافى النفس، رقيق الشاعرية؛ عذب الموسيقى.

وينوه السحرتى بمعانيه الأصيلة فى الطبيعة(1)، وبشعره الأثيرى الذى لا يحاكى(2)، ويصفه بأنه شاعر سابح فى الخيال، يخلق لك جوا عبقا بالعطر الشعرى والموسيقى الهادئة. وكأنما ينادى المجهول(3).

ويصفه اسماعيل أدهم بأنه شاعر رومانسى النزعة، غنائى الروح، موسيقى التعبير(4).

وينوه بروكلمان به؛ وبنزعته كأحد أتباع الشعر الرمزى، وبتشاؤمه(5) وقد درس الدكتور إسماعيل أحمد أدهم الصيرفى وشاعريته دراسة واسعة فى "مجلة المكشوف(6)" وذكر آثار شعراء المهجر فى شعره وتأثره بمذهب مطران الشعرى.

ويذكر كاتب(7) أن الصيرفى شاعر له طابع، وشخصيته واضحة فى شعره وتأملاته ونزعاته، وفى شعره تشاؤم عميق يمتزج بتأملات واسعة، ويعلو بشعره فى

---

(1) ١٠٧ و١٠٨ أدب الطبيعة – للسحرتى.

(2) ١٢٠ المرجع.

(3) ١٢٢ المرجع.

(4) من كلمة لأدهم فى دراسته عن "خليل مطران" ص٢٢٨ و٢٢٩.

(5) تاريخ الأدب العربى تأليف المستشرق الألمانى بروكلمان – الجزء الثالث من الملحق ص١٦٥ ١٦٨

(6) عدد ٣١ لسنة ١٩٣٩م.

(7) هو محمود عزت موسى – أبو الهول عدد ٤ مارس سنة ١٩٣٥م

بعض قصائده إلى مرتبة سامية رفيعة، لأنه يرتكز على موهبة حقيقية، وهو في طليعة الشعراء الذين تغذى شخصياتهم فنهم.

ويشير ناقد إلى بعد شعر الصيرفي عن التكلف الممقوت، والتصنع المرذول، وشاعريته بعيدة الغور، لا تقف أمامها الحدود، ولا ترضى إلا الصميم ميدانا لها، وفي هذا تعليل لرمزيته الغالبة على قصائده؛ التي تسيطر على بعضها الحيرة ممزوجة بالاطمئنان؛ ومن ميزات شعره موسيقيته[1].

وينوه ناقد آخر بشخصية الصيرفي الواضحة في شعره[2].

---

[1] الجريدة السورية اللبنانية – ٢٠ ت ١ – عام ١٩٣٤م.

[2] ٥ سبتمبر عام ١٩٢٤ – البلاغ الأسبوعي.

عامر محمد بحيرى
توفى فى ٢٠ مايو ١٩٨٨

-١-

شاعر فى دواوينه العديدة الخمسة عشر، وفى مسرحياته الشعرية الثلاث. وفى ملاحمه الشعرية الست، وفى مسرحيات شكسبير العشر التى ترجمها البحيرى شعرا، وفى غير ذلك من أعماله الشعرية والأدبية.

شاعر عاش مع الشعر ستين عاما (١٩٢٧ - ١٩٨٨) يحافظ على عمود الشعر محافظته على الأصالة .. أما المعاصرة فتتمثل عنده فى المعانى والأفكار والأخيلة كما يقول هو فى المقدمة القصيرة التى كتبها لديوانه "ديوان عامر"، وقد بدأ رحلته مع الشعر متأثرا بتجديد شوقى رائد مدرسة البعث، وتجديد العقاد رائد مدرسة الديوان، وتجديد أبى شادى وشعراء أبوللو .. ونظم الشعر الوطنى والإسلامى والاجتماعى والذاتى والإنسانى والملحمى والتمثيلى.

وأخذ ينظم الشعر العاطفى الرومانسى، ويلتقى بالشعراء المجددين فى رحاب جماعة أبوللو، وكانت معظم مطالعاته آنذاك فى الثلاثينيات فى الأدب العربى والإنجليزى، ولاسيما فى الشعر، وتلاقت نفسه مع طلائع المدرسة الحديثة، فى أبوللو، وصدر ديوانه "اليخت الذهبى" عام ١٩٣٦م، مواكبا لتلك الحركة الرومانسية، التى جمعت بين القديم والجديد[١]، وبين الأصالة والمعاصرة، وبين المحافظة والتجديد.

وفى عام ١٩٧٢م، وفى ذكرى قيام أبوللو يقف الشاعر فى رابطة الأدب الحديث ينشد قصيدته فى هذه المناسبة، بعد أربعين عاما، ويقول[٢]:

أبوللــو عــز وجــهك يــا أبوللـــو
ولــن يغشــى جبــين الشــمس ظــل

---

[١] الأهرام ١٣/٨/١٩٧٦ - د. مختار الوكيل.

[٢] ٣٥٠ و٣٥١ ديوان عامر - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢م.

وتقوم الدعوة لإحياء أبوللو، وإصدار مجلتها من جديد، ويحمل الدكتور مختار الوكيل مع المؤلف والدكتور عبد العزيز شرف عبء هذه الدعوة لقيام أبوللو الجديدة، فيكتب الشاعر قصيدته "مناجاة أبوللو"[1] ويقول فيها:

ولواء في سماء الشعر علوي النشيد
إنه لحن أبوللو في سنى الفجر الجديد
يجعل الدنيا من الحسن كفردوس الخلود

ولا يقف تجويد عامر بحيري على المسرحية الشعرية والملحمة الشعرية فحسب، بل إنه يبتكر وزنا في البحر الخماسي من الشعر الجديد في بحر الرمل، ويكتب عليه قصيدته "مناجاة"[2] التي يقول في مطلعها:

أين أنت الآن .. يا من سكبت خمر غرامي .. أين أنت؟

ولا يقتصر تجديد أبوللو وعامر بحيري على ذلك فحسب، بل تراه في شعره يحافظ على الأصالة والفطرة الشعرية، والعاطفة الصادقة والطلاقة الفنية، والبعد عن الافتعال مع التناول الفني السليم للفكرة والمعنى والموضوع، والانسجام الموسيقي، واستعمال اللفظ الموحي.

وكذلك يحرص الشاعر على البساطة في التعبير، لفظا ومعنى وخيالا، مع تركيز الأسلوب، والرجوع إلى النفس والذات، وإيثار الشعر الغنائي العاطفي والركون إلى التأمل الصوفي، والغناء بالطبيعة الجميلة، والمحافظة على الوحدة العضوية في القصيدة، مع التجربة الشعرية العميقة، والعناية بالصورة الشعرية، وبالأخيلة الهائمة.

إن ذلك كله هو لحن أبوللو وموسيقاها وصورها، إنه النزوع إلى الروح الرومانسية وجوهرها. إنه العذاب الروحي والشعور الدائم بالألم والعذاب النفسي.

إن صوت الطبيعة في شعر عامر صوت واضح مسموع، لا يمل، وإن شعر العاطفة والوجدان والذات عنده يتمثل في قصائده لحنا وفكرا وتجربة.

ولا يقف عامر وأبوللو عند ذلك فحسب، بل إنه يدخل شخصيات ميثولوجية كثيرة في شعره، كما فعل شعراء أبوللو، كأبي شادي والشابي وعلي محمود طه

---

[1] ٢٤٩ المرجع نفسه.

[2] ٢٤٦ ديوان عامر.

وسواهم، فلقد ساد هذا الاتجاه في شعر مدرسة أبوللو، وبخاصة أبو شادي، وتابعهم فيه الشابي.

وشاعرنا ينظم ديوانا كاملا، ويسميه "إيزيس وأوزيريس" (عام ١٩٦٠م)، إلى رائع قصائد الكنز الذهبي التي نظمها، وإلى الشخصيات الأسطورية التي حفلت بها ترجمته لمسرحيات شكسبير.

أنها الشاعرية المتألقة الموهوبة ..

إنه الثراء الفني الذي يرفع منزلة الشعر والشاعر.

وفي محاولة للتجديد، يكتب الشاعر قصيدته: "أفريقيون وعرب" [1] (١٩٦١)، وفي "قريتي" [2] يجمع فيهما بين خصائص القصيدة العمودية وموسيقاها وبين حرية الشاعر في التنقل بين التفاعيل في أبيات القصيدة، وهي محاولة جريئة.

إن شاعرنا يذكر مسيرته مع الشعر في قصائد كثيرة، ومن بينها:

أنا في الدنيا ولكني عن الدنيا رحلت

كـان بـالله بقـائي وإلى الله انتقلـت

كـان لي سر مـع الله وبالسـر احتفلـت

يا دموعي إنك النهر الذي فيه اغتسلت

كنت نجما في شباب العمر، لكني أفلت

ونجاحي قاب قوسين ولكني فشلت

وهي قصيدة حافلة بالألم الرومانتيكي وبالحزن النفسي، وبالقلق والشعور بالغربة، وهي سمات الشاعر والشعر الأبوللي الرومانسي.

والقصيدة الثانية مثل الأولى قلقا وألما وحزنا وشعورا بالوحدة والضياع، وعنوانها "شاطئ" [3] ..وفيها يقول الشاعر:

بعد موتي سيعرف النـاس قـدري

وسيتلون فـي المحـافل شـعري

---

[1] ٢٤٠ ديوان عامر.

[2] ٢٤٣ المرجع.

[3] ٢٢٩ الديوان.

وسيسعى من كان يرفض لقياى

حيث الخطى لإحياء ذكرى

وترانى بعثت بالشعر حيا

وكأنى نشأت أول دهرى

ليت شعرى ألم يكن ذاك أولى

فى حياتى .. من وقفة عند قبرى

وهذه هى مشاعر الشاعر الأبوللى المستغرق فى رومانتيكية.

إن عامر بحيرى فصل طويل فى سفر شعراء مدرسة أبوللو، وقصة خالدة من قصص مسيرة شعرنا المعاصر، وشعرنا العربى الحديث كله.

-٢-

وفى حفل تكريم رابطة الأدب الحديث للشاعر عامر بحيرى قال عن نفسه:

الصبر ، والوفاء ، والتسامح

ثلاث خصال أحسها فى نفسى

هذا عن نفسى، وأما عن شعرى. فهناك كلمات تطن فى أذنى، بعضها مكتوب، وبعضها مسموع لكبار قادة الفكر، ممن أزرونى فى رحلة الشعر منذ الصغر..

قال الدكتور زكى مبارك فى صحيفة البلاغ عام ١٩٣٦م: "عامر بحيرى شخصية رزينة تعد بالخير الجزيل وإن صحت فراستى فيكون هذا الفتى من أعلام البيان".

وقال العقاد عن قصيدتى (برج الساعة) التى نظمتها فترة حياتى معه: إنها تفوق شعر ابن الرومى فى مقدرته على تحليل المواقف وتوليد المعانى.

وقال عزيز أباظة عن قصيدتى التى قلتها فى تكريمه. عند حصوله على جائزة الدولة التقديرية ومطلعها:

من جمال الربيع أو أزهاره

صغتها باقة ليوم انتصاره

إنها تذكره بقصيدة شوقى فى مهرجان تكريمه عام ١٩٢٧م، ومطلعها:

مرحبا بالربيع فى ريعانه

وبأنواره، وطيب زمانه

وقال حافظ محمود، شيخ الصحفيين، في تقديم ملحمة (مصر المنتصرة) التي نظمتها بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م ونشرت في صحيفة الجمهورية: إن هذه الملحمة من ملاحم الشعر العربي المصري، صفعة للذين كانوا يدعون كذبا أن الشعر العربي لم يعالج ما عالجه الشعر الأوربي من قضايا".

وقال د. أحمد كمال زكي في كتاب "محمد في الأدب المعاصر": إن شعراء الملاحم النبوية المعاصرون. ثلاثة البارودي في كشف الغمة بمدح سيد الأمة، وأحمد محرم في الإلياذة الإسلامية، وعامر بحيري في أمير الأنبياء.

ونشر د. حلمي محمد القاعود، في الأهرام في أعوام ماضية، مقالا عدد فيه شعراء المدائح النبوية، بدأهم بكعب، وحسان والفرزدق. وختمهم - وهم نحو عشرين - بشوقي، وعزيز أباظة، وعامر بحيري، ونازك الملائكة.

-٣-

وقصيدته "نسمات الشرق" ألقاها في حفل تكريم رابطة الأدب الحديث له عام ١٩٨٥م، ومنها:

هذه الدنيا .. وقد عايشتها
تجمع الأضداد من صدق ومين
يتلاقى الخير والشر بها
ويضيع الحق بين العاشقين
بين ميلاد وموت شعلة
أوقدتها الحرب من ضرب وطعن
إن ألانت ذات يوم قلبت
لبنيها في غد .. ظهر المجن
أين منها لمحة من عالمي
تشرح الصدر وتجلو كل حزن
فخذ الدنيا .. على علاتها
واقرأ التاريخ .. من قرن لقرن!

د. مختار الوكيل

٢٠ مايو ١٩١١ - ٦ نوفمبر ١٩٨٨

ولد مختار الوكيل فجر يوم ٢٠ مايو سنة ١٩١١ ببلدة أجا مركز أجا دقهلية.

ونال الشهادة الابتدائية عام ١٩٢٣.

ثم التحق بالجامعة الأمريكية القسم الإعدادي ١٩٢٤ - ١٩٢٧م.

ونال البكالوريا عام ١٩٣٣م من مدرسة المنصورة الثانوية.

والتحق بجامعة مانشستر بإنجلترا وحصل على معادلة البكالوريوس في الآداب لتفوقه عام ١٩٣٧م.

وحصل على دبلوم الدراسات العليا في الآداب في جامعة ابك آن بروفانس عام ١٩٥٠ وكان موضوعه (تاريخ الحملة الفرنسية على مصر).

ونال الدكتوراه في التاريخ من جامعة ايكس آن بروفانس عام ١٩٥١ وكان موضوع رسالته: تاريخ الصحافة المصرية على ضوء الأحداث السياسية منذ إنشائها حتى عام ١٩٥٠م.

ومن مؤلفاته:

١- سعادة الأسرة - قصة الكاتب الكبير ليو تولستوى - ١٩٣٣.

٢- رواد الشعر الحديث في مصر - دراسة نقدية لأربعة من شعراء مصر - ١٩٣٤م.

٣- الزورق الحالم (الجزء الأول من ديوان شعر المؤلف ١٩٣٦م وقد أثار اهتمام النقاد.

٤- علمتني الحياة بإشراف الدكتور أحمد أمين ١٩٥٠م.

٥- ايسوب من الميثولوجيا الإغريقية (الألف كتاب) ١٩٥٦م.

٦- تاجر البندقية لشكسبير ١٩٦٠م.

٧- نجونا بجلدنا مسرحية لنورتون وايلدر ١٩٧٠م.

٨- على الغاياتي فصل من كتاب (خمسة من شعراء الوطنية) ١٩٧٣م.

٩- تاجر البندقية لشكسبير (طبعة القومية ١٩٧٣م، ١٩٧٤م).

١٠- نحو عالم واحد

١١- الاتحاد السويسرى.
١٢- تجربتى فى الإعلام. محاضرات ودراسات مطبوعة
١٣- رمضان فى سويسرا.
١٤- بين الصحافة والأدب.
١٥- الجامعة العربية والعلاقات الثقافية والاقتصادية بين أعضائها (نشرت بالفرنسية).
١٦- الجامعة العربية نشأتها وأوجه نشاطها (دراسة بالفرنسية والعربية نشرت وأذيعت فى سويسرا ١٩٦٤م).
١٧- دراسات ومحاضرات عن القضية الفلسطينية أعدت وألقيت وأذيعت بالفرنسية أثناء عمله رئيسا لوفد الجامعة العربية الدائمة فى سويسرا (بين ١٩٥٦ ١٩٦٦م).
١٨- موكب الذكريات - ديوان شعر صدر عن دار المعارف.
١٩- سفراء النبى.
٢٠- على باب طه - شعر صوفى.

هذا فضلا عن المقالات والأبحاث والمحاضرات التى كان له شرف إعدادها ونشرها وإذاعتها فى شتى الموضوعات الأدبية والعلمية والقومية فى مختلف الأقطار العربية وشتى البلدان الأوربية.

وهو فوق ذلك:

١- عضو الرابطة الأدبية العالمية فى جنيف.
٢- عضو النادى الثقافى الدولى فى جنيف.
٣- عضو لجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب.
٤- عضو جمعية الدراما.
٥- عضو فى رابطة الأدب الحديث فى القاهرة.

ومن الوظائف والأعمال التى أسندت إليه:

١- عمل بالصحافة محررا بجريدة (الدستور) من عام ١٩٣٩م.
٢- التحق بجامعة الدول العربية منذ إنشائها عام ١٩٤٥م.
٣- تولى منصب وكيل الإدارة الثقافية عام ١٩٥٤ وكان يرأس اللجنة الثقافية حينذاك المرحوم الدكتور طه حسين.

٤- تولى منصب وكيل الوفد الدائم بجنيف في عام ١٩٥٦م.
٥- عهد إليه برياسة الوفد الدائم في جنيف بالإنابة في عام ١٩٦١م.
٦- تولى رياسة الوفد الدائم في جنيف عام ١٩٦٣م.
٧- عين مديرا للإدارة الاقتصادية بالجامعة العربية ١٩٦٧م.
٨- عين رئيسا لمعهد إحياء المخطوطات العربية ١٩٦٩م.

ومن شعره قصيدته "الكعبة":

شاعر الحب قم وقل
ههنا الحسن قد عدل
ههنا الحب عارما
يملؤ السهل والجبل
كعبة الله ههنا
وهنا حوضه الأجل
قد اطفنا بركنها
ولثمناه في وجل
حجر أنت أسود
أبيض يعشق القبل
وكفى أن (أحمدا)
طاف بالركن واقتبل
ايه يا كعبة الهدى
قصر القول والعمل
أنت ركن من السماء
ومحراب من وصل

ويقول في قصيدة أخرى اسمها (المعجزة الباقية):

زهونا بميراث النبي محمد
ولذنا بقرآن الإله تهجدا

إذا أقبـل الليـل انثنيـا لســورة

نطالع فيها الباقيـات علـى المـدى

إذا أقبـل الليـل اسـتضأنا بنـوره

لأن لنـا فيـه مـلاذا ومسـجدا

هـدى ذلك (القرآن) للنـاس كلـهم

فليـس لبعض منـهو نـزل الهـدى

وفـى هداة الليل الحنـون ترنمـت

لهـاة بآيـات وضـاء هـى النـدى

وكـان الشـاعر علـى عتبـة الشبـاب فـى العشرين عندمـا اجتازت قدمـاه عتبـة (أبوللو) لأول مرة، ليلقى في تلك الغرفة الصغيرة في (عمرشـاه) بحـي السيدة زينب، تلك الغرفة التي لم يكن يغيب عنه ضوؤها ونورها أبدا، وكأنه المنار الذي يبدد الدياجي. دخل تلك الغرفة ليلقى ذلك الرائد النادر المثال، ذلك الفارس المقاتل بألف سيف وألف رمح، باسما ابتسامة تسيل رقة وتشع وداعة وتقطر عذوبة وعطفا وكرما!

التقى في تلك الغرفة ببطل اسطوري من أبطال حركة التجديد الحقيقة فى مصر والعالم العربي، الدكتور أحمد زكي أبي شادي؛ كان جالسا إلى مكتبه الصغير البسيط، فنهض محييا بصوته الرقيق الهادئ، وقد شع الإخلاص والحب في عينيه المتألقين كنجمين رائعي الضياء! لقد عرف أول لقاء أنه مقبل على صلة من تلك الصلات التي يهيؤها القدر، والتي سوف يكون لها شأن أي شأن في حياته وحياة لداته من أدباء وشعراء مصر والعروبة!

كان الشاعر قد انتهى من دراسته الثانوية، وكانت الصحف تنشر له، متفضلة وهو بالمنصورة الثانوية، الكثير من الشعر والنثر، وكانت الأهرام والصباح وغيرهما تحتفل إبداعاته فلما عرف طريقه إلى أبوللو أدرك بصدق، أنه إنما يمم ساحة النهضة الشعرية والانبعاث الأدبي ونبع الفكر الصادق السليم.

في أبوللو قابل أعز الأصدقاء وأكرمهم .. قابل فيمن مضوا خليل مطران وأحمد محرم ومصطفى صادق الرافعي، وعلى محمود طه وإبراهيم ناجي ومحمد الهمشري وكامل الشناوي، وعبد الحميد الديب ومحمود غنيم ومحمد فتحي

وغيرهم. والتقى بإخوانه الذين نعم بإخائهم وسعد بحبهم الكبير من مثل: حسن كامل الصيرفى وصالح جودت وسيد إبراهيم ومصطفى السحرتى وأحمد الشايب وسهير قلماوى ومحمود أبو الوفا وعبد العزيز عتيق ومحمود حسن إسماعيل وبدوى طبانة والعوضى الوكيل وعبد الغنى حسن ومصطفى الماحى وجميلة العلايلى وخفاجى، وأبو الوفا ومخيمر وغيرهم، وطالع فى أبوللو بواكير شعر أبى القاسم الشابى والياس أبى شبكة وزكى وقنصل والشاعر القروى وغيرهم.

كان الدكتور أبو شادى أشبه بتلك المحركات الهائلة الجبارة التى نسمع عنها فى هذه الأيام، تدفع السفن الفضائية إلى اكتشاف أقمار وشموس وعوالم أخرى مجهولة. كان أبو شادى طاقة هائلة من تلك الطاقات التى يعجز المرء عن تحليلها وشرحها، ولقد طوف مختار الوكيل بالعالم بعد معرفته بأبى شادى، وعاش فى قلب أوروبا الغربية سنوات طوالا، وقابل من قابل من كبار العلماء ونوابغ الأساتذة، ولكنه علم الله لم يلتق برجل فى مثل سمت أبى شادى وفى غزارة علمه وتنوع ثقافته وسعة أفقه!

كان أبو شادى من ذلك الرعيل الممتاز، وكان يسكن حينذاك ضاحية المطرية، ولكنه، لم يكن يقتنى سيارة، وإنما كان يستخدم القطار والترام شأنه فى ذلك شأن عامة الناس، وكان يجد لذة أيما لذة فى كتابة الشعر وتحرير المقالات بين زحام الركاب وضوضائهم الصاخبة، وكان ينظم ويكتب فى سهولة وسيولة. أجل، لقد كان رجلا متعدد الجوانب، كانت مهنته الأولى الطب، طب المعامل والتحليل. وكان من نوابغ هذا العلم، ولكنه كان فى الوقت نفسه شاعرا فحلا وأديبا عظيما وعالما فذا! وهو لتعدد جوانبه قد أنشأ فى وقت واحد مجلة (أبوللو) للشعر ومجلة (مملكة النحل) وجمعيتها التى تعتبر ثورة فى هذا المجال الحيوى، ومعظم النحالين فى مصر والعالم العربى هم من تلاميذه، كما أنشأ مجلة (الصناعات الزراعية) فضلا عن مجلة (الإمام) الأدبية التى كان يحررها بعض كبار الأدباء وأعاد نشرها بالإسكندرية واشتهرت بما كانت تنشره من روائع الفنان الغنائى الشعبى المعروف (بيرم التونسى)؟

أجل، مثل هذا الإنسان يعتبر بحق أعجوبة فى أى مجتمع متقدم، فكيف وقد أثرى بنشاطه الزاخر العجيب مجتمعه الناشىء المتطور، لقد كان رجلا بألف مما تعدون، كانت كل مجلة من تلك المجلات تنبىء عن طاقة متفجرة موحية، من

طاقات هذا الإنسان العبقرى، خصوصا فى مجتمع دأب علىّ العيش الوديع الهادئ الرتيب، ولم تدب فيه اليقظة الكبرى التى نشهدها اليوم.

وكان أبو شادى مثالا فى الشهامة والكرم. كان يؤثر إخوانه على نفسه، والأمثلة على ذلك كثيرة. وكان يتقدم فى فروسية أسطورية لمد يد العون لإخوانه، وتحقيق ما تصبو إليه نفوسهم، بل وقبل أن يفصحوا هم عما يخالج صدورهم من رغاب! بل لقد كان أبو شادى يسارع إلى تحقيق ما تصبو إليه نفوس من يغشى ندوة (أبوللو) من الغرباء لأول مرة. كان يشعر بسعادة كبرى عندما يطرق باب (أبوللو) صاحب حاجة أو مشكلة. كان أبو شادى يستنبط له حلا يريحه ويرضيه. وكان صاحب الحاجة ينصرف راضيا وشاكرا وسعيدا. وينتهى الأمر عند ذلك فلا استعلاء ولا من ولا أذى! فقد كان رحمه الله يرى أنه قام بواجبه الإنسانى وكفى، وتلك سمات الخلق السامى الرفيع.

ترجم مختار الوكيل قصة (سعادة الأسرة) للكاتب الفيلسوف الروسى الكبير تولستوى، وذكر ذلك للدكتور أبى شادى. كان ذلك فى عام ١٩٣٣م وعلاقته بالدكتور أبى شادى فى بواكيرها، يقول مختار فطلب إلى أن أوافيه بتلك الترجمة ففعلت، فلما كان صباح اليوم الثانى، أقبل رحمه الله متهلل الوجه مشرق الطلعة. ودفع إلى ببضع ورقات طلب إلى مطالعتها، فإذا هى تشتمل على دراسة وافية ناضجة لحياة الفيلسوف الأديب تولستوى، مع تعريف بآثاره الأدبية الضخمة وإشارة وتنويه لطيفين بترجمتى لسعادة الأسرة ثم اصطحبنى من فوره إلى دار المطبعة السلفية وكانت فى مكان غير بعيد بحى درب الجماميز، حيث التقينا بصاحبها المرحوم محب الدين الخطيب، وعرض عليه نشر تلك القصة عرضا لطيفا فقبل رحمه الله، ودفع إليه الأصول والكلمة التى عرضها على كتصدير ومقدمة لتلك الترجمة! تلك واقعة تسجل صورة صادقة عن أبى شادى الذى يندفع للخدمة الصادقة غير متوقع جزاء أو شكورا!

****

كان جو (أبوللو) جوا جميلا يتنفس فيه المرء ملء رئتيه التنفس الصحى السعيد! شعورا عارما صادقا فى فجر كانت روح المساواة هى السائدة المسيطرة على جو المناقشات فى اجتماعات (أبوللو).

وكان هذا ديدنه فى تحرير مجلة (أبوللو) التى كان ينشر فيها لصغار الشعراء قبل كبارهم ومشاهيرهم، بل لقد كان يقدم الشباب على الأقطاب! وبذلك أصبحت (أبوللو) بحق مدرسة ثورية، تدرس فى الأدب مبادئ الديمقراطية السليمة!

****

وانتشرت مجلة أبوللو فى العالم العربى كله انتشار النار فى الهشيم، ممهدة للقاء العربى الجبار من المحيط إلى الخليج، وهكذا سرعان ما تردد صداها فى أرجاء الجزيرة العربية وبلاد الشام ولبنان. وفى ربوع المغرب وتونس، بل لقد أقبل شعراء المهجر فى مواكبهم المتلاحقة فى الأمريكتين ينشرون آثارهم فى (أبوللو). وهكذا أصبحت أبوللو بحق همزة الوصل بين العرب قاطبة فى مختلف أقطار العروبة وفى شتى أقطار الأرض حيث يوجد عرب أو مستعربون. ولقد عرف واشتهر عن طريق النشر فى (أبوللو) النخبة الممتازة من شعراء العروبة.

وكانت رسالة (ابوللو) هى رسالة التجديد الناضج الصحيح، واقد حملت لواء حركة التجديد ونبهت الأذهان إلى وحدة القصيد وإلى الاحتشاد للمعنى وموسيقاه بمثل القدر الذى يحفز الشاعر إلى الاحتفال بالموسيقى اللفظية، فللمعنى موسيقى كما للفظ موسيقى! أجل،كانت (أبوللو) تنادى وتبشر بصدق الإحساس والشعور فى مختلف أبواب الشعر! ولقد كتب أبو شادى كثيرا فى هذا الباب، كما تحدث فيه الكثيرون؛ الذين شاركوه فى نقد الشعر وإرساء قواعد للنقد هى ما تبلور فيما بعد وأرسيت أسسه باسم المدرسة الحديثة فى الشعر، مما تدرسه الكليات الجامعية فى مختلف أرجاء الوطن العربى من المحيط إلى الخليج، وحتى فى الجامعات الأجنبية التى تعنى بتدريس الفكر والأدب العربيين. والحق أنه ما من أستاذ من أساتذة الأدب العربى اللامعين فى الوطن العربى إلا وقد تأثر (بأبوللو) عن قرب أو بعد.

لقد حمل البعض على (أبوللو) لأنها لا تؤله الأصنام ولا تعبد الأشخاص وذهبوا فى مهاجمتها مذاهب شتى وأمعنوا إمعانا عارما: ولكن ذلك كله لم ينل من أبى شادى ولا من (أبوللو). ولقد انحسر بمرور الأيام مد تلك الحملات العاتية، ولا تزال أفكار (أبوللو). ومبادئها هى هى فى الطليعة من الحركة التقدمية الحقة، لقد ذهب الذين هاجموا (أبوللو) ولكن الروح الذى أوحته (أبوللو) فى ميدان الأدب الشاسع الفسيح، قد ازداد قوة وأصالة.

****

أجل لقد شغلت أبوللو الناس منذ نحو خمسين عاما ولا تزال أبوللو تشغل الناس حتى يومنا هذا! ولقد نشرت الكتب الكثيرة التى تحدثت عن رسالة أبوللو وبعضها دراسات جامعية محترمة - وقد ظهرت هذه الرسائل بأقلام مصرية وعربية. بل وبأقلام أجنبية، يجهل بعض كتابها أبا شادى ولا يعرفون حتى بعض رواد أبوللو وجنودها المجهولين!

وإنى لأنظر اليوم حولى، بعد تلك السنين، نظرة دهشة وعجب بالغين، لأنى أجد أبا شادى وأجد أبوللو أمامى، ملء الحياة ، وملء القوة وملء الفتوة، ذلك لأن رسالة (أبوللو) لم تنته بعد، إنها مستمرة متصلة، فثمة فراغ هائل رهيب فى ميدان الشعر لابد أن تملأه (أبوللو) من جديد، فرسالة (أبوللو) هى رسالة الحرية والحق والجمال والأدب الرفيع والشعر الحى الجديد!

إسماعيل سرى الدهشان
١٢ سبتمبر ١٨٨٤ - ٦ فبراير ١٩٥٠

شاعر من أبوللو، رفعته عبقريته الشعرية إلى مكان كبير حتى عد من أعلام الشعر، وكان يجيد الفرنسية إجادة تامة، ويترجم عنها روائع الشعر الفرنسى إلى اللغة العربية.

وعائلات الدهشان منتشرة فى أنحاء مصر، وهم حسنيون، والظن أنهم يجمعهم اصل واحد.

وعاشت عائلة شاعرنا بين ميت أبى الحسين مركز سمنود ثم أجا حاليا، وسمنود.

حصل على الابتدائية الفرنسية عام ١٩٠٥، وعمل مدرسا ثم صار شريكا فى مدرسة خاصة، ثم عمل وكيلا لمكتب بريد أبو كبير عام ١٩٠٦م، فمعاونا لبريد طنطا عام ١٩٠٩م، ثم وكيلا لمكتب بريد أبى المطامير عام ١٩١١م، ثم نقل لمكتب الإسكندرية، حيث تألقت شاعريته، واختير عضوا فى جمعية المواساة، ونادى الموسيقى العربية وقد ترجم للفرقة التمثيلية فيه (ليالى الفريدى موسيه) (١٨١٩ - ١٨٥٧) شعرا، وقد كتب فيه بهذه المناسبة شاعر النيل حافظ إبراهيم شعرا فقال:

لك القلم الذى راض المعانى
فأبرزها وقد لبست حلاها

وفى الإسكندرية اتصل بالأمير عمر طوسون وصار شاعره.

ولم يلبث أن نقل وكيلا للبريد فى الصعيد عام ١٩١٨م وتوفيت أمه صغيرا، وتوفى أخوه عام ١٩١٩م، ولرعاية أسرته نقل إلى بريد سمنود، وفيها أنشأ ناديا للأدب.

واختير عضوا فى رابطة الأدب الجديد التى أنشأها ورأسها د. أحمد زكى أبو شادى عام ١٩٢٩م، ولخلاف أبى شادى مع الأعضاء تركها حينا، ثم عاد لرياستها، ونقل مقرها إلى المحفل الماسونى، الذى كان يشرف على الثقافة فيه الدكتور على العنانى، ثم نقلها أبو شادى إلى عمارة تيرنج، وانضم إليها الشاعر عبد الله عفيفى.

كما اختير عضوا بنادى الثقافة، وفى مجلس إدارة جماعة أبوللـو، وفـى اللجنة التنفيذية للجماعة، ونشر شعره فى مجلتها (١٩٣٢ - ١٩٣٤)، كما نشر شعرا كثيرا فى مجلة نشر الفضائل الإسلامية (١٩٣٣ - ١٩٣٨).

ونقل وكيلا لبريد الجيزة، ومفتشا مساعدا لبريد الزقازيق .. ثم ترك الخدمة عام ١٩٣٩م وعاد إلى بلدته سمنود.

طبع له ديوان (أنت وأنا) الذى ترجمه شعرا من شعر الشاعر الفرنسى جيرالدى، كما طبعت له الهيئة العامة للكتاب ديوانه (بين الجد والجيد)".

صدر له جزءان من ديوانه (ديوان الدهشان).

ترك دواوين عدة مخطوطة منها:

-ملحمة شعرية عن الخليفة عثمان بن عفان.

-ملحمة شعرية عن الخليفة عمر بن عبد العزيز.

-ملحمة شعرية إسلامية فى السيرة النبوية الشريفة.

-ديوان شعر صوفى.

-ديوان من الشعر الاجتماعى والوطنى.

-ديوان فى المدائح النبوية.

-ديوان أغانى بيلتيس الشاعرة الإغريقية.

-قصة نثرية درامية عنوانها (هاجر).

-مسرحية نثرية موضوعها تعدد الزوجات.

-قصص الأنبياء (شعرا).

-ترجمة قصائد من ديوان هوجو (شعرا).

- ترجمة البحيرة للامرتين (شعرا).

-ترجمة الكوميديا الإلهية لدانتى (١٢٦٥ - ١٣٢١).

-كتاب فى العروض والقوافى.

وغير ذلك:

أهدى مكتبته الحافلة لمعهد سمنود الدينى قبل وفاته، توفى فى ٦ فبراير ١٩٥٠م.

وكتب عامر محمد بحيرى الشاعر الأبوللى الشهير يقول فى مقدمة "ديوان الجد والجيد" للشاعر الدهشان الذى طبع على نفقة المجلس الأعلى للفنون والآداب:

الشاعر إسماعيل سرى الدهشان هو أحد رواد الحركة الشعرية فى المرحلة الهامة من تاريخنا الأدبى، التى كان فى طليعتها شوقى وحافظ ومطران ومحرم ونسيم وغيرهم .. وهو من الشعراء المكافحين الذين وصلوا بجدهم إلى مرتبة معترف بها بين أقرانهم .. وإن لم تنل أسماؤهم ما ناله الأولون من ذيوع، وشهرة .. ولكننا نجد اسم الدهشان يظهر، فى المنتديات والجمعيات الأدبية والثقافية منذ أوائل العشرينات من هذا القرن. عندما استقر به المقام فى القاهرة. بعد أن تنقل - كموظف فى البريد - بين طنطا والمنصورة والإسكندرية، وبنى سويف وغيرها.. وتتوج جهود الدهشان الأدبية، باختيار ه عضوا بمجلس إدارة جماعة أبو لو الشعرية، التى رأسها أمير أحمد شوقى فى أكتوبر ١٩٣٢م جلسة واحدة ثم انتقل إلى رحمة الله. فتم انتخاب خليل مطران رئيسا لها، والدكتور على العنانى وكيلا.. كما انتخب الدهشان عضوا بالمجلس فى المحل الشاغر (انظر مجلة أبوللو - عدد نوفمبر ١٩٣٢م). ولما كان الشاعر ضليعا فى اللغة الفرنسية والأدب الفرنسى، فقد رأينا له من الآثار الشعرية الجميلة، فى هذا العدد الثالث وحده من أبوللو، حصيلة طيبة هى:

١- ليالى الفريد دى موسيه، مع نبذة عن تاريخ الشعر الفرنسى.

٢- مقطوعة بعنوان "ما صنعت الآن فيها" لمدام مارسلين ديسبور فالمور.

ومن تعريب لقطعة عن الفرنسية أيضا يقول فى مطلعها:

كـــان لى عنـــدك قلـــب
وأنـــا قلبـــك عنـــدى
بـــدلا قلـــب بقلـــب
عوضـــا، ســـعد بســـعد ..

٣- خلف الغلالة، قصيدة من الشعر الوصفى.

٤- الفرفور والنحلة والوردة للشاعر الفرنسى أرنولت (١٧٩٦ - ١٨٧٤) وهى ترجمة أيضا لمقطوعة للسنة الثالثة الابتدائية.

أما ليالي ألفريد دي موسيه. فهي ملحمة طويلة. تبلغ أبياتها في الترجمة العربية للدهشان أكثر من ستمائة بيت . وهي مقسمة إلى أربع ليال: ليلة مايو، وليلة أغسطس، وليلة أكتوبر، وليلة ديسمبر .. ويجرى فيها الحوار الطويل. تظهر في نهاية الليلة الأخيرة شخصية ثالثة هي شخصية الطيف .. وهو طيف "الوحدة".

في أول ليلة، وهي ليلة مايو .. يبدأ الحديث بين الشاعر وآلهة الشعر هكذا.. آلهة الشعر:

أيـها الشـاعر خـذ قيثـارتك
وأنلنـي قبلـة المسـتمتع
زهـرة النسـرين فجـرا أصبحـت
تفتـح الأكمـام عنـد المطلـع
والربيـع ابـن مسـاء واحـد
فيـه هبـت نسـمات الموضـع
رصدت فـي الـروض أطيـار الربـى
فـي انتظـار الصبـح لمـا تـهجع
وثوت في العشب حين اخضوضرت
صفحـة الروضـة مثـوى المولـع
أيـها الشـاعر خـذ قيثـارتك
وأنلنـي قبلـة المسـتمتع!

ويجيب الشاعر فيقول:

لقد أوحش الـوادي تلك الدجنـة
فخفت مطاف الطيف في ليل وحشتي
هنـاك لـه ظـل بأرجـاء غابـة
طفا الظل إذ يمتد من جوف خضرة
لـه قـدم تحتـث أعشـاب روضـة
فيها لغريـب الوهـم يدعـو لخيفتي

يلــوح ويخفــى، يــا لذعــرى ولهفتــى

ويمضى الحوار الجميل قدما، بين الشاعر وآلهة الشعر، فى الليالى الأربع .. حتى تكون الليلة الأخيرة، ليلة ديسمبر .. حيث يصيب الشاعر الأرق وهو فى غرفته، وإذا به يرى شبحا لصبى حزين يلبس ثوبا أسود .. وهو يشبهه كأخيه، فيخاطبه الشاعر خطابا طويلا، يسميه فيه بالأخ، وبطيف الشباب ..

وفى النهاية يرد عليه الطيف قائلا:

أخــى مــهلا، أبــوك أبــى
ولســت ملاكــك الحــارس
أعيــش ولا أرى صحبــى
ولســت بحظــك العــابس

محمود حسن اسماعيل

كان في الشاعر محمود حسن إسماعيل عزة المصري الأصيل، وشموخ الريفي الحر الأبي، يخاطب مصر وطنه في قصيدته "جبال الصمود" من ديوانه "صلاة ورفض" فيقول:

أنت من جبهتي خلقت ومن أعمـ ـاق ذاتي حشدت كل جلالك

وهو في شموخه ابن الريف والنيل وابن مصر التي اختارت أن يمثلها أبو الهول في كبريائه وشموخه. ويعد شاعرنا ندا للعقاد في هذا الكبرياء المتعالي الذي لا يذل أبدا.

ولقد كان يعيش مع أحداث وطنه ومع آلام نفسه، متفائلا شديد التفاؤل. يقول من قصيدته "الضباب الأخضر" في ديوانه "قاب قوسين":

دعوني أغني:

فإن الغناء طريقي إلى كل سر بعيد
خلقت لأرتاد روح الحياة
وأستل أعماقها للوجود
ومهما سرى قبلي السائرون
فإني على كل خطو جديد

ويقول في ديوانه "نهر الحقيقة" الصادر عام ١٩٧٢م، من قصيدته "الطريق":

طريقي أمل
وكل دروبي أمل
وخطوي أمل
إذا لاح لي الشوك أبصرت فيه الزهور
وأقداحها وهي بالعطر حولي تدور
فإن كل شوك مضيت
وإن كان عطر مصبت

وتمضى خطا الروح بين الحريق

ومن قصيدته "الأمل" فى هذا الديوان، يقول:

وجودى أمل
وعمرى أمل
وكل حياتى أمل
ومهما تكن خافيات الأجل
فإنى أمل
خلقت لأنسج من كل موت حياة
ومن كل أمس غدا واثبا فى خطاه
ومن كل ليل ضياء
ومن كل دمع صفاء

وفى قصيدته "الابتسام" من هذا الديوان "نهر الحقيقة" - يقول أيضا:

تبسمى أمل
وحيرتى أمل
ونظرتى مالمحت ألا تبسم الأمل

ويقول عن "النهر":

سكوته حياة
ونطقه حياة
والموج فوق صدره صلاة

ويقول عن الأرض:

ترابها حياة
وماؤها حياة
وعشبها حياة
نسيمها قبل
وأرضها قبل
وأفقها أمل

وفيه أيضا يقول:

وجـــــودى حقيقـــــة
وذاتـــــى حقيقـــــة
ونـور الحقيقـة ســر الحيـاة وسـر الأمـل
وأنـى علـى الأرض طـير يعسى حقيقـة

هكذا عاش يغنى للحرية والثورة والأمل والحياة طيلة حياته، يقول من ديوانه "صلاة ورفض":

سأشـــــدو
سأشـــــدو
وشـــدوى أعاصـير رفـض ونـار تـدور

هذا هو الشاعر الخالد محمود حسن إسماعيل، الذى قال عنه مندور[1]: أنه عاصفة ووحشى فى طاقته الشعرية الفريدة"، والذى قال عنه السحرتى فى كتابه "الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث": إنه مى مدرسة أبوللو.

ولقد عرف الشاعر محمود حسن إسماعيل أول ما عرف فى مجلة أبوللو وتدواتها وحلقاتها الشعرية، ثم أخذ من كل المذاهب: من مدرسة الديوان ومن مطران ومن شوقى، ومن المهجريين، وخرج صاحب طاقة شعرية رهيبة يملك اللغة ويملك الموهبة، ويملك التصوير والخيال والثورة الشاعرة، ويعنى بالتصوير والرمز والتجسيم والتشخيص، ويستمد صوره الشعرية الثرية من الطبيعة فى الريف المصرى الذى أحبه وهام به وغنى له، كما ترى فى قصيدته "بنت المعز" فى ديوانه "صلاة ورفض"، وقد سبق أن ذكرنا بعضا منها، وكما وجدناه فى أبياته مثلا:

هــــذه قصــــة بســـتا ... ن بـــه كنـــت عـــبرت
حاطـــا أجمـــع نـــارا ... وأســى فيمـــا جمعـــت
ليـــس لى فـــأس ولا غــــر ... س ولكنـــى احتطبـــت
مـــس ربيـــع ليـــس لى فيـــ ... ـــه ســـوى أنـــى وجـــدت

ومن روائع شعره قصيدته "النفس والخطيئة"، من ديوانه "قاب قوسين".
وفى صدرها يقول:

حملت أمسى وغدى ... وسرت نحـو الموعـد

---

[1] الشعر المصرى بعد شوقى.

وفى قصيدته "بحيرة النسيان" من ديوان "هكذا أغنى" يقول:

رقرقت فى دمى ورقت على الرو
ح وذابـــت بحـــيرة النســـيان
عندها قد نسيت ذاتى وحسى
وزمـــانى وعبثـــه ومكـــانى
ونسـيت النسـيان حتـى كـأنى
همســة فـى خواطـر الأكفـان
فـاحضنى يـا بحـيرتى زورق الـرو
ح وغيبـى عـن ضجـة الأكـوان

ولقد عاش الشاعر محافظا على أصالة الشاعرية، وعمود الشعر، ومع تجويداته التى كان يقارب فيها بين شعره الأصيل والشعر الجديد نجده محتفظا بموسيقاه، يقول: "لم يقل أحد أن الشعر فى أعلى حدود التطور والتحرر والإبداع يكون متخليا عن خصائص أساسية تلازمه ملازمة الشيء لذاته، فالتحرر من الموسيقى إسقاط نهائى لصفة الشعر".

وعاش لا يقلد أحدا، ولا يحب أن يعيش تحت ظلال مذهب معين أو مدرسة فنية بذاتها، لأنه لا يريد أن يخضع شعره لقالب خاص، ولا لمدرسة مجردة .. بل الشعر عنده هو الوجود كله، وأبعد حدود الآفاق عامة.

ولقد كانت تنتاب الشاعر بين الحين والحين فترات شك ويأس وحزن، حتى لنجده يقول لمصر وطنه من قصيدة له فى "رثاء الرافعى" من ديوانه "هكذا أغنى":

لم يطـب للنبـوغ فيـك مقـام
لا عليـك - الفـداة - منـى سـلام
المســارات تنطفــى بــين كفيـــ
ـك ويزهــى بشــاطئيك الظــلام
قد رعيت الجميل فى كل شىء
غـير مـا أحسـنت بـه الأقـلام

السحرتي

ناقد من جيل الرواد

ديسمبر "كانون الأول" ١٩٠٢/ مايو "آيار" ١٩٨٣م

-١-

كان مثالا إنسانيا حيا على الأخوة الإنسانية والتعاون الأدبي، والروح المتوقدة لخير الأدب والأدباء، والفكر المتوثب من أجل خدمة كل قضية شريفة، تعود على الإسلام والعروبة والوطن والإنسانية عامة بالخير .. ولقد بدأ حياته الأدبية بعد النضج، وجال قلمه في المجالات الأدبية والصحف اليومية والإقليمية، ودبج المقالات النقدية والاجتماعية والسياسية، كما دبج تراجم العظماء وكبار الأدباء من غربيين وعرب.

-٢-

والسحرتي في حقبة من عمره، نظم الشعر، وأخرج ديوانا جديدا أسماه "أزهار الذكرى" ذكرى عشر سنوات قضاها في بلده الصغير الجميل "ميت غمر" وتقع هذه الحقبة بين عامي ١٩٣٤م و١٩٤٣م.

ويقول د. أحمد زكي أبو شادي في تقديمه لهذا الديوان في شعر السحرتي: "هو شاعر مفكر ذو غاية رفيعة في شعره، وهي الإنسانية التي يؤمن بحقها الأول عليه إيمانا عميقا، وثاني ما نلمسه في شعره اقباله على الطبيعة في حب وهيام شديدين. ثم روح الإصلاح الاجتماعي الذي يتناوله بالروح الفلسفية الصادقة الحرارة. وما في شعره من قدرة وصفية قرينة لطاقته الشعرية الممتازة، وهو موسيقى الطبع في كل ما ينظم، على تباين شعره. إنه شاعر رومانطيقي، أحب الطبيعة والريف حبا خالصا. فاندمج في روحيهما، وعبر عنهما بشعر عذب صادق في طلاقة جميلة لا تحمل تنافرا لفظيا، ولا يشينها خلل موسيقي، ولا تأسرها قيود صاعبة، ولا تنزل بها رغبة لإرضاء الجماهير". وليس السحرتي ممن يحترم مبدأ الفن للفن. ولكنه يؤمن بأن الفن للحياة في أسمى معانيها .. إنه ليس له وثبات ناجي ولا رمزيات الصيرفي ولا غنائيات صالح جودت، ولا وصفيات التوباسي. ولا ديباجة السوسي أو الجهني

ولا ترسل عثمان حلمي. ولكن له أسلوبه الموسيقي المتحرر. وروحانيته الساذجة الحلوة، وريفياته الجميلة، وعواطفه الإنسانية الحارة، وطاقته الشعرية النابغة. وله قبل ذلك وبعده فنه الذي يعتز به ويدعو إلى الاعتراف به بين شعراء المدرسة الحديثة الموهوبين، وكيف لا يكون ذلك وهو الجامع بين الطلاقة البديعة والخيال الرائع والموسيقى المستحقة في نظام هو نظامه لا يقلد فيه أحداً، وإن تجاوب مع أقرانه من أعلام النهضة الشعرية في العالم العربي، وهذا التجاوب الشامل علامة من علامات الشاعرية القوية، كما أن احتفاظه بشخصيته علامة أخرى من علاماتها القوية، وحسبك أن نفترض حرماننا من نماذج هذا الشعر الحديث، فتشعر بالفراغ الذي تشغله شخصية السحرتي الشاعر، وإن أبى عليها إلا التواضع أو التواري. كأنما ذلك من أصول فنه العميق.

ثم هجر ميدان الشعر وتحول إلى ميدان النقد، والبحث الأدبي، وصار علماً من أعلام هذا الميدان، بما اتسم به من ثقافة واسعة، وحيدة نادرة، وخلق كريم.

وكتابات السحرتي من نبع شخصيته الناضجة، وإنسانيته العميقة، وليس أوصف للسحرتي من قول "الدكتور أحمد زكي شادي" عنه أيضا في تصديره لكتابه "أدب الطبيعة":

"ليس مصطفى عبد اللطيف السحرتي إلا الأديب الإنساني بأوفى معانيه، وهو بفطرته شاعر الطبيعة المطبوع في جمالها ومعانيها إلى أبعد ما تلهمه الشاعرية الصحيحة، وهو رجل مكتمل الأخلاق، ناضج الإحساس، متزن التفكير، يدين بالإنسانية في صميم وجدانه، وينبض فؤاده بنبضات هذا الكون العظيم".

-٣-

توثقت علاقتي بالسحرتي سبعة وثلاثين عاما، أي منذ عام ١٩٤٦م، فعرفت فيه إنسانا طيب السيرة والسريرة. إنسانا هادئ النفس، دمث الخلق. حلو الحديث، إذا لاقيناه تفتحت نفسه في نفوسنا، وأفاض روح المرح والفرحة والأمن في قلوبنا.

ويقع قارئ ديوانه "أزهار الذكرى" على شواهد من هذه النزعة المتفائلة في قصائده، ونذكر على سبيل المثال قصيدته "الفرحة" التي جاء فيها:

فمـــالي لا أمـــر بــــلا قيــــود
وأبســـم فـــي غـــدوي أو رواحـــي

وأنسى الهم إن الهم ثقل

يهدد في المساء وفي الصباح

وأمرح مثل عصفور سعيد

وألتمس المنى في كل ساح

فما الدنيا سوى جدل وأنس

ولذات جنين من الكفاح

وليس يدوم للإنسان شيء

سوى البسمات واللهو المباح

وللبسمات سحر أي سحر

ووحي مشرق في القلب صاحي

هذا هو العلاج الروحي القوى الذى عالج السحرتي به دواءه، وشفى به كثيرا من المتصلين به، الدواء الذى استخلصه من تجاريب الحياة الجادة المريرة. وتغلب به عليها، فإذا طاف به طائف من الهم أو الكدر نحاه بروحه المرحة، وفلسفته الرواقية التى لا تأبه بالهموم والآلام، وفي قصائده "الوحدة" و"المرح" و"شفاء الروح" و"ضحكة"، يكشف لنا عن مطاردته للهموم، باللواذ إلى الطبيعة واللواذ إلى نفسه القوية. وفلسفته الرواقية، فيقول مثلا في قصيدته "ضحكة".

سأضحك للوجود بملء قلبي

وأهتف للطبيعة حلو هتف

وأهزأ بالهموم وإن توالت

فتنقشع الهموم سحاب صيف

وأرسل ضحكتي في الجو تسرى

فليحضنها الأثير كخير إلف

-٤-

وحياة السحرتي التي عرفنا لمحات منها تدل على أنه رجل عجيب. يختلف عن الناس ويسمو على بيئته، ويميل إلى أن يعيش عيشة فكرية وروحية خالصة. ولم يقبس من وراثته وبيئته إلا ما اتسق مع هذا النزوع.

فقد تقوت محبة الطبيعة لديه في موطنه "ميت غمر" وهو بلد رومانتيكي جميل، تحيط به مياه النيل من جهاته الأربع، وتحف به الحدائق والحقول. وورث من والده الحاج عبد اللطيف السحرتي وكان من كبار تجار هذا البلد: الصراحة والذكاء والميل إلى الفكاهة، ومن والدته الطيبة والتواضع ورقة الحاشية. وتفرد في أسرته بالعزوف عن المادة، لما وقر في روحه من شفافية، ولهذا كان أكبر من بيئته ووراثته.

وكان ميلاده في الثالث والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٠٢م .. وفي جميع مراحل دراسته من ابتدائية وثانوية وعالية، كان ميله إلى الناحية الأدبية بارزا، وتأثره بأساتذة اللغة العربية والأدب تأثرا قويا، ويحدثنا السحرتي عن هذه الناحية من حياته فيقول:

"تلقيت أول تعليمي "بالكتاب" وحفظت به بعض القرآن الكريم، ثم أتممت دروسي الابتدائية بمدرسة "ميت غمر". ونلت الابتدائية عام ١٩١٦م، وكنت مغرما باللغة العربية والإنجليزية والتاريخ، وأذكر بحنان عميق أستاذي الشيخ مصطفى الزفتاوي، ونماذج الإنشاء التي كان يمليها علينا ونحفظها عن ظهر قلب، أعدها بذرة أولى في تحبيب العربية إلى نفسي، وتلقيت تعليمي الثانوي بمدرسة كشك بزفتى، ومدرسة الأقباط بميت غمر، حيث نلت شهادة الكفاءة، وأكملت دراستي الثانوية بمدرسة الزقازيق الثانوية، حيث نلت البكالوريا عام ١٩٢٢م، ولا أذكر من أثر الأساتذة في نفسي في هذه المرحلة إلا أستاذ اللغة الإنجليزية بمدرسة الأقباط مصطفى البلقيني، وأعزو الفضل في أجادتي لهذه اللغة إلى هذا الأستاذ الضليع، ولا أنسى فضل أستاذين كبيرين كانا بمدرسة الزقازيق، هما: الأستاذ مصطفى عامر، وأحمد العدوي أستاذ التاريخ في ذاك الوقت، وما كان يفيضان علي وعلى زملائي من مودة، وما كان يطرقان في أثناء دروسهما من موضوعات اجتماعية وفكرية يثيران بها شوقنا إلى البحث، ويزرعان بها في نفوسنا بذور الحرية الفكرية. وعند انتهائي من المرحلة الثانوية، وقفت مترددا بين الالتحاق بمدرسة المعلمين والحقوق. وانتهيت إلى إيثار الثانية، حيث نلت إجازة الحقوق عام ١٩٢٦م. وظل شوقي إلى الأدب متوهجا بنفسي في غضون دراستي القانونية، وكان وقتي موزعا بين الأدب والقانون، فكنت أبدا بمطالعاتي الأدبية لأفتح شهيتي إلى الدروس القانونية، واستساغة مادتها الجافة"

وما كاد السحرتي ينتهي من دراسته القانونية بالقاهرة حتى أحس بصدوفه عن المحاماة، ووجد حلا ظاهريا في الذهاب إلى باريس لنيل دكتوراه الحقوق، ولكنه ما كاد يستمع إلى الدروس حتى احتواها، وانصرف عنها إلى الأدب فالتحق بجامعة السربون عام ١٩٢٦م، أيضا. كما التحق بكلية الدراسات العالية لدراسة الصحافة، وأنفق باقي وقته بالمكتبة الأهلية، والاختلاف إلى المحاضرات العامة التي كانت تلقى في المعاهد المختلفة في الأمسيات، ولكنه لم يستمر طويلا بباريس، إذ عاد بعد أشهر إلى القاهرة، واشتغل بالمحاماة ستة عشر عاما حتى أواخر عام ١٩٤٢م. وتعد الفترة القصيرة التي قضاها في باريس نقطة تحول فكرية في حياته، وفي توسيع آفاق معارفه، وتقوية إيمانه بالحرية والديمقراطية الحقة.

يقول السحرتي: "في جو باريس امتلأت رئتاي بنسيم الحرية. وتأيد إيماني بالديمقراطية، وأحببت باريس الأدبية التي فاضت حساسيتها على نفسي وأثار ذكاؤها ذهني".

وقد سجل أثر باريس في سبع مقالات طوال كتبها عنها بمجلة السياسة الأسبوعية في عدد ٥ مارس (آذار) ١٩٢٩م، إلى عدد ٢٥ ابريل (نيسان) ١٩٢٩م، وهي مقالات نابهة تليق بأن تضم في كتاب مفرد. وسجل إلهامات باريس في عدة بحوث طويلة كتبها بجريدة وادي النيل في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٨م، والشرق الجديد في يناير (كانون الثاني) ١٩٢٩م، والبلاغ في يوليو (تموز) عام ١٩٣٠م، وهذه المقالات جديرة بأن يضمها كتاب مستقل.

ولا ينسى السحرتي أثر هذه الرحلة في حياته فيقول: "قد لا أكون مغاليا إذا قلت: إن رحلتي على الباخرة من الإسكندرية إلى مرسيليا هي أجمل رحلة في حياتي، وآثرها إلى قلبي، لما امتلأت به عيناي من مشاهد خلابة. ولست أنسى ما حييت لقائي على الباخرة بتاجر هندي مثقف، كان يبيع الماس في باريس. فقد كان يروي لي في هذه الرحلة تاريخ الهند وأعمال رجالها العظام، وبخاصة الزعيم الهندي غاندي".

ويقول السحرتي: "إن غاندي أثر في توجيهي تأثيرا كبيرا في حقبة من حياتي، فلقد تجاوبت روحي معه تجاوبا قويا. واتخذت شخصيته مثالا لي في كثير

من أعمالي، وبلغ من تأثري بتعاليمه أني كنت أقضي يوما من أيام الأسبوع صائما ومعتكفا عن الناس، للتأمل والمطالعة. كما أثرت شخصية "سعد زغلول" الجذابة، وبلاغته الساحرة، واتجاهه إلى الديمقراطية الوطنية في نفسي أعظم التأثير".

-٦-

اشتغل السحرتي بالمحاماة ببلده "ميت غمر" ستة عشر عاما، كان فيها مثالا للمحامي النزيه الشريف الكفء، وقرن إلى جهوده في المحاماة جهوده الأدبية الممتازة، فكتب في المجلات الأدبية والصحف اليومية مقالات أدبية واجتماعية نابهة، نذكرمنها: مجلة السياسة الأسبوعية، ومجلة الأدب الحي، ومجلة السفير، والرسالة، ومجلة الطلبة المصريين، وجريدة البلاغ، والوادي. وكانت مجلة السياسة الأسبوعية هي مجلته المفضلة، التي لم يخل عدد من أعدادها منذ عام ١٩٢٦م، إلى عام ١٩٣١م، من مقال له، ودارت مقالاته حول الأدب الفرنسي. وتراجم العظماء والأدباء غربيين ومصريين ونذكر من هذه المقالات:

١- الروماتيزم ولامارتين (٢٠ أغسطس(آب) سنة ١٩٢٧م).
٢- الصحافة في البلاد المتمدينة (١٧ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٧م).
٣- العبقرية والعبقريون (٢٨ أبريل (نيسان) سنة ١٩٢٨م).
٤- الحزبية والوطنية.
٥- أثر الخبر في الجمال والفن (٥ مايو (أيار) سنة ١٩٢٨م).
٦- أسباب الحرب الكبرى ونتائجها (١٦ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٨م).
٧- الإجرام في مصر أسبابه وعلاجه (سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٨م).
٨- الأدب القومي (١١ أكتوبر (تشرين) الأول سنة ١٩٣٠م).
٩- الخيال وأثره في الحياة (١٤ أبريل (نيسان) سنة ١٩٣٤م).

وبعد السحرتي من خيرة كتاب التراجم، فقد كتب ترجمات فنية موفقة بالسياسة الأسبوعية، وغيرها من المجلات، وهي جديرة بكتاب منفرد، ومن هذه التراجم: سقراط بمجلة السياسة الأسبوعية في ٧ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٨م، وترجمة الأديب الألماني جوته ونشرت بمجلة السياسة الأسبوعية في ١٠ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٢٧م، وترجمة بديعة للشاعر الفارسي "السعدي الشيرازي" ونشرت بمجلة السياسة الأسبوعية، وترجمة "تولستوي" بمجلة السياسة الأسبوعية في

١٨ مايو (أيار) سنة ١٩٢٩م، وترجمة الأديب الفرنسي "روسو" بمجلة السياسة الأسبوعية في ٤ أغسطس (آب) سنة ١٩٢٨م، والشاعر الأميريكي الجهير "هويتمان" بمجلة السياسة الأسبوعية في ٢ فبراير(شباط) سنة ١٩٢٩م، والصحافي المصري الجرئ "أمين الرافعي" وهي منشورة بمجلة السياسة الأسبوعية في ٣ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٣١م، كما نشر ترجمة بمجلة "الطلبة المصريين" عن شكسبير في ١٩ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٨، وترجمة أخرى لغاندي، وترجمة لطاغور بالمجلة السابقة في ٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٨، وكتب مقالا مفصلا بجريدة البلاغ عن "المنفلوطي" في ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٢٩م، وبمجلة الرسالة عن شخصية ابن خلدون في ١٧ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٤م، كما تناول غير هذه الشخصيات الاثنتي عشرة، شخصيات أخرى لا يتسع المجال لذكرها.

-٧-

ولم تقف جهود السحرتي على عمله الخاص بالمحاماة، ولا على أعماله الأدبية، بل إنه أسهم إسهاما إيجابيا في الحركة الوطنية في مصر، وكان مثالا للوطني النزيه، المجرد من الغايات، والمترفع عن التحزب والتعصبات، ويدخر له بنو وطنه المحبة والتقدير كلما جرى اسمه على الأفواه، ويذكرون له خطبة الوطنية المهذبة، الداعية إلى الإصلاح والحق والعدل والحرية، كما يذكرون له جهوده الثقافية والاجتماعية الإيجابية في إقليمه، وجهاده في رفع معنوية الجماهير، وإيقاظ أرواحهم وتنقيتها. ونذكر من هذه الجهود تكوين جمعية اجتماعية فريدة لتعليم المشردين، وأبناء الفقراء، بعض الحرف والصناعات، وإنشاء فصول ليلية بالمدارس الإلزامية لتعليم العمال والكبار الأسنان القراءة والكتابة، وإسهاماته الفعلية في معاونة المتعففين من الفقراء والعاجزين عن العمل، وتحريره جريدة الإقليم "الوقت" لتنوير الناس وتوجيههم توجيها طيبا، وقد كان يملأ قلمه صفحات هذه الجريدة. وقد اطلعنا على بعض من أعدادها فإذا بنا نعجب من هذا الجهد القلمي الدائب الذي كان يبذله لتثقيف أبناء إقليمه. ففي العدد ٤٦٣ المؤرخ ٢٧ يوليو (تموز) سنة ١٩٣٩م، نجد مقالا بعنوان "بين الجمود والتجديد"، ومقالا آخر "في المرآة" بقلم: م.لطفي، وهو الاسم القلمي الذي استعاره لمهر مقالاته به، وكل عدد وقفنا له عليه كان يحوي أكثر من مقالين، ولمحتين أو ثلاثا متناثرة في كل عدد.

ولقد تخللت الفترة التى قضاها بالمحاماة فترة تعد من أخصب الفترات فى حياته الأدبية، إذ اتصل فى أوائل عام ١٩٣٤م. بجماعة "أبوللو" وتعرف إلى رائدها الدكتور أحمد زكى أبو شادى، وكان واسطة التعارف بينهما الشاعر عبد العزيز عتيق مدير إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم فيما بعد. كما تعرف على أدبائها وشعرائها، وعلى رأسهم على محمود طه، وناجى، والصيرفى، وزكى مبارك، وصالح جودت، ومختار الوكيل، ومحمود حسن إسماعيل، والسحراوى .. وغيرهم من أدباء الحركة الابتداعية فى مصر.

وكانت صداقته لأبى شادى من أكرم الصداقات، وفى ذلك يقول السحرتى: "كانت صداقتنا صداقة نقية عائلة، صداقة فكرية وروحية معا. وكانت آراؤه فى ذلك الحين مصدر إلهام زاخر لى، كما كانت كتاباته النثرية المركزة من العوامل القوية التى جذبتنى إليه. ولم أكن بنزعتنى الواقعية أميل إلى الشعر الخيالى، ولكنه حببنى إلى الشعر، وأوحى إلى تأليفه، حتى تمكنت فى عام ١٩٤٣م، من إخراج ديوان "أزهار الذكرى" الذى جمع أكثر شعرى من عام ١٩٣٤م، إلى عام ١٩٤٣م". واذكر بالامتنان تصديره النبيل الجامع لهذا الديوان، الذى يفسر روحه الكريمة الوفية، والذى جاء فيه عن الديوان:

"وأنا إذ أتناول شعره بالعرض إنما أمازج نفسه الحلوة وفكره الناضج وطبعه النبيل ومواهبه المتألقة، التى طالما جذبتنى إليه فنهلت من عذوبتها وقبست من إشراقها". حقا لقد تأثرت فى يفوعتى وصدر شبابى بأدب المنفلوطى وأسلوبه، كما تأثرت بعده برواد الأدب وأعلامه فى الجيل الماضى، وعلى رأسهم الدكتور طه والدكتور هيكل وغيرهما، ولكن أحدا منهم لم يؤثر فى تأثير الدكتور أبى شادى".

وفى أفياء جماعة أبوللو تجلت طاقة السحرتى الأدبية، فكتب فى أبوللو ورأس تحرير مجلة الإمام، كما أسهم هو والدكتور إسماعيل أدهم فى تحرير مجلة أدبية، اقتصرت على أدب أبى شادى وأدب أصدقائه الحميمين، كما أخرج فى عام ١٩٣٧م، كتابه المدرسى البديع "أدب الطبيعة"، وقد صدره الدكتور أبو شادى بمقدمة جاء فيها: "إن أدب الطبيعة: هو من صميم الأدب العالمى، وهو كتاب أخلاق رفيع، وسجل ثمين للوجود الحى، وهو تعريف متزن بالشعر العصرى، وعرض جميل لآداب مأثورة عند العرب والإنجليز والفرنسيين والأمريكيين قديما وحديثا، الى جانب روائع الأدب المصرى القديم، وصفحات الكتاب على وفرتها تضم أكثر

مما تبدى، لأن الأسلوب المركز الذى اشتهر به المؤلف هو خير ما قل ودل. وهو مع ذلك بعيد كل البعد عن الإبهام أو التعقيد". وفى مجلة الإمام جال قلمه جولات موفقة وكتب مقالات نابهة. ونذكر من هذه المقالات: ثلاث مقالات كتبها فى نقد وتحليل كتاب "ابن الرومى" للعقاد، ومقالة عن "البارودى" فى عدد خاص أخرجه. ومما يستحق التنويه بحثه الفياض عن "سعد" وقد صدر به عدد خاص من الإمام فى ست وعشرين صفحة. وهو من أمتع البحوث التى ظهرت عن سعد زغلول. ولم تقف جهود السحرتى فى هذه الفترة على الكتابة فى مجلات أبوللو، بل دبج مقالات فى المجلات المصرية، ومن بينها: مجلة "الرسالة"، ومجلة "الأسبوع الأدبية" التى كان يصدرها فرنسيس دوس، ومجلة "أبو الهول"، ومجلة "السفير" التى كانت تصدر بالإسكندرية .. وغيرها من المجلات.

-٨-

وفى أواخر عام ١٩٤٢م، ضاق السحرتى بحياة الريف، ولم يجد كثيرا من اللذة فى المحاماة، فالتحق بالعمل الحكومى بالعاصمة فى أوائل عام ١٩٤٣م، وكيلا بقسم الدعاية والنشر بوزارة الوقاية لكى يجد فى جو العاصمة مجالا لدراساته الأدبية وقراءاته. ولكنه ما كاد يدخل الوظيفة حتى شعر من أول يوم، أنه وضع نفسه باختياره فى سجن، وفى ذلك يقول السحرتى: "لقد شعرت بعد طلاقتى فى الريف، بأنى وضعت اللجام فى فمى، وخلفت من ورائى ذكريات سعيدة، وهجرت أعمالا خيرة لا أستطيع إتيانها فى العاصمة، وحثوت الرماد على تراث كان يمكن أن ينمو ويزدهر لولا مفارقة البلدة الصغيرة". وقد وقفنا له على قصيدة لم تنشر يعرب فيها عن لواعج نفسه وضيقه فى بداية اشتغاله بالحكومة، ويقول فيها:

أقصيت نفسى عن فضاء واسع
وحبستها فى أضيق الجدران
وشعرت أنى قد أضعت طلاقتى
وهى الملاذ الحر للإنسان
فرجعت أعدل هذه الروح التى
هامت بمصر وأضرمت تحناتى

أشبعت بغيتها بهجرة موطني
وأتيت أنشد فرحة الوجدان

فإذا الهنا الآن في هذا الورى
وإذا الحقيقة مرة لجناني

ولم يعرف فضل السحرتي في عمله الحكومي، مع إخلاصه وتفانيه في عمله، وشجاعته في إبداء رأيه، فقد نقل إلى وزارة التجارة بعد إلغاء وزارة الوقاية، واشتغل بالقسم التشريعي بها بالتحقيقات، ثم ضم أخيرا إلى النيابة الإدارية، حيث اشتغل رئيسا لقسم النيابة بوزارة العدل. ثم نقل إلى وزارة الثقافة مديرا عاما لإدارة الثقافة فيها، والمعروف أن الوظيفة لم تقيده بأغلالها ولا روتينها، فقد كان لا يزال كالعهد به، الإنسان الحر والأديب المترفع الزاهد عما يجري وراءه الموظفون عادة من التماس الخطوة، أو الجري وراء ترقية.

-٩-

وعمل مع صديقه الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي في "جمعية الأدباء" التي أسست عام ١٩٤٥م، وبعد هجرة أبي شادي إلى أميريكا في أبريل (نيسان) عام ١٩٤٦م، تفرغ للأدب.

ويتوج جهوده الأدبية في هذه الفترة كتابة "الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث"، الذي أخرجه في عام ١٩٤٨م، ويعد من المراجع القيمة في دراسة النقد الأدبي المعاصر.

ويذكر له جهوده البناءة في قيام ودعم رابطة الأدب الحديث، وما كان يلقيه في ندوتها من محاضرات نفسية مدروسة، ونذكر منها محاضرته عن "فن القصة القصيرة"، و"فن الشعر"، و"فن النقد الأدبي"، و"فن الصحافة"، و"فن المسرحية"، و"فن المقال الأدبي"، و"الأصالة الفكرية"، و"الجموح القلمي" وغيرها من المحاضرات التي لا يتسع المجال لذكرها، وتؤلف كتابا ضخما.

ولم تقف جهود السحرتي عند التأليف والمحاضرة، ولكنه كان يكتب بين حين وآخر في المجلات الأدبية الشهيرة، وقد خص "المقتطف" من قبل بمقالات نابهة، كما جال قلمه في مجلة الميزان والأديب المصري في عام ١٩٤٩م، ونشر طائفة من المقالات في مجلة "الأديب" البيروتية وغيرها من المجلات، ومما كتبه

في الأديب البيروتية دراسات عن شخصيات الشعراء: ناجي، وأبي شادي، ومحمود أبو الوفا، والتيجاني، والشابي، وهي دراسات سيكولوجية فريدة في بابها، وقد ضمها كتاب "شعراء مجددون".

وكان السحرتي في كهولته عازفا عن نشر إنتاجه الأدبي، يؤثر إيداعه سجلاته الأدبية والسيكولوجية، وما يزال الكثير منه مخطوطا، ومن هذه البحوث نذكر بحثه عن "الأصالة الفكرية" الذي نشر منه كلمة في مجلة "ليالي الأدب" التي أخرجتها رابطة الأدب الحديث في عام ١٩٥٦م، وبحثه عن "سيكولوجية الشخصية" و"سيكولوجية الحب"، وبحثه عن "فن الكتابة" وغيرها من البحوث، وكثيرا ما كان يقول: "نحن لا نزال نقف على عتبة المحراب، فلنقف في خشوع وسكون وابتهال!".

-١٠-

وبعد هجرة أبي شادي وجه السحرتي جهوده إلى النقد الدبي، وهو يرى أن مهمة الناقد مهمة شاقة عسيرة، ومسئولية خطيرة أمام نفسه وفنه ومجتمعه.

وهو يصور منهجه في النقد قائلا: "النقد الأدبي اليوم قضية مركبة عويصة تحتاج إلى قضاة عدول صارمين في الحق، ولا يساغ النقد، بدفعة من دفعات العاطفة، أو نزوة من نزوات النفس، أو خطوة من خطوات الهوى، ولا بلمحة من لمحات الذكاء بل لابد من ضمير حي، وبراءة من الميل، وتجاوب مع روح المنقود، واقتران بآثاره اقتران مودة، والرجوع إلى جوه وبيئته وشخصيته، ودراية ذكية بالأصول النقدية، وبأحدث مذاهب النقد المعاصرة، فإذا تعذر التجرد النفسي وعثرات الزمالة بالمنقود، واستحال التكيف بالجو الذي شدا فيه الأثر الأدبي وترعرع، وتجوهلت شخصية المنقود، وقلبت الأهواء بالقواعد النقدية. فلن يصح نقد، ولن ينصف منقود".

والنقد التأثري الجمالي هو الغالب على فكره النقدي، وإن أخضع ذلك كله لمنطق المذهب الفني في النقد.

والسحرتي في نقده الأدبي يحرص على الاعتدال والاتزان في الحكم، مع الميل إلى التجديد، واختير السحرتي محاضرا لطلبة معهد الدراسات العربية العالي في النقد، كما اختير عضوا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فترة طويلة، ثم عضوا في هيئة تحرير مجلة "الثقافة" التي صدرت عن وزارة الثقافة في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣م.

وقد صدرت للسحرتي كتب رائدة منها:

١- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث.
٢- شعراء مجددون.
٣- شعر اليوم.
٤- أدب الطبيعة.
٥- الفن الأدبي.
٦- النقد الأدبي من خلال تجاربي.
٧- شعراء معاصرون - بالاشتراك مع الأديب العراقي الكبير هلال ناجي.
٨- الرصافي الشاعر بالاشتراك مع الدكتورخفاجي، والأديب العراقي الأستاذ قاسم خطاط.
٩- أيديولوجية عربية جديدة.
١٠- دراسات نقدية - وقد نشرته الهيئة المصرية للكتاب في أوائل عام ١٩٧٤م.
١١- دراسات نقدية في النثر - صدر عن الهيئة المصرية للكتاب عام ١٩٧٩م.
١٢- الأصالة الأدبية - صدر عن مكتبة الأنجلو المصرية بعد وفاته.
١٣- وديوانه أزهار الذكرى.

وقد تناول النقاد والكتاب شخصية السحرتي وأدبه بالدراسة، فأصدرت "رابطة الأدب الحديث" عن أدبه كتابا حافلا بعنوان "دراسات في النقد المعاصر".. وفي كتاب "مدرسة أبوللو" للدكتور محمد سعد نشوان، فصل عن السحرتي.

كما تناوله د. محمد مندور في كتابه "الشعر المصري بعد شوقي".

وهناك العديد من الدراسات التي كتبت عنه في حياته وبعد وفاته، وما أجدرها بأن تجمع في كتاب.

الصيرفى
شاعر التجديد
٦ سبتمبر ١٩٠٨ – ٢٠ مايو ١٩٨٤م

-١-

رحم الله الصيرفى، لقد كان شاعرًا مجودا، وصاحب موهبة شعرية محلقة .. ولقد خسر الشعر العربى بوفاته فى العشرين من مايو عام ١٩٨٤م – عن ستة وسبعين عامًا – قيثارة شعرية ساحرة، طالما غردت للجماهير العربية، وأثرت فيها على امتداد أكثر من نصف قرن من الزمان ..

إن هذا الشاعر "الأبوللى" المبدع، الذى عاش فى رحاب الشعر هذا الأمد الطويل، ليعد علامة على الطريق، وأحد معالم الشعر العربى المعاصر. ولا عجب فقد كان من أرهف الشعراء ذوقًا، وألطفهم شعورًا، وأرقهم فكرا ومضمونا، وأوسعهم افتنانًا فى التجديد، وأكثرهم أصالة فى الديباجة الشعرية الجميلة، وفى الصورة الشعرية المتميزة .. ولقد أخرج الصيرفى العديد من الدواوين، من مثل: (الألحان الضائعة – الشروق – صدى ونور ودموع – عودة الوحى – شهر زاد – زاد المسافر – النبع – صلواتى أنا – نوافذ الضياء).

وأسلوب الصيرفى الأثيرى، وموسيقاه التى توائم الموضوع الشعرى، ورمزياته العديدة فى مختلف تجاربه، وصور القصيدة وأنغام القافية المختلفة عنده، وتجويده فى شعر الحزن والألم .. وكل ذلك موضع التفات النقاد واهتمامهم.

والصيرفى شاعر رومانتيكى حالم، يستمد شعره من الحياة والطبيعة ومن الألم والأمل، ومن الجمال والكون والأحلام والرؤى الباطنية العميقة.

وقد ولد الصيرفى – ابن دمياط الجميلة – فى ٦ سبتمبر من عام ١٩٠٨م وبدأ ينظم الشعر وهو فى الخامسة عشرة من عمره، وترك المدرسة عام ١٩٢٥م ليتفرغ للشعر[1].

---

(1) ص٢٣١ مذاهب الأدب الخفاجى – طبع القاهرة ١٩٥٣م.

ومنذ عام ١٩٢٧م بدأ ينشر شعره فى مجلة "العصور" وغيرها، ولما تأسست "جماعة أبوللو" الشعرية برئاسة الدكتور أحمد زكى أبو شادى صار أحد أعضاء الجماعة، ومحررًا فى مجلتها، وأحد القريبين من أبى شادى، والأثيرين عنده.

وقد شغل الصيرفى وظائف عديدة فى مجلس النواب سابقًا (الشعب حاليًا) وفى إدارة الثقافة بوزارة الثقافة - وعمل محررًا فى مجلة أبوللو، وفى مجلة "الشعر"، ونائب رئيس التحرير فى مجلة "الكتاب العربى"، وكان عضوا فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب .. وحقق ديوان البحترى تحقيقًا علميًا فريدًا، وهو من أهم إنجازاته العلمية، كما حقق ديوان المثقب العبدى، وديوان المتلمس، وطوق الحمامة، وكتاب الطيف والشباب للشريف المرتضى، وكتاب "أخبار البلدان" للقزوينى، وبعض كتب أخرى من المكتبة الجغرافية الإسلامية .. وأصدر كتابًا بعنوان "حافظ وشوقى" وغير ذلك من أعماله التراثية والأدبية.

وفى عام ١٩٣٤م صدر للصيرفى عن جماعة أبوللو ديوان "الألحان الضائعة" الذى صدره أبو شادى بمقدمة جاء فيها: "الصيرفى[1] شاعر أصيل، فياض الشاعرية، المستوحاة من أغانى الربيع، ومن الصدى الخافت، ومن جفاء الطبيعة، ومن البسمات الساخرة، ومن موت البلبل، ومن كل ما توحيه الحياة والموت للشاعر الحساس النبيل، وهو شاعر فى بيانه، وشاعر فى حياته، شاعر فى خلقه، وهو الفنان الناضج فى تعبيره الوجدانى المنغوم، وفى صور حياته العامة".

ولئن كان شعر على محمود طه يتميز بفخامة اللفظ، وروعة الأسلوب ورصانة الجمع بين القديم والحديث، وشعر ناجى يتميز بسحر العاطفة وجمال الذوق، وجلال المعانى، فإن شعر الصيرفى يتميز بموسيقيته الساحرة، وألحانه الحالمة، وصفاء الديباجة وإشراقها، وسمو الفكرة، والتقصى الوصفى فيما وراء الصورة. وشعره سداه الألم، ولحمته أحزان النفس وهمومها، تنزع نفسه إلى التجديد وابتداع الخيال.

ولقد صهرت الآلام روح الشاعر، والدموع ضرورية للعبقرية كما يقول بعض النقاد، بل كما يقول الصيرفى نفسه:

دموعـــــــى كنـــــت آمـــــالاً
تمــــد القلــــب بالبشــــر

---

[1] ص٤ وما بعدها الألحان الضائعة للصيرفى.

وكــــانت هـــــذه الآمــــال

كالأنغـــام فــــى الفجــــر

-٢-

ووصف الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى الشاعر الصيرفى بأنه مجدد هادئ الجوهر، صافى النفس، رقيق الشاعرية عذب الموسيقى[١]، يتميز بمعانيه الأصيلة فى الطبيعة[٢] وبخياله الذى يخلق لك جوًا عطرًا عبقًا بالعطر الشعرى والموسيقى الهادئة[٣].

ويصفه إسماعيل أدهم بأنه شاعر رومانسى النزعة، غنائى الروح موسيقى التعبير[٤].

وينوه بروكلمان به، وبنزعته كأحد اتباع الشعر، الرمزى[٥]، كما نوه ناقد آخر بشخصيته الواضحة فى شعره[٦].

واللون الوجدانى هو السمة الغالبة على شعر الصيرفى[٧]، ونزعته القوية إلى التجديد ظاهرة من ظواهر شعره، يسعفه فى ذلك خيال جامح، وحس قوى[٨] .. ويشير د. محمد كمال حسين إلى أثر الأدب الغربى فى شعراء مدرسة أبوللو، وإلى معانى الصيرفى المبتكرة فى قصيدته "عقب السيجارة" فى ديوانه "الألحان الضائعة" وهى قصيدة ليس لشاعر آخر نظير لها[٩]، وهو فى أكثر قصائده ذو نزعة تجديدية، يميل دائمًا إلى التحرر من القافية كما كان يحلو لشعراء المهجر أن يفعلوا[١٠].

---

(١) مجلة أبوللو - عدد ديسمبر ١٩٣٤م.

(٢) أدب الطبيعة للسحرتى ص١٠٧ و١٠٨.

(٣) المرجع نفسه ص١٢٢.

(٤) ص٢٢٨ و٢٢٩ خليل مطران لأدهم ..

(٥) ص١٦٥ و١٦٨ الجزء الثالث من ملحق تاريخ الأدب العربى لبروكلمان.

(٦) البلاغ الأسبوعية - عدد ٥ سبتمبر ١٩٣٤م.

(٧) ملحق السياسة - أول سبتمبر ١٩٣٤م - للكاتب أحمد فتحى.

(٨) جريدة البصير - عدد ١٤ سبتمبر ١٩٣٤م.

(٩) جريدة الوادى ١٥ سبتمبر ١٩٣٤م.

(١٠) المقتطف عدد نوفمبر ١٩٣٤م.

وينوه سيد قطب بطلاقة الروح الفنية في شعر الصيرفي، وشعراء أبوللو عامة[1] - وحلل رمزي مفتاح فلسفة الصيرفي حول الزمن بتحرر عقله من قيوده عندما يتسامى به الفن عن ضجيج الحوادث، ويرى أنه حامل هذا اللواء بين الشعراء المحدثين[2].

-٣-

وكان الصيرفي مجيدا في الرثاء والألم والشكوى ووصف العواطف والمشاعر والأحاسيس النفسية الدفينة، وفي الرموز الغامضة المعبرة، والأوصاف الدقيقة. ويجمع شعره بين السلاسة والتعبير القوي والفكرة العميقة، وبيته الشعري يجمع صورًا كثيرة متلاحمة مصبوبة في قالب شعري جميل، مع البراعة النادرة في رسم الصور والظلال، وتوشيتها بألوان ساحرة من الخيال، وإضافة التفاصيل التي تنم عن فطنة بارعة، وذهن خصب، وملكة نادرة مصورة.

وقصيدته "الشاعر" من ديوانه "الألحان الضائعة" لعله تأثر فيها بالشاعر فوزي المعلوف في ملحمته "على بساط الريح"، وإيليا أبو ماضي كذلك.

وهذه القصيدة في رأيي هي التي ينهج فيها نهج علي محمود طه في قصيدته "ميلاد شاعر"، وهي طويلة تقع في أكثر من خمسين ومائة بيت.

أما ديوانه "الشروق" فيمثل روح شاعر مجرد، نزاع إلى الطلاقة الفنية، وإلى الحرية التي لا تتنكر للموسيقى، ولا تتقيد بقيود القافية الشكلية، وفيه ينزع الشاعر إلى السعادة الروحية، فيقول:

الرضـى مـا أجمـل الدنيـا بـه

بسـمة تخـرج مـن ثغـر نبـي

ويقول وهو يشعر بلذة السعادة في غفوة حلم:

تعـال فقـد عرفـت حـدود نفسـي

وأدركـت السـعادة مـلء كأسـي

وفي ديوانه "صدى ونور ودموع" زاد تألق شاعرية الصيرفي، وارتفعت أسهمه في ميدان التجديد والتجويد، وعمقت فلسفته في الحياة، وزاد تحرره من

---

(1) الأهرام عدد ٢٠ أكتوبر ١٩٣٤م.
(2) البلاغ عدد ٢٣ سبتمبر ١٩٣٤م

القيود الفنية التى لا تتنافى مع روح الشعر والشاعر، وعلت بذلك مكانته بين شعرائنا الكبار ..

-٤-

أما دواوينه الستة الأخيرة فقد صدرت عن دار المعارف قبل وفاته بعام، وتعد من أرفع الإبداعات الشعرية: موسيقى، وصورا شعرية، وخيالاً خلابًا، ومضمونًا إنسانيًا عاليًا، فى صياغة عذبة رصينة، فيها حلاوة الإيقاع، وسحر الإلهام، ومجال التناسب، وحرارة العاطفة، ووضوح التيار الرومانسى الحالم.

والشاعر فى تعديده لمواقف التجربة فى قصيدته وتغييره للقافية عند كل موقف منها، وفى قوة تأثيره وإيحائه، سيظل سباقًا فى ميدان التجديد، فى ديوانه "عودة الوحى" من قصيدته "يا شاعر الحلم الغافى" يقول:

يا شاعر الحلم الغافى على مقل

أجفانها أوهنتها السهد والحلم

ويقول من قصيدته "النبع" فى ديوانه "النبع":

من فجر من قلب الصحراء
هذا النبع السحرى الماء
شفتان حديثهما أنداء
فى الكون لهمسهما إصغاء

ولننظر إلى قصيدته "بعد فوات الأوان" من ديوانه "صلواتى أنا" يقول الشاعر:

لن يعود الزمان
يا حبيبى بنا
مثلما قد كان
نحن فى دربنا
بالمنى سائران

ومع حلاوة النغم، نجد أننا أمام صورة جديدة من بحر قد يكون هو صورة جديدة لمجزوء بحر الخفيف، وقد يكون بحر جديدا مبتدعًا.

وتجيء الحرية، الحرية التي غنى لها الشاعر في قصيدته "حكمة عصفور" من ديوانه "النبع" . مع الرمز الرائع الذي احتوت عليه القصيدة، من حب الوطن والحياة فيه .. وكل ذلك إلهام الشاعر الرومانسي المجدد المبدع.

ويستمد الصيرفي في شعره من الكون والحياة والطبيعة، في روح إنساني عال رفيع.

وقد بكيت وأنا أقرأ للصيرفي قصيدته الإنسانية الرنانة "صخرة" من ديوانه "النبع"، التي يقول فيها:

مــــا أقســـــاها تلـــــك الصخـــــرة
لم تـــــترقرق منـــــــها عـــــــبرة
مـوج البحـر علـى قدميـها كـم يتحطـم
هـذا الثـائر ألقـى الرايـة ثـم استسـلم
تلك الراية، هـذا الزبـد، الأمـل المعـدم
مــــا أقســـــاها تلـــــك الصخـــــرة
لم تتنـــــــــاثر منـــــــــها ذرة
لم تتصـــــاعد منـــــــها زفـــــرة

إن قدرة الصيرفي على أداء المعنى الكبير في أبسط عبارة وأجملها وأدقها، لتعادل قدرته على امتلاك زمام الموسيقى الحلوة الجميلة الموحية، وتعادل قدرته على تقطيع القصيدة، وفق مواقف التجربة، وهذا التقطيع يحمل الكثير من صور الالتفات الذهني الحاد، ومن تعديد القافية، ليكون الروي دائمًا في خدمة الموسيقى والصورة والأسلوب والمضمون.

-٥-

والإلهام الرومانسي هو الذي يهب الشاعر دائمًا ملكة الإبداع الفني في كل صوره الرفافة الهامسة الحالمة، هذا الإلهام تجيش به تيارات عاصفة من الحب، والجمال، والطبيعة، والألم.

والألم دائمًا هو النبع الثري الذي يغذي تجربة الشاعر بأحلى الأنغام، وبأجمل صور الإلهام.

ليس شعر الصيرفي في صورة مكررة من شعر شاعر آخر، إنه صورة مستقلة، نابضة بالحياة، موحية وملهمة، صورة في غاية الطرافة والغرابة والتفرد .. فصوره وأخيلته ومضامينه وتجاربه، كلها من نبع نفسه ووجدانه وذاته.

والصيرفي يقف دائمًا يتأمل الكون بعين محدقة، إنه يمل التقليد، ويأبى إلا أن يأتي دائمًا بجديد، ومن ثم حمل شعره كل جمال الإبداع والخلق الفني المتجدد.

وفي "شهر زاد" يصوغ الصيرفي من قصتها ملحمة شعرية، تحمل طابع الشعر الإنساني العالي. ونحن نقرأ فيها للشاعر:

أنـا أروي لـك فـي كـل مسـاء
مـا روى بعـض الـرواة القدمـاء
قصـة ليـس لهـا ظـل انتـهاء
سـأداوي فيـك جـرح الكبريـاء
سـتري البسـمة تعلـو شـفتيك
وتـري الرحمـة تنـدي مـن يديـك

وفي " الليلة الثانية بعد الألف " من " شهر زاد " يقول الشاعر على لسان "شهرزاد":

رفـرف الأمـن علـى هـذي المدينـة
وسـرت فـي ليلـها روح السـكينة
لا انتقـام، لا اغتصـاب، لا ضغينـة
فرحـت مثلـي وقـد كـانت حزينـة

وهذه هي رؤيا الشاعر الرومانسي الأبوللي، حسن كامل الصيرفي، الرؤيا التي لا يملك "شهريار" معها إلا أن يصيح:

أنـت فـي حلـم، ولكنـي أنـا
لم تـذق عينـاي بعـد الوسـنا
مـا الـذي فـي ليلـة بدلنـا
هـل أنـا أنـت، وهـل أنـت أنـا؟

إن هذه الحيرة، وهذا الفكر الحالم المتألق، هما سمة أصيلة في الصيرفي، وباكم يأتينا الصيرفي في شعره بالجديد كل الجديد.

الشاعر محمد عبد الغنى حسن

١٩٠٧ - ١٩٨٥

-١-

ودعنا وودع الحياة الشاعر محمد عبد الغنى حسن شاعر الأهرام، وذلك فى الثانى والعشرين من يناير عام ١٩٨٥م،وبوداعه طويت صفحة مملوءة بالموهبة والشاعرية والأصالة والإبداع.

وحين يصف محمد عبد الغنى حسن شعره بقوله من ديوانه المشهور من وراء الأفق:

تلك الأغانى من وراء الأفق
أصداء نفسى فى الفضاء المطلق
رددتها فى الصبح أو فى الغسق
فهن زهرى فى الربيع المورق
وهن جمرى فى اللهب المحرق
وخفق قلبى فى الشباب الريق
وتعزياتى فى المشيب المحدق
حين يولى للغروب مشرقى
وحين يمضى ما مضى وما بقى

تشعر حقًا بأنك أمام شاعر موهوب ..

وقد بدأت رحلة الشاعر مع الشعر بعد أن اجتاز مرحلة الطفولة، وقرأ من التراث دواوين الشعراء القدامى، كما قرأ دواوين الشعراء المحدثين، وأخذ ينظم الشعر فى مختلف الأغراض، حتى صار اسمه يتردد فى كل حفل، وكل مناسبة، وكانت الأهرام تنشر له فى صفحاتها الكثير من القصائد، ولقبته عام ١٩٢٩ بشاعر الأهرام، فكان لذلك صدى عميق فى نفوس الجماهير، وكانت قصائده يحلى بها الأهرام صدره..

وقد عاصر الشاعر محمد عبد الغني حسن أعلام الشعر المعاصر ومدارسه. وتياراته، وشهد الكثير من مواسمه ومهرجاناته ومناسباته المختلفة، وعاش حياته بين شعره هو وشعر الشعراء في القديم والحديث، وكانت مؤلفاته أكثرها عن الشعر والشعراء، ومن هذه المؤلفات: جوانب مضيئة من الشعر العربي، في صحبة الشعراء. الشعر العربي في المهجر، تميم بن المعز الفاطمي، الشعر في العصر الفاطمي .. إلى دواوينه الكثيرة: من وراء الأفق، من نبع الحياة، ماض من العمر، من وحي النبوة وغيرها. ومؤلفاته تنم عن ثقافة كبيرة، واطلاع واسع، وإلمام بشتى المصادر والمراجع، ومن بينها: الأمثال العربية - التراجم والسير، ملامح المجتمع العربي، غرائب من الرحلات، تيجان تهاوت، أعلام من الشرق والغرب، بطل السند، عبد الله فكري، حياة مي، معرض الأدب والتاريخ، الخطب والمواعظ، ابن الرومي، بين السطور، ومن الكتب التي حققها: حلبة الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسي، تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي، وغيرها ..

-٢-

ولد الشاعر بمدينة المنصورة عام ١٩٠٧م، وتلقى ثقافته العالية في مدرسة دار العلوم، وتخرج منها عام ١٩٣٢م، ثم سافر في بعثة إلى إنجلترا عام ١٩٣٢ لدراسة التربية وعلم النفس، وكان موفدا من قبل وزارة المعارف المصرية، ودرس في إنجلترا في جامعة اكسترا، وعاد من البعثة عام ١٩٣٦م فعمل مدرسًا بمدرسة المنصورة الثانوية. ثم نقل إلى مدرسة الخديوي إسماعيل عام ١٩٣٨م. ثم عمل مديرا للإذاعة المدرسية عام ١٩٤٦م ثم مدرسًا بكلية البوليس من عام ١٩٤٧م، وأشرف على الشعبة الأدبية في الجامعة الشعبية عامي ١٩٤٧م و١٩٤٨م، ودرس النقد بالمعهد العالي للتمثيل عام ١٩٤٦م. وفي عام ١٩٥٤م نقل من كلية البوليس إلى وزارة التربية والتعليم مديرًا مساعدًا للشئون العامة، ثم نقل عام ١٩٥٥م مفتشًا عامًا للغة العربية بالمدارس الأجنبية.

وأحيل إلى المعاش، وعمل رئيسًا لتحرير مجلة الناشر المصري، ومجلة بريد الكتاب، وأشرف على قسم النقد في مجلة الكتاب التي كانت تصدر عن دار المعارف بالقاهرة، واكتسب خبرة واسعة في فن المكتبات والكتب ..

وقد نشر مقالاته الأدبية في مختلف الصحف والمجلات الأدبية، ومن بينها الأهرام، الأديب، الرسالة، الثقافة، مجلة المجمع اللغوى فى دمشق، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وسواها ..

-٣-

كتب انطون الجميل عن الشاعر محمد عبد الغنى حسن فى مقدمة ديوانه "من وراء الأفق" يقول:

"وأما شعر عبد الغنى حسن فقد تميز بالسهولة منذ أخذ يقرض الشعر، سهولة فى الاهتداء إلى المعانى المشرقة وسهولة فى اهتداء المعانى إلى الألفاظ المنسجمة، ولعله فى ذلك يستوحى طبيعة مصر السهلة، ونيلها المنساب فى يسر وهدوء، ومن تلقى إلهامه من جمال النيل جاء شعره سهل القياد، عذب الألفاظ، ميسر الديباجة، كأمواه هذا النهر المنسابة فى مجراه ومنعطفاته، إنه لا يبحث من وراء الأفق عن معان وأفكار يغوص فيها الخيال، شأن الكثير من الشعراء[1].

وكتب الأستاذ وديع فلسطين عن ديوانه "من وراء الأفق" يقول[2]:

"هذا شاعر يتوخى استخدام اللفظ السهل، والمعنى القريب، فلا يعمد إلى التعقيد أو يحمل القارئ شطط الغوص وراء معنى مبتسر، يصوغ عباراته وألفاظه صوغًا ميسرًا"[3]، وينوه بقصائده العاطفية، وبشعره فى الطبيعة ..

ويقول د. أحمد زكى أبو شادى رائد مدرسة أبوللو الشعرية:

"يمثل هذا الشاعر الرقة المصرية المأثورة فى جميع شعره، ولا أعرف شاعرًا مصريًا ينافسه فى حلاوة موسيقاه، إلى درجة كبيرة، سوى الشاعر السكندرى، عثمان حلمى"، صاحب "نسمات السحر" والمعلم الأول لإيليا أبى ماضى حين إقامته بالإسكندرية، وديباجة الشاعر تمتاز بالأناقة إلى جانب الصفاء والعذوبة..

فإذا انتقلنا إلى طاقته الشعرية، وجدناه غنيًا بها حينما يتجاوب مع الطبيعة، ولذلك تمنيت عليه أن يحفل بهذا الجانب من شعره، وشاعرنا الفريد يمثل فى شعره مبلغ تأثره بالبيئة.

---

[1] ص٦ - ١٠ ديوان من وراء الأفق - دار المعارف ١٩٤٧م.

[2] مجلة المقتطف عدد نوفمبر ١٩٤٧م - ص٣٤٧.

[3] ٥٩/٢ رائد الشعر الحديث - محمد خفاجى - ط ١٩٥٥ القاهرة.

وفي عام ١٩٥٠ أصدر الشاعر ديوانه "من نبع الحياة"، ومن قصائده الجميلة: حقًا قصيدته "شجون"[١] ويخاطب بها صديقًا له اسمه سيد، ويقول فيها:

هدأة الليل وما أعذبها
ذكرتني بالأسى والحزن
لك يا (سيد) ليل هادئ
وليالي ذوات الشجن
في حديث الليل تلقى لذة
وحديث الليل قد يؤلمني
أرأيت البؤس يبري أضلعا
أنظر إلى الدمية إن لم ترني
نسج الهم لجسمي كفنا
قبل أن ينسج موتي كفني
شهد الله ولا أكتمه
لم يكن ذنبي إلا أنني
إن في المنصورة اليوم فتى
نازح الدار غريب الوطن
لا ينام الليل من لوعته
من لأهل البؤس بالنوم الهني
كم أمور طرب الناس لها
جددت شجوي وهاجت حزني
أنا يبكيني الذي يضحكهم
ولقد يبكي الذي يضحكني

---

(١) نشرت بالبلاغ الأسبوعي عام ١٩٣٨، وهي في ديوان "نبع الحياة" ص٢٧ - ٢٦٧، الشعراء والتجديد - محمد خفاجي.

بـــى هـــم لا أرى مصـــدره
وأرى آثـــاره تتبعنـــى
هـــو ســـر كشـــفه أعجزنـــى
وهـــو لغـــز حلـــه حـــيرنى
لم يـرق لى العيـــش فـــى منصورتـــى
لا ولا طـــاب بمصـــر ســـكنى
كـــان لى بـــالأمس مـــاض حـــافل
فـــانظروا الآن الـــذى يحضرنـــى
ليـت لى فـــى النـــاس مـــن يرجـع لى
زمـــن الصفـــو الـــذى فـــارقنى
أرأيـــت الهـــم يـــهمى أدمعـــا
أن فـــى دمعـــى صـــوب المـــزن
أرأيـــت الزهـــر لمـــا لعبـــت
صفـــرة المـــوت بزهـــر السوســـن
قـــد رحمـــت النـــاس فـــى بؤســـهم
وأنـــا الســـاعة مـــن يرحمنـــى

وشعره العاطفى، والوطنى والدينى، وشعره فى الطبيعة، وشعره الوجدانى، حافل بصور جميلة، من العاطفة والخيال والموسيقى وعذوبة التعبير.

محمد عبد الغنى حسن شاعر غنائى مبدع، فى طليعة الشعراء المعاصرين من مدرسة البعث والإحياء والأصالة والعمودية والموهبة، تهزك الموسيقى فى شعره، وموهبته الفنية، كل ذلك من خصائص شعره، يبلغ به الطبع الشعرى إلى قمة الكلاسيكية المتحررة المجددة كما ورثنا أصولها عن أعلام الشعر العربى القديم، من أمثال: البحترى والشريف الرضى، وشوقى، وغيرهم ..

وروحه المصرية الأصلية واضحة حتى فى تعابيره وأسلوبه وموهبته المطبوعة التى تحسب فطرتها الشاعرة سهولة شديدة، لأثر الطبع والبساطة وحب الصدق فى التعبير .. كل ذلك يعد من مفاخر شعره، وسماته المميزة الأصيلة.

في قصيدته "القرية النائمة" التي يعدها السحرتي فلتة من فلتات الشاعر، قرية ردنج الإنجليزية، وقد استقبل فيها لمحات الفجر وهو يضيء على شاطئ نهر التاميز، وما يلابس بزوغ النهار من أحداث صاخبة، وفيها تلمح أسلوبا مترسلا، وموسيقى حلوة وصياغة توائم التجربة التي يصفها، وانظر إليه وهو يقول:

مـال السكون علـى البطـاح وهيمنـا
والكـــون فـــي أحلامـــه إلا أنـــا
والنـــهر وســـنان الخريـــر كأنـــه
غرقان في الأحـلام غـاف فـي المنـى
وكـــأن تمتمـــة النســـيم بشـــطه
ســـور يرتلـــها المســـبح موهنـــا

ثم يقول منها:

النـــهر عـــاد إلى الحيـــاة وجرجـــرت
فيـه السـفائن مـن هنـاك ومـن هنـا
ومشـــت بشـــطيه الجمـــوع نشـــيطة
مـن بعـد مـا مـالت مسـاء للونـي
وسمعـــت ثرثـــرة الحيـــاة بمائـــه
ورأيـــت فيـــه العـــالم المتمدينـــا
ومشـــى بمســـمعي الضجيـــج كأنـــه
صـوت النذيـر علـى هدوئـي أعلنـا
وأفـــاق مـــن رؤيـــاه كـــل مـــهوم
وصحـــا علـــى أحلامـــه إلا أنـــا

-٤-

وهكذا نرى الشاعر الكبير محمد عبد الغني حسن متألقا كعادته في كل ما نظم، كما كان متألقا في كل ما كتب.

لقد كان لغويا مع اللغويين، ومؤرخا مع المؤرخين، وناقدا مع الناقدين، وكان شاعرا في قمة الشعراء المعاصرين.

والصفة الأولى المميزة للشاعر محمد عبد الغنى حسن إنه كان موسوعى الثقافة، جاحظى المعرفة، إنسانى النزعة.

ولقد كان جهاده كما كانت جهوده، من خلال المجمع العلمى العربى فى دمشق، ومجمع اللغة العربية فى القاهرة، عملا ضخما وكفاحه متواصلا من أجل رفعة اللغة العربية وثقافتها.

كان استقباله فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة استقبالا حافلا، وقد قدمه إلى الأعضاء د. أحمد الحوفى، تقديما رائعا، رحمهما الله ..

محمد حسن عواد
١٩٠٢ - ١٩٨٠

محمد حسن عواد شاعر الأصالة والتجديد .. فهو شاعر العمودية الواعية، وشاعر التجديد في نطاق العمودية الأصيلة، ومع ذلك فهو فارس من فرسان الشعر الحر، وقد يكون السابق المحلي في ميدانه.

والعواد أبوللي النزعة، عاصر مدرسة أبوللو ورعاها، وفهم دعوتها إلى التجديد، وسار على نهجها، ومن ثم نوه د. أحمد زكي أبو شادي رائد مدرسة أبوللو الشعرية بالعواد وشعره في كل مناسبة، وأشاد به في كل مجال،وكتب عنه فصولا نقدية، مبدعة، نقرأ بعضها في كتاب "شعراء العرب المعاصرون" وكتاب "قضايا الشعر" وهما للدكتور أحمد زكي أبو شادي، والأول نشره د. محمد عبد المنعم خفاجي. والثاني نشره المرحوم الأديب الأستاذ رضوان إبراهيم.

وعندما نذكر مدرسة أبوللو وأثرها في الشعر العربي الحديث يتبادر إلى أذهاننا أعلام من الشعراء العرب. من مثل:

-عواد في المملكة العربية السعودية.
-وأبو القاسم الشابي في تونس.
-والتيجاني يوسف بشير في السودان.
-والاسطى إبراهيم عمر في ليبيا.
-وهلال ناجي في العراق.
-د. أنور العطار في سوريا .. وغيرهم.

وللعواد (١٣٢٠ - ١٤٠٠هـ: ١٩٠٢ - ١٩٨٠) دواوين عدة منها: آماس وأطلاس - البراعم - نحو كيان جديد - في الأفق الملتهب - رؤى أبولون - الساحر العظيم.

وله عدة مؤلفات منها: خواطر مصرحة - تأملات في الأدب والحياة - محرر الرقيق - من وحي الحياة العامة.

وقد عني الصحفي السعودي محمد سعيد باعشن بالعواد وأدبه وشعره وأخرج عنه كتاب "العواد وهؤلاء" ويقع في نحو ٤٥٠ صفحة وتضمن دراسات عن العواد وشعره بأقلام عدد من الأدباء،منهم:

-محمد عبد المنعم خفاجي.
-ثروت أباظة.
-د. عبد العزيز شرف.
-محمد حسين زيدان.
-عزيز ضياء.
-محمد حسن فقي.
-عبد الله جفري.
-د. عبد الله مناع.
-د. إبراهيم الفوزان.
-د. عبد العزيز الدسوقي.
-أبو بكر صديق محمد.
-نور الدين محمود.
-د. عبد الله الغذامي.
-د. محمد أحمد سلامة.
-د. محمود محمد لبدة.
-محمد علي قدسي.

ويتضمن هذا الكتاب الضخم دراسات عن العواد وموسيقى الشعر، وآراء عدة له حول التجديد في الشعر والأدب.

والكتاب يعد وثيقة من وثائق الأدب والتاريخ عن العواد وشاعريته وشعره وفكره ..

وبخاصة أن بعض هذه الآراء قد صدرت عن أعلام في الأدب العربي عامة والسعودي خاصة كالأساتذة:

محمد حسين زيدان، ومحمد حسن فقي، وعزيز ضيا، وكالأديب الناقد د.عبد العزيز شرف، وكالدكاترة عبد الله مناع، والفوزان، والغذامي، وغيرهم.

والعواد جدير بكل هذا الاهتمام والعناية من النقاد والأدباء والدارسين ومن حسن الحظ أن صدرت عنه بعض الرسائل الجامعية .. وإن لقيت الدراسات عنه وعن شعره مزيدا من الاهتمام في مختلف البيئات في شتى مواطن الأدب العربي الحديث.

تيارات فنية
فى شعر نازك الملائكة

-١-

الشاعرة العربية نازك الملائكة شاعرة محلقة، ذاعت شهرتها وشعرها وشاعريتها فى كل مكان، واقترن اسمها بميلاد الشعر الجديد، وكان مع ذلك ميلادها الشعرى مقترنا بميلاد الشعر الجديد، وكان مع ذلك ميلادها الشعرى مقترنا بميلاد المدارس الجديدة وبخاصة مدرسة المهجر ومدرسة أبوللو ...

وكانت تدرس الآداب فى دار المعلمين العليا ببغداد على طائفة من أساتذتها من كبار الأدباء، ومع طائفة من زميلاتها الأديبات والشاعرات، ومن زملائها الشعراء، ومن هؤلاء وهؤلاء بدر شاكر السياب، د. عاتكة الخزرجى، ورباب الكاظمى. وفى يمنى يديها دواوين المهجريين والأبولليين، وبخاصة: ناجى وعلى محمود طه ومحمود حسن إسماعيل والهمشرى، وقد ألفت كتابا نقديا عن على محمود طه، وفوق ذلك كله كانت هناك تأثراتها بأبويها الشاعرين: صادق الملائكة وأم نزار الملائكة التى أهدت إليها ديوانها "قرارة الموجة" عام ١٩٥٧ بجملة موجزة: "إلى أمى أول شاعرية خصبة تتلمذت عليها". وفى هذا الديوان ثلاث مراث فيها (٣٠٩ - ٣٢٠) نظمتها فى ١٥ و١٧ و٢١ أغسطس ١٩٥٣م).

-٢-

ولما ذاعت شاعريتها، وتفوق إبداعها الشعرى فى هذه السن المبكرة، أصدرت دواوينها:

- عاشقة الليل عام ١٩٤٧م.
- شظايا ورماد عام ١٩٤٩م.
- ثم ديوانها "قرارة الموجة" عام ١٩٥٧م، الذى جاء مؤكدا نبوغ شاعرة عربية مبدعة.
- وفى عام ١٩٦٨م أصدرت ديوانها الرابع "شجرة القمر".

-ثم صدر لها عام ١٩٧١م ديوان "مأساة الحياة وأغنية للإنسان"، وفي هذا الديوان قصيدة بعنوان "ذكريات الطفولة" (١/٣٦٥ الديوان. دار العودة)، وهي من أجمل القصائد . وهذا الديوان مطولة نظمتها الشاعرة، أو قل نظمت أكثرها عام ١٩٤٨م، وهي في الثالثة والعشرين.

وتضمن ديوان "عاشقة الليل" قصيدة بهذا العنوان تقول فيها الشاعرة:

أعبر عما تحس حياتي
وأرسم إحساس روحي الغريب
فأبكي إذا صدمتني السنون
بخنجرها الأبدي الرهيب
وأضحك مما قضاه الزمان
على الهيكل الآدمي العجيب

وهي هنا تصور مشاعرها ونفسيتها الثائرة. وفي الديوان كذلك قصيدة أخرى بعنوان "الحياة المحترقة" كتبتها الشاعرة حينما ألقت بمذكراتها في النار.

وصارت نازك حينذاك من أشهر الشعراء والشاعرات البغداديات،ومن هؤلاء وهؤلاء: السياب، د. عاتكة الخزرجي، لميعة عمارة، رباب الكاظمي، صدوف العبيدية.

بل لقد صارت نازك من رواد الشعر العربي الحديث، وقد عنيت بفتح مغاليق النص الشعري، وبمد الجسور بين التجربة الرومانسية العربية الثرية والإبداع الحديث، وأخرجت القصيدة من الفردية الذاتية إلى النص الجماعي.

إلى أنها من رواد النقد الحديث كذلك، وكتاباها: على محمود طه، وقضايا الشعر المعاصر، مشهوران.

-٣-

على أن ملامح القصيدة عند شاعرتنا هي ملامح أبوللية رومانسية، من تعدد القوافي وتنويع الأوزان والتفاعيل، والهيام بالطبيعة التي اقتربت منها وذابت فيها، وصاغت منها ألحانها .. إلى الشعور الشديد بالاغتراب، والحلم بالمستقبل، مع الالتفات إلى الماضي بين الحين والحين، والحياة مع الذات والنفس والوجدان والعاطفة والتجارب الحزينة.

وفى مدرسة أبوللو انطلقت الدعوة إلى الشعر الجديد، وكان من أكثر الشعراء حماسا له: أبو شادى والسحرتى.

وقد التفتت الشاعرة التفاتة ذكية، إلى رواد أبوللو، فاهتمت بالصورة الشعرية وبموسيقى القصيدة اهتماما شديدا، متبعة فى ذلك خطا على محمود طه، الذى كانت القصيدة عنده، بصورها الدقيقة، وموسيقاها الشجية، وتجربتها العميقة، أدق تعبير عن مشاعر الشاعر ووجدانه وذاته. وأظن أن ديوان "أغنية الرياح الأربع" لعلى محمود طه له ملامحه التى تظهر من بعيد فى القصائد الخمس التى سجلتها الشاعرة بعنوان "أنشودة الرياح" فى ديوانها "مأساة الحياة".

وتكثيف الرمز فى شعر الشاعرة، مع العناية بالموسيقى والهيام بالطبيعة والشعور الشديد بالاغتراب، والحياة مع القلق والدجى والليل والأشباح، هى كلها من سمات القصيدة عند الشاعر محمود حسن إسماعيل والشاعرة نازك الملائكة.. تقول فى قصيدة "دعوة إلى الأحلام" التى كتبتها عام ١٩٤٨م:

سنحلم. أنا صعدنا
نزور جبال القمر
ونمرح فى عزلة اللا
نهاية واللا بشر
سنحلم أنا نسير ..
إلى الأمس لا للغد
وأنا وصلنا إلى بابل
ذات فجر ندى
حبيبين نحمل عهد
هوانا إلى المعبد
يباركنا كاهن بابلى
نقى اليد

وبحق نرى ظاهرة الشعور بالاغتراب وبالخوف وبالقلق والحيرة، والليل الذى تعشقه بأسراره الرهيبة التى لا تنكشف أبدا، والحلم بالمستقبل حينا والارتداد إلى الماضى حينا آخر، واضحة جلية فى شعر شاعرتنا المبدعة. وهى فى قصيدتها

"الأرض المحجبة" تبحث عن أرض السعادة فلا تجدها وتقول في قصيدتها "صائدة الماضي":

سأصيد الأحلام من أمسنا إلها
رب حلما حلما وراء الزمان
وألم الأفراح في كل ركن
ضائع في مقابر الأحزان

والشاعرة تؤمن بالحرية، وتكره القيود، وتطوف بمقلتيها صور الغد، كما تراها في قصيدتها "الرحيل" (٣٥٥/ ٢) الديوان) التي تقول في ختامها:

وقولا له إننا لن نعود
لأرض القيود
فقد أشرق الفجر منذ عصور

وفي قصيدتها "خائفة" (٣٩٨/ ٢ الديوان - قرارة الموجة) التي نظمتها عام ١٩٤٨م تقول:

ارجع فالليل تثير مخاوفه قلقي
وأنا وحدي والنجم بعيد في الأفق
يخدعني أمل في فجر لم ينبثق
وصبابة دمع بارد لم تحترق
ارجع أواه ألا تسمع صوتي الموهون
لن أبقى وحدي في هذا الدرب المجنون

إلى أن تقول في خاتمتها:

خذ بيدي ولنترك هذا الأفق المهجور
لا تتركني روحا صارخة في الديجور

وفي نهاية قصيدتها "عاشقة الليل" (٥٤٦/ ١ الديوان) تقول:

ليس يدري العاصف المجنون شيئا يا فتاة
فارحمي قلبك لن تنطق هذي الطلسمات

وهو استشفاف للمجهول الذي لا يبوح بسره أبدا. وفي قصيدتها "صراع" التي نظمتها عام ١٩٤٧م تقول الشاعرة:

أحب وأكره حبي شقاء

أحب وأكره كرهي ألم
ففيم أعيش؟ سئمت البقاء
وشاق حياتي صمت العدم

وفي قصيدتها "وجوه ومرايا" تقول:

آه لو تدركين كيف أحس الـ
سكون صحراء خلفها صحراء

والمعنى في البيت الأخير جاء في شعري عرضا وعن غير قصد، إذ قلت في قصيدتي "ملحمة الأجيال":

لو رأيت الصحراء وهي شتات
ورأيت الصحراء وهي كيان
ورأيت الصحراء قد أصبحت بر
كان ينفث من بعده بركان
قلت ماذا أرى هنا؟ أخيال
وأنا في الأحلام أم يقظان؟

-٤-

ونازك رائدة الشعر الجديد، الذي تحدثت عنه، ورسمت ملامحه، في كتابها "قضايا الشعر المعاصر"؛ بل ونظمت منه، وكان أول ما نظمت منه قصيدتها "الكوليرا" عام ١٩٤٧م إثر ظهور هذا الوباء في مصر آنذاك. فكانت ميلادا للقصيدة الجديدة، وكانت قد سبقتها محاولات عديدة لأبي شادي وناجي وباكثير والسياب ولويس عوض وسواهم، إلا أن القصيدة الجديدة لم يكتمل نموها إلا على يدي شاعرتنا.

قالت في صدر ديوانها "شظايا ورماد" متهكمة: "كأن الشعر لا يستطيع أن يكون شعرا إن خرجت تفعيلاته على طريقة الخليل، وحرر الشاعر من طغيان الشطرين..

واستنكرت الشاعرة القافية الموحدة، ولما رميت الشاعرة بجحودها للتراث الشعري الأصيل كتبت عام ١٩٦٨م في ديوانها "شجرة القمر" تقول:

لم أدع يوما إلى الاقتصار على الشعر الحر، وإني لعلى يقين من أن تيار الشعر الحر سيتوقف في يوم غير بعيد، وسيرجع الشعراء إلى الأوزان الشطرية. وليس

معنى هذا أن الشعر الحر سيموت، وإنما سيبقى قائما يستعمله الشاعر لبعض أغراضه دون أن يتعصب له، أو يترك الأوزان العربية الجميلة.

-٥-

وأخيرا أقول: إن نازك شاعرة مجددة، وهي أقرب ما تكون إلى مدرستي أبوللو والمهجر، والخصائص الأبوللية في إبداع الكثير من الشعراء العرب تظهر في وضوح: كالشابي والتيجاني يوسف بشير والفيتوري ومحيي الدين فارس، بل والعواد والقرشي، وسواهم.

ومع ذلك فللشاعرة ولهؤلاء الشعراء شخصياتهم المتميزة المستقلة المبدعة على طول أيامهم في الإبداع والشعر والشاعرية.

الخفاجي شاعرا

عن الخفاجي يقول الكاتب والمفكر الكبير الأستاذ البشير بن سلامة وزير الشئون الثقافية الأسبق في تونس

ليس من اليسير الكتابة عن الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في هذا المجال الضيق لإبراز مسيرته الأدبية والفكرية والثقافية طيلة عقود طويلة أصبح من خلالها، على مر الأيام، وجها من وجوه مصر المشرقة المشهورة في بلده وفي العديد من الأقطار العربية. ولا غرو فقد قال عنه زكي أبو شادي: "إنه ظاهرة فذة في تاريخ الثقافة العربية".

وليس من السهل الإلمام بسعة ما دون وما كتب وهو الذي نشر ما يربو على الخمسمائة كتاب، شعرا ونثرا، عدا المخطوط، تناول فيها بالدرس والبحث فنونا من الأدب والفكر والثقافة. فقد كتب في الدين وفي التاريخ والأدب والنقد والتفسير والحديث والبلاغة والنحو واللغة وغير ذلك من المواضيع التي يطول ذكرها؛ وقد تولى عن جدارة الإلماع إليها بالدراسة الوافية مؤلف هذا الكتاب.

ولكن محمد عبد المنعم خفاجي ليس ذاك الأديب والشاعر الغزير التأليف، المعزول عن الدنيا، المتفاعل أو المأزوم أمام الورقة البيضاء فقط، إنه الإنسان بأبعاده المتعددة، وإنه رجل الفكر التائق إلى الارتباط بالحياة في أسمى معانيها.

هو الإنسان يشعرك عندما تلتقي به، حتى لأول مرة، بعفوية تنبع من الفؤاد فتنفذ إلى قلب محدثه، ويبهرك ببساطة فيها سمو ضارب في أعماق الشعب المصري، وفيها آثار الكفاح من أجل العيش والاستماتة في سبيل العمل الفكري، ولو كان ذلك بوسائل لا تدعمها أية جهة مرموقة. هو بذلك أنموذج من روح الشعب المصري، الفواحة إنسانية، الناطقة بعبء حضارات تركت بصماتها، لينا ومرحا ودماثة أخلاق ولطف معشر.

هو أيضا رجل الفكر، الشاعر بدوره كمصري معتز بحضارته، وفي لثقافته، مرتبط بمجتمعه أشد الارتباط، ولكنه مع ذلك، كما قال المستشرق المجري جرمانوس "كثير الصراحة، كثير السخط على محسوبيات الرؤساء"؛ وإن هو لا يميل

إلى جعل الفكر بابا لتصفية الحسابات ونصب العراك والخصام. وهو إلى ذلك مؤمن بأن دوره كمثقف لا يملي عليه أبدا التقوقع والانكماش، فتراه لا يني يعمل في رابطة الأدب الحديث على الانفتاح على سائر الشعوب العربية، يحتفل بهذا الشاعر أو يقيم ذكرى لهذا الأديب سواء كان من العراق أو السعودية أو تونس أو غيرها.

لقد فهم محمد عبد المنعم خفاجي، ربما أكثر من غيره من المصريين أن عظمة مصر ليست فقط في إشعاع عباقرتها على سائر الأمة العربية بل في احتضانها لأفذاذ هذه الأمة مثلما فعلت جماعة أبولو مع أبي القاسم الشابي وعملت الكثير من الأوساط المصرية على تبني أفذاذ أصبحوا منها وإليها.

هذه هي الصورة البارزة التي يتركها محمد عبد المنعم خفاجي في ذهن كثير من التونسيين، صورة المحرك النشيط، مع ثلة من الأدباء، لرابطة الأدب الحديث، سليلة جماعة أبوللو، وهي الرابطة الدائبة على ربط الصلات الثقافية بسائر الأقطار العربية.

-٢-

وللأديب الكبير الناقد الأستاذ حسني سيد لبيب كتاب عن الخفاجي بعنوان الخفاجي شاعرا، صدر عن رابطة الأدب الحديث عام ١٩٩٨م، وفي كتاب "الخفاجي" الأدب الحديث - الجزء الثاني دراسة عن "الخفاجي شاعرا".

وقد كتبت رسالة جامعية في كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٩٠م عن الخفاجي شاعرا للباحث محمد العربي ونال صاحبها عليها درجة الماجستير في الأدب والنقد.

وشعر الخفاجي في مضمونه يمثل فكرا متحررا من أغلال التبعية والحداثة، مرتبطا بالأصالة والتراث، مسايرا لفكر البعث الروحي الأكبر، وهو في شكله يمثل نسيجا ثائرا على أغلال القيود الفنية التي تخاصم أصول العمود الشعري، مع الحرص على الوحدة العضوية للقصيدة، وعلى الموسيقى، وعلى العاطفة الصادقة، والتجربة الشعرية الملهمة، وعلى كل أصول العمودية والمعاصرة معا.

ومن حيث المذهب فهو يمثل ارتباطا وثيقا بين العمودية والرومانسية الجديدة التي تجمع بين الأصالة والوجدان الشعري وروح المعاصرة.

ومن حيث الموضوع فهو يتضمن قصائد عدة في مختلف جوانب الدين والحياة والروح والوجدان والطبيعة.

وللخفاجي دواوين عديدة صدر منها سبعة عشر ديوانا ولديه عشرة دواوين مخطوطة والدواوين التي صدرت منها:

وحي العاطفة	١٩٣٦
أحلام الشباب	١٩٤٩
أحلام السراب	١٩٦٩
الديوان الإسلامي	١٩٧٢
نغم من الخلد	١٩٧٣
على الضفاف	١٩٨١
أشواق الحياة	١٩٨٣
أغنيات من عبقر	١٩٨٧
نشيد الذكرى	١٩٨٨
نشيد الصحراء	طبعة أولى ١٩٤٧ – طبعة ثانية ١٩٨٨ / مسرحية
ملحمة السيرة النبوية الخالدة	١٩٨٨
أحلام المساء	١٩٨٨
أصداء الذكريات	١٩٨٩
أحلام الأمس	١٩٩٠
أنشودة إلى الغد	١٩٩٣
أحلام الذكرى	١٩٩٣
الشعر في مواكب العصر	١٩٩١

-٣-

ويقول الأستاذ: أحمد زكي عبد الحليم
عن ديوان الخفاجي "أغنيات من عبقر"

نحن نقف أمام أستاذية الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي بانحناءة تقدير في أي مجال يكتب فيه باعتبار أنه واحد من فرسان الكلمة الذين أقاموا قواعد هذا البيت الثقافي المصري الذي نستظل جميعا به ونرتوي من ينابيعه، فهو أحد رواد عصر التنوير جنبا إلى جنب في زمان طه حسين وأحمد أمين وعباس العقاد وأحمد حسن الزيات وغيرهم من العمالقة، وما زال القلم في يمينه يعطيه حقه من الأستاذية، ولعلها مناسبة أن أقول إنني قد أحببت وقدرت الدكتور خفاجي على البعد، فلما أسعدتني الأقدار واقتربت منه، أحببته أكثر، وقدرته أكثر وأكثر. فهو في تواضع شديد يفيض على الآخرين من نهر علمه العذب والغزير.

وديوان أغنيات من عبقر هو الديوان الثامن لشاعرنا وأديبنا الكبير، وكان ديوانه الأول قد صدر في عام ١٩٣٦ تحت عنوان (وحي العاطفة)، ثم جاء بعده ديوان (أحلام الشباب)، فلما تقدمت الأيام كانت له (صلوات على الضفاف)، وأكد من بعده أن (أشواق الحياة) متجددة في قلبه، ومن فيض ضميره ونبله قدم لنا (الديوان الإسلامي)، ثم جاءت أغنياته الأخيرة التي جاوزت الأربعين، لتقطف لنا من كل بستان زهرة. فهو يتحدث عن مصر، وعن الوطنية، وعن عيد سيناء، وعن ذكرى دنشواي الثمانين، وعن عروس النيل. وهو كذلك يصحبنا بعواطفه إلى ذكريات الماضي، وإلى يوم الميلاد، وإلى لحن الروح، ثم ينشد نشيد الذكرى وهو يتحدث إلى الطيف الباسم .. ويصل معه إلى مجاله الأصيل وهو مجال الإنسانية والوفاء والإخلاص، الذي يحدثنا من خلاله عن محمود سامي البارودي، وأحمد لطفي السيد، وعباس محمود العقاد، وأحمد زكي أبو شادي وعلي محمود طه، وكوكب الشرق أم كلثوم، وغيرهم.

وقد أهدى شاعرنا الكبير ديوانه إلى: القلب الحنون الذى أظلنى بحنانه وعطفه وحبه أربعين عاما، ثم ولى وغاب، كما يغيب الشهاب فى دجى الليل. إلى زوجتى.

ونطل مع الشاعر الكبير على بعض المعانى، مثل قصيدته (أنا مصرى) التى يقول فيها:

تلك مصر النيل والأرض معا
هى شاب، هى شيخ، أجمعا
هى فلاح، وجندى، ومن
فوق أرض المجد يرعى مصنعا
هى دوارى وبيتى، وقريتى
هى من أفديهمو يا وطنى

فإذا تحدث عن العقاد فأنه يقول:

عباس والشعر فى قيثاره وتر
غنى فأسكرت الدنيا أغانيه
سارت روائعه كالشمس وانطلقت
تطوى الخلود وتحيا فى نواديه
كل اليراعات من ينبوعه اغترفت
تبارك الله روح القدس يحميه

فإذا ودع الحب الكبير فى حياته، فإنه يقول:

(ثريا) طويت العمر فى ألق الفجر
وسرت إلى الرحمن فى عبق الزهور
لك الخلد والرضوان يا خير زوجة
من الله ربى من له أبدا أمرى
سلام إلى لقيا، وداع إلى رؤى
فراق إلى قرب، وصال بلا هجر.

وعن ديوان الخفاجى "أغنيات من عبقر يقول د. على صبح اشتهر وادى عبقر بالتفوق والإبداع للحن. ومن نشبه بهم من الأبطال الشجعان الذين قاموا بأعمال فوق طاقة البشر، وجاء ديوان الشاعر الدكتور محمد

عبد المنعم خفاجي يحمل عنوانا تراثيا يرجع فيه إلى عبقر، ليعود بالشعر الحديث إلى حقله الخصيب وتراثه الخالد، فمنه تفجرت ينابيع الشعر العبقري، وفي ساحته استقامت اللغة العربية وتهذبت متونها وتنافس عباقرة الشعراء في سوق عكاظ وانعقدت القبة الحمراء ليحتكم إليها الشعراء، وعنها كتبت المعلقات بماء الذهب حول الكعبة المشرفة.

من عبقر استمد الشاعر ينابيعه الشعرية من روافدها ليعيد إلى الشعر العربي الحديث إشراق الديباجة وجزالة الألفاظ واستقامة الوزن وعذوبة القافية ورتابة الإيقاع وروعة الصورة وشرف المعنى ونبل الغاية والأغراض.

من عبقر تغنى الشاعر وهو يعيش أحداث عصره في تجاربه الذاتية، تغنى بأغنيات في تجارب معاصرة لنماذج إنسانية رفيعة عاشت عصرها لتؤدى دورها الحضاري، وهذه التجارب في الديوان تبعث من وجدانه الصادق، واستمدت روافدها من مخزونه الشعري والتراثي العريق الذي اتسع له أكثر من ثلاثمائة كتاب نحتها من تراثنا اللغوي والفكري والتاريخي، فكانت شخصيته التراثية في كل لفظة وأسلوب وصورة وبناء فني وقالب شعري خليلي ليظل الحاضر بالماضي موصولا في أصالة وانتماء وعراقة واتزان مع كل جديد، يتلاءم مع القيم الفنية والخلقية الحضارية فيعيش المبدع والقارئ وهو مملوء بالوفاء والاعتزاز بتراثه ولغته وحضارته الفكرية والإسلامية التي تتجاوب مع الحياة فإذا تحدث عن مصر رأى أنها جزء من الوطن الإسلامي الكبير:

أنا ابن حضارات سمت ... عشتها في عزة يا وطني
أنا أفديك تراثا خالدا ... ملأ الدنيا سنا من قدم

وحمل الأزهر في أصالة وعراقة رسالة الإسلام في صمود، ولا زال محراب العلم واللغة والدين:

الأزهر المعمور هذا مجده
هو حارس الإسلام لم يستسلم
في ألف عام ظل ضوؤك باهرا
وعلى العصور لضوء هديك ننتمي

وأحيت العراقة والأصالة قلب الشاعر الذى يخفق بالحب الصادق لزوجته التى رحلت عنه فى وفاء وانتماء:

كانت مناى وطيف أفراحى
وكل سعادتى فى وحدتى ودعائى
سأظل أمسح بالدمع معارفى
شوقا إلى الأحباب والأتراب

والأمة الإسلامية هى وطن الشاعر الكبير فضم ديوانه شعرا عن الشرق الأقصى والشرق الأوسط والمغرب الأقصى عن رواده ومفكريه وعن جهاده ودفاعه عن الإسلام وسجل الرواد والعلماء فى شعره الذى أدوا دورهم الحضارى كما أدى السلف الصالح قبلهم فى عراقة وانتماء وأصالة، فالديوان نموذج إنسانى رفيع، وضحت فيه معالم الشخصية الخفاجية التراثية العريقة.

ومن شعر الخفاجى قصيدة "المنصورة"

فى يديها على المدى الصولجان   ولها قام المجد والمهرجان
خشع الدهر فى حماها، وأصغت   لعلاها الدنيا، ودان الزمان
وأكاليل النصر فى مفرقيها   من بقايا هالاته لقمان
شهدته ضفافها الخضر وازدا   نت بلألاء سحره الشطئان
ولويس فى القيد يحيا أسيرا   أين منه القصور والإيوان؟
وصبيح قد بات يحرسه، والد   هر غامت عيونه والمكان
كم مشى الدهر ساجدا فى رباها   وانتهى الشعر عندها والبيان
طبع الحسن قبلة فى محيا   ها، وماست فى شاطئيها الحسان

***

إيه (منصورتى) محطمة العد   وإن طوبى لك المنى والجنان
والربيع الجميل وشاك بالور   د، وحياك الزهور والأقحوان
وانحنى النيل عند ساقيك يجرى   قاده الشوق والهوى اللهفان

***

إيه منصورتى مدينة أحلا   مى لأنت النشيد، والألحان
أنت ذوب الجمال وعرس   مده للطبيعة الرحمن
حام قلبى عليك جد مشوق   أسها عنك أم غفا رضوان؟
لست أغضى عينى عليك فإنى   بمغانيك هائم ولهان

يشهد الله لم أغب عنك يوما   كيف ينأى عن أيكه الكروان؟
أنا بالروح حاضر فأعيدى   يا عصافير وارقصى يا قيان
وطن الشعر والهوى والأمانى   ملهمى أنت إن عصانى البيان
إنّه منصورتى مراح شبابى   ***   طار بى نحوك الهوى النشوان
وتلقيت دعوة من كريم   يتولاك بره والحنان
عصره عصرك الجميل فمرحى   هذه روحه وذاك الكيان
ارو ماذا قد حقق الإنسان   ارو عنا ثم اروه يا زمان
كل ما حولى باسم وجميل   وانتهى الماضى كله والهوان
كل ما فوق الأرض حولى ضحوك   والموامى والريف والوديان
أمل ما أرى هنا وخيال   وأنا فى الأحلام أم يقظان؟
هدأ الموج والسفينة سارت   فى أمان إذ قادها الربان
صاح بالبعث هاتف عبقرى   ودوى فاستيقظ الوسنان
عادت الدنيا والحياة وأضحى   لبنى النيل فى الحضارة شان
إنه الحاضر النبيل تحيـ   ـه العلا والجدود والأوطان
لانتصار الإنسان والعربى الـ   ـحر قد كان ذلك المهرجان

الباب الخامس

شعراء أبوللو الجديدة

أبوللو الجديدة

فى عام ١٩٨١م دعا د. مختار الوكيل ود. عبد العزيز شرف ود. محمد عبد المنعم خفاجى إلى إحياء جماعة أبوللو باسم أبوللو الجديد.

وكان لذلك صداه فى أنحاء العالم العربى، ورددته الأنباء فى كل مكان.

وتولى رياسة أبوللو الجديدة د. مختار الوكيل. ولما توفى فى السادس من نوفمبر عام ١٩٨٨م اختير لرياستها الدكتور عبد العزيز شرف، وأبوللو الجديدة هى الشقيقة الصغرى لرابطة الأدب الحديث (١٩٢٩ - ١٩٩١).

والرابطة تعد أقدم الروابط الأدبية فى العالم العربى.

ينضوى تحت لوائها أعلام الفكر والأدب والشعر والنقد فى مصر والعالم العربى.

وقد أسهمت الرابطة فى الحركة الأدبية المعاصرة إسهاما فعالا.

وأصدرت الرابطة سلسلة ثقافية باسم البعث الجديد وأكثر من مائتى كتاب لأدباء من مصر والعالم العربى والمهجر.

واستمرت الرابطة تعمل حتى اليوم فى خدمة الأدب والثقافة والشعر، وصارت أقدم الجماعات الأدبية وأشهرها فى مصر والعالم العربى.

وقد تولى رياستها منذ الخمسينات:

١- الأديب محمد ناجى شقيق الشاعر إبراهيم ناجى (١٩٥٣ - ١٩٥٨)، وكان نائبه هو الناقد الكبير الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى.

٢- مصطفى عبد اللطيف السحرتى (١٩٥٨ - حتى وفاته فى ١٩ مايو ١٩٨٣).

٣- د. محمد عبد المنعم خفاجى من ١٩٨٣م حتى الآن.

وقد أصدرت الرابطة مجلتها "ليالى الأدب" عام ١٩٥٥م، ثم أصدرت مجلتها "الحضارة" عام ١٩٨٣م، ورئيس تحرير هذه المجلة هو الناقد الصحفى الكبير د. عبد العزيز شرف رائد جماعة أبوللو الجديدة بعد وفاة د. مختار.

وتضم الرابطة نحو خمسمائة عضو من مصر والعالم العربى، ومنهم أعلام الأدب والشعر والنقد.

الشاعرة جليلة رضا

-١-

لمصر في الشعر النسوي أو شعر المرأة في العصر الراهن أثر كبير، فإذا كانت نازك الملائكة في العراق وسعاد الصباح في الكويت وفدوى طوقان في الأردن، أو قل في فلسطين، وسلوى الحوماني في لبنان، فإننا نرى في مصر من الشاعرات الكثير من الأسماء اللامعة حيث تشتهر في محيط الأدب أسماء كبيرة في هذا المجال..

فلدينا: الشاعرة الأبوللية المبدعة جميلة العلايلي، التي أسهمت في أبوللو إسهاما فعالا منذ قيامها عام ١٩٣٢[1]، ولدينا الشاعرات ملك عبد العزيز ووفاء وجدي ونور نافع ونجاة شاور وروحية القليني ولورا الأسيوطي، وغيرهم.

ولدينا شاعرة نعتز بها، ويفخر الأدب والشعر المصري بإبداعاتها، ونباهي بمواهبها شاعرات العروبة، وهي الشاعرة المصرية جليلة رضا.

فجليلة رضا الشاعرة النابهة، تقف بجوار نازك الملائكة وفدوى طوقان، وشهيرات النساء الشاعرات في الوطن العربي كله، وقد عاشت في معترك الحياة الأدبية والشعرية، طيلة النصف الثاني من القرن العشرين.

-٢-

وجليلة رضا شاعرة أبوللية - رومانسية، تسير على نهج الشعراء الأبولليين الرواد، وتسبح في تيارهم، من مثل: إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، وصالح جودا، والشابي والهمشري والصيرفي، وعامر بحيري، وغيرهم. وقرأت للامرتين، وهيجو في الفرنسية التي تجيدها، كما قرأت شعراء المدرسة المهجرية، وأخذت عنهم، وبخاصة إيليا أبو ماضي، وتقول: إنني شاعرية أبوللية حقا، وناجي هو أستاذي الأول .. وأخذت من شوقي، ومن رواد الشعر العربي الحديث أنغامها وألحانها.

وشعرها حافل بالوجدانيات والوطنيات، وشعر الطبيعة وبمختلف أحاسيس المرأة وعواطفها ومشاعرها الصادقة، وبروح عالية من التصوف .. ويتميز بالحوار

---

[1] توفيت الشاعرة في ١٩٩١/٤/١١م.

القصصي، وبلغة الحكاية، وبموسيقى هامسة، فيها روح مصر ووجدانها، وتعابير شعبها المبدع الخلاق.

وقد شهد لها جمهرة النقاد بالشاعرية الطلقة الموهوبة، وبتجاربها العميقة، ولغتها الرقراقة وعاطفتها الحارة، وتعابيرها الشعبية الحلوة.

-٣-

وتبدأ رحلة الشاعرة الفنية مع الشعر بديوانها الأول "اللحن الباكي"، الذي قدم له الشاعر الكبير أحمد رامي، الذي نوه بخيالها اليقظ، وبأنغامها الحزينة الباكية..

ويجيء ديوانها الثاني "اللحن الثائر" معبرا عن مشاعر وطنيةعالية، وفي الديوان العديد من القصائد الوجدانية التي تنم عن مشاعر مرهفة، ولا عجب فالفن هوايتها، والشعر روايتها، ومصر حكايتها، إنها هي هي بنت مصر، وما أجمل قصيدتها "أمي" في هذا الديوان، وتقول في مطلعها:

لفظـــة ضــــاعت علـــى ثغـــرى
وفــــى سمعــــى صداهـــــا
وخيـــــــــالات نعيــــــــــم
أيــــن مــــن عينـــى رؤاهـــا
كيـــــف أنســـــى طيفـــــها
الحلـــو علـــى مـــر الســـنين
كيـــف أنســـى وهـــى أفـــراح
حيــــــالى وشـــــجونى

ثم يجيء ديوانها الثالث "الأجنحة البيضاء" حافلا بالشعر الوطني والقومي وبشعر المرأة والحب والألم والشعور بالغربة وبكل أحلام المرأة الشاعرة ومشاعرها نحو الرجل والولد والبنت والأسرة . وفي هذا الديوان تتضح الصورة، صورة الشاعرة الأصيلة الموهوبة الخلاقة .. المبدعة، التي تملك زمام الفن، وزمام الكلمة، وزمام الموسيقى واللحن ..

وفي ديوانها الرابع "أنا والليل" صور كثيرة رائعة من الشعر القومي والوطني والوصفي، وتعبر فيه عن أحزان مصر وأفراحها .. وفي الديوان روائع من الشعر الوجداني الحافل بالألم والأمل، وبنعيم الحب وعذابه، وبحلاوة اللقيا ومرارتها،

وبأحزان الشعور بالغربة، ومن أجمل قصائده: أنا والليل وحدتي إسكندرية في الشتاء - عندما تنام القاهرة - الزهرة الذابلة الصيف.

ويجيء ديوانها "صلاة إلى الكلمة" يكمل الصورة، ويجلي الخصائص. ويوضح أسرار الشاعرية.

إلى مسرحيتها الشعرية "خدش في الجرة" المعبرة عن روح مصر ونهوضها من آثار العدوان الثلاثي عليها، وبدء البناء الوطني الكبير على أرضها.

وفي ديوانها السابع "العودة إلى المحارة" روح الشاعرية الجياشة بكل تجارب الفن والحياة، وبشتى عواطف المرأة ومشاعرها، ومختلف آلامها وآمالها .. ومن قصيدتها "مأساة عصفورة" إلى قصيدتها "عندما يموت الشاعر" وقصيدتها "الشاعر والفكرة" و"إلى شجرة"، و"جاء الخريف" و"الروابي الحالمة"، و"الأصل والصورة"، و"الكوخ الأخضر" ...، وغيرها، تلاقي الشاعرة، التي عاشت مع الطبيعة والذات الأمل والألم ومع الحرمان والغربة، والأرق والحزن، ومع الليل والدجى والسحر والقمر والسهر والأرق، ومع أحلام العذارى، وهمسات المحبين، ومع هموم الناس وأحزانهم وأشجانهم ..

-٤-

يمكننا أن نعد جليلة رضا من شاعرات الرقة العاطفية، ولقد غنت للحرية، والإنسان، والضفاف الخضر، والوادي الممرع، والنيل الزاخر، والقرية الوادعة، والفلاح الدؤوب، وغنت للعصفورة في عشها، وللهزار فوق الغصن، والعندليب في الروض المعشوب، والزهرة النضرة، وفي قصيدة: "مأساة عصفورة" ما أجمل ما تقول الشاعرة على لسان العصفورة:

مساء الخير يا أختي
مساء الخير يا جارة
وقفت هنا على الشباك
استجديك، منهارة

وتقص العصفورة للجارة قصتها .. خرجت من العش تجمع الحب لأبنائها الصغار، وعادت فلم تجد العش ولا الأبناء ولا الشجرة وتستعطف الجارة أن تبتني عشا جديدا على شباكها الأخضر.. إنها قصة إنسانية دامية ..

هذه هى الشاعرة جليلة رضا، وتلك هى شاعريتها المبدعة الأصيلة التى يمثل شعرها الروح المصرية بكل جمالها وجلالها وبساطتها، والتى ملأت سمع العصر شدوا والتى قل أن نجد لها نظيرا فى شعر شاعراتنا العربيات.

وهتافها بمصر ونيلها وبالقرية المصرية وسحرها، وبالطبيعة فى ربوع الوادى وفتنتها، وبكل قيم الإنسان الطموح من حق وعدل وحرية وسلام .. يملأ دواوينها بأجمل القصائد وأحلى الأبيات.

الباب السادس

مدرسة الشعراء الإسلاميين

مقدمة لنظرية الأدب الإسلامى

الأدب الإسلامى صياغة للأصول الأولى للمقاييس والقواعد التى يأخذ بها الأدباء والنقاد والدارسون للأدب، وهو إبراز للرؤية الإسلامية للأدب، وتفصيل الحديث عن مهمته؛ فما الأدب الذى نريده لمجتمعاتنا الإسلامية؟ وما مهمته؟ وأين تقع القيم الفنية فيه؟ وما مقدار اهتمامنا بها؟ وما المكانة التى سنعطيها للأدب فى ساحاتنا العملية؟ وكيف ننظر إليه وسط تطلعاتنا إلى التقدم؟ وكيف نتعامل مع الأجناس الأوربية الحديثة والجديدة؟ وماذا نأخذ من مذاهب الأدب الغربى وماذا نترك؟..

إن طبيعة العمل الأدبى وعلاقته بالعقيدة هى أهم الجوانب فيه، وهى الأم للأدب قديما، وهى الخلفية الفكرية للأدب حديثا.

ومسوغات نظرية الأدب الإسلامى عديدة، وحاجة المجتمع الإسلامى المعاصر إلى هذا الأدب ماسة على أن مصطلح الأدب الإسلامى مصطلح جديد قديم، فالحضور الإسلامى فى تراثنا الأدبى، ومواقف نقادنا القدماء من العلاقة بين الأدب والإسلام، معروفة.

إن الأدب الإسلامى هو الذى يستطيع مثلا أن يفحم مؤلف كتاب "آيات شيطانية"، وأن يرد على هؤلاء الشياطين الجدد المتاجرين بالأدب فى سوق التغريب والعلمانية والمادية الجدلية والإلحاديات العجيبة فى عصرنا.

والأدب الإسلامى إضاءة للأعمال الأدبية التى تصدر عن قيم الإسلام ومثله وآدابه، والتى تعزز روح الانتماء فى صدور الشباب، والتى تؤكد دعائم الوحدة بين الشعوب العربية والإسلامية، والتى تعزز روح الإنسانية ومثلها الشريفة بين شعوب العالم.

محمد إقبال
شاعر الإسلام

-١-

محمد إقبال شاعر الإسلام (٢٤ من ذى الحجة ١٢٨٩ - ١٩ من صفر ١٣٥٧هـ: ٦ ديسمبر ١٨٨٣ - ٢١ من أبريل ١٩٣٨) ..

ولد فى مدينة سيالكوت فى إقليم البنجاب، من أسرة برهمية دخلت فى الإسلام، وأب صالح شمله بحنانه.

حفظ القرآن، وأكمل تعليمه الابتدائى والثانوى، وأتم دراسته بالكلية الحكومية بلاهور (عاصمة البنجاب)، وعين مدرسا للتاريخ والفلسفة فى الكلية الشرقية بلاهور، ثم مدرسا للغة الإنجليزية بالكلية الحكومية، وسافر فى بعثة حكومية إلى لندن عام ١٩٠٥م وحصل على درجة علمية فى الفلسفة والاقتصاد .. ورحل إلى ميونيخ بألمانيا، فنال من جامعتها الدكتوراه فى الفلسفة، وعاد إلى لندن لحضور الامتحان النهائى فى الحقوق فحصل على درجة فى القانون، وعمل أستاذا فى جامعة لندن لتدريس اللغة العربية، وطاف بعواصم أوربا، وأخذ يكتب عن الإسلام ... الطويلة، ويحاضر عنه وعن حضارته وأعلامه فى كل مكان، وذاعت شهرته فى أوربا، وفى عودته من أوربا إلى بلاده مر بصقلية، وتذكر الحضارة الإسلامية وآثارها هناك، فبكى مستعبرا، وكتب قصيدته:

أعينى هذا آوان البكاء
نشدتكما الله: لا تبخلا
وما شئتما من دم فاسكبا
سحائب دمع كقطر الندى
فأنى أرى يومنا من بعيد
ويا لوعة القلب مما أرى
وللعرب كانت هنا دولة
ومثوى حضارة أم القرى

عمالقة البيد خاضوا البحار
فكانت لأسطولهم ملعبا
قصور الأباطرة المالكين
دانت لتوحيدهم سجدا
أعود إلى الهند مستعبرا
يا نيل ذكرى لمجد خلا

-٢-

وعاد إقبال إلى موطنه رائدا للفكر الإسلامي، ومناضلا في سبيل الحرية الوطنية، ومدافعا عن شعبه المسلم، وأخذ ينتصر لقضايا الحرية في وطنه، وصار عضوا عاملا في كل التنظيمات الوطنية والسياسية، من بينها: مؤتمر المائدة المستديرة، وحزب الرابطة الإسلامية، وألف العديد من الكتب من بينها:

١- في جامع قرطبة، ترجمه إلى العربية نثرا أبو الحسن الندوي.
٢- حديث الربيع، ترجمه كذلك إلى العربية نثرا أبو الحسن الندوي.
٣- في مدينة رسول الله، ترجمه كذلك إلى العربية نثرا أبو الحسن الندوي.
٤- وترجم قصائد من شعره إلى العربية شعرا كل من الصاوي شعلان، ود. عبد الوهاب عزام، ومحمد حسن الأعظمي، وعبد العليم القباني .. وغيرهم.

وفكر إقبال الإسلامي فكر متميز، حيث كان داعية إلى بعث الحضارة الإسلامية، وقيام المجد الإسلامي والمد المحمدي، والأثر القرآني مرة أخرى.

يقول إقبال من ترجمة الشيخ الصاوي شعلان - رحمه الله -:

الصين لنا، والعرب لنا
والهند لنا، والكون لنا
أضحى الإسلام لنا دينا
وجميع الكون لنا وطنا
توحيد الله لنا نور
أعددنا الروح له سكنا

-٣-

دعا إقبال إلى دولة مستقلة لمسلمي الهند وتشمل المناطق ذات الأغلبية المسلمة، فكان الأب الروحي لباكستان، وفي محاضرته التي ألقاها في الاحتفال السنوي لحزب الرابطة الإسلامية في مدينة الله آباد في ديسمبر سنة ١٩٣٠م..

يقول إقبال: "أرجو تأييدكم وموافقتكم على أن تتكون من مقاطعات البنجاب والحدود الشمالية والسند وبلوخستان دولة واحدة .. وقامت باكستان بعد وفاة إقبال بنحو تسع سنوات، وذلك في الحادي عشر من شوال سنة ١٣٦٦هـ - الثامن والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٧م.

وقد عني بإقبال، وتقديمه لقراء العربية، الدكتور عبد الوهاب عزام - رحمه الله -، وكتبت عنه دراسات وبحوث ومؤلفات ورسائل كثيرة .. وآخر ما صدر عن إقبال كتاب "مع إقبال" للأديب الإسكندري عبد اللطيف الجوهري، وفي هذا الكتاب "مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية" تناول المؤلف نشأة إقبال ودراسته وأدبه وصلاته بالعالمين العربي والإسلامي، وبالمجتمع الإنساني كافة، وفي الكتاب دراسة لشاعرية إقبال، وعرض لروائع من أدبه وشعره، ولآراء بعض الأدباء والمفكرين فيه.

-٤-

خلف إقبال تسعة دواوين نظمها شعراً بالأوردية والفارسية، ومن أهمها: پيام مشرق أو رسالة المشرق، وديوان مسافر، وأسرار خودى أي أسرار الذاتية، وجاويد نامة أي الكتب الخالدة وهو شبيه بالكوميديا الإلهية لدانتي ورسالة الغفران للمعري .. وهذه الدواوين كلها باللغة الفارسية..

ومن دواوينه: ديوان ضرب كليم وهو بالأوردية .. وتحمل هذه الدواوين كلها فكر إقبال وفلسفته التي تأثر فيها بجلال الدين الرومي (٦٠٤ - ٦٧١هـ).

وكتابه "تجديد بناء الفكر الديني في الإسلام" يحمل الكثير من أصول فلسفته وفكره المضيء الذي أسدى به للعرب وللإسلام وللإنسانية فضلا لا ينسى .. ويدا لا تجحد.

شاعر .. من مكة

إبراهيم أمين فوده .. ولد بمكة المكرمة عام ١٣٤٢هـ.

وعائلات "فوده" بالحجاز ومصر والمغرب والسودان والشام ينحدرون من أصل واحد من بنى هاجر تمتد منازلهم من قرية "فوده" على بعد عشرين كيلومتر من "أبقيق" بالمنطقة الشرقية "الإحساء" حتى "العلا" شمال "المدينة المنورة" وهناك فى مهاجرهم قرية "فوده" قرب أم درمان بالسودان و"جبل فوده" بصعيد مصر.

تخرج من المعهد العلمى السعودى عام ١٣٥٧هـ وطلب العلم على يد والده فضيلة الشيخ محمد أمين فوده الذى درس بكتاب أبيه الشيخ إبراهيم فوده بمكة، وبالمدرسة الرشدية بمكة فى العهد العثمانى، وبمدرسة الفلاح بمكة فى العهد الهاشمى، ودرس بالمسجد الحرام، إلى جانب كل ذلك .. وشغل مناصب عدة فى العهد السعودى منها وكيل رئيس القضاء وإمام المسجد الحرام، ومدير المعارف العام ورأس لجانا إضافية منها رئيس اللجنة العليا لترقية وتأديب كبار الموظفين التى كان أعضاؤها المديرين العامين فى ذلك العهد إلى غير ذلك.

وعمل سكرتيرا لديوان التفتيش بوزارة المالية ثم مفتشا مركزيا بالطائف، ثم سكرتيرا لإدارة وزارة المالية، ثم سكرتيرا أول لإدارة عموم وزارة المالية، ثم مديرا عاما للإذاعة.

وكان أول مدير عام للإذاعة السعودية، عين رسميا فى هذا المنصب بدرجة مدير المالية العام عام ١٣٧٠هـ، وكانت رتبة مدير المالية العام تمتاز عن رتب المديرين العامين آنذاك - قبل عهد الوزارات. وفى مدة إدارته صدر المرسوم الملكى التأسيسى للإذاعة الذى جعلها هيئة مستقلة تتبع رئيس مجلس الوزراء وحين بدأ نظام الوزارات أعطى المدير العام للإذاعة مرتبة وكيل وزارة، وفى مدة إدارته أيضا صدرت اللوائح الداخلية للإذاعة التى نظمت الإدارات المختلفة بها واختصاصاتها.

وآخر عمل له فى الدولة هو ممثل لوزارة المالية والاقتصاد الوطنى لدى مجلس الوزراء ومجلس الشورى ووزارة الخارجية.

اشترك أثناء عمله الحكومي في هيئات مختلفة وكلف برحلات رسمية وقام بأعمال إضافية إلى جانب عمله الأساسي في الإشراف على مطبعة الحكومة وإلى جانب عمله بوزارة المالية وأثناء ذلك وبعده قدم مرئيات حول التطوير الإداري لقيت القبول.

وشارك في كل النشاطات المحلية المختلفة فكان أول رئيس لمجلس إدارة نادي الوحدة الرياضي بمكة وفي ذلك الوقت صدر أول نظام داخلي لنادي رياضي بالمملكة، وكان أمين عام لجنة إصلاح مدارس الفلاح التي اجتمعت بجدة إلى غير ذلك من الهيئات والمناصب العامة.

وشارك بمقالات وقصائد في الصحف والمجلات المحلية منذ ما قبل عام ١٣٥٨هـ وأجريت معه عدة مقابلات صحفية وإذاعية وتليفزيونية.

وألقى عددا من المحاضرات والأحاديث والأمسيات الشعرية في الإذاعة ورابطة العالم الإسلامي والجامعات والأندية الرياضية والثقافية وإدارة التعليم بمكة والمدارس كانت أولاها في منتدى جمعية الإسعاف الخيري عام ١٣٥٨هـ، وهو طالب في مدرسة تحضير البعثات التي أكملها ولم يواصل الابتعاث.

اختير رئيسا لنادي مكة الثقافي الأدبي بالانتخاب لثلاث دورات متتالية منذ تأسيس النادي.

وصدرت له رسائل أربع:

- حديث إلى المعلمين.
- المهمة الصعبة.
- الرياضة والهدف.
- الشاعر المحسن.

كما صدرت له دواوين خمسة:

- مطلع الفجر.
- مجالات وأعماق.
- صور وتجاريب.
- حياة وقلب.
- تسبيح وصلاة.

وشعره يمثل الأصالة والعمودية والالتزام الشعري، والمحافظة على روح الإسلام وفكره دائما في كل ميدان، وكل موضوع.

الدكتور عبد العزيز شرف
والرومانسية فى ديوانه "إلى نبع الحب"

-١-

فى بدء عصر النهضة فى أوربا جهد الأدباء، فى إحياء الأدب الإغريقى واللاتينى القديم وفى تقليده، وسمى الأدب الذى أبدعوه، وهو أدب القرن السابع عشر والثامن عشر، أدبا كلاسيكيا، وقد حرصت الكلاسيكية على جودة الصياغة وفصاحة التعبير، وخضعت للأصول والقواعد المرعية فى اللغة والأدب، واستوحت الآداب القديمة واتخذتها نماذج تحتذى. أعمل الأديب الكلاسيكى عقله إعمالا شديدا فى إنتاج أدبه، ولذا عيب على الشاعر الكلاسيكى أنه يضحى بالعاطفة المشبوهة فى سبيل الدقائق الذهنية والوثبات الفكرية ولم يخلف هذا الأدب شعرا غنائيا ولا قصصيا، بل شعرا مسرحيا، وتمثلت الكلاسيكية فى أدب راسين وكورنى وموليير، وهم من كتاب المسرح.

وسئم كثير من الأدباء فى أوربا الكلاسيكية، وأخذوا يتخلصون من قيودها وصنعتها عائدين إلى الطبيعة والريف، وحياة البساطة والحرية، فظهرت الحركة الرومانسية فى الأدب والنقد والشعر، وتتلخص دعوة الرومانسية فى الأدب فيما يلى:

١- تحطيم القيود الكلاسيكية والرجوع إلى الذوق والعاطفة والوحى والإلهام ومحاولة التجديد ولو كان فى ذلك خروج على المواضعات اللغوية والقواعد الفنية.

٢- ترك المدينة إلى الريف وإلى الطبيعة والرسم بجمالها الحر البسيط.

٣- العناية بالطابع الشخصى وما يتبعه من ألوان العواطف والشعور، ومن ثم اتجهوا إلى الشعر الغنائى العاطفى.

٤- التحرر من العالم المادى)إلى العوالم المثالية:

٥- البساطة فى كل شىء: فى التفكير والتعبير والتذوق والشعور، وترك النفس على سجيتها، واتباع الفطرة والطبع الخالص.

ومن ثم صار الأديب والشاعر الرومانسي لا يستوحي إلا نفسه والهام ذوقه وصدى عاطفته، وأصبح يستلهم أدبه من الطبيعة والعواطف الإنسانية.

-٢-

وقد قامت الرومانسية في إنجلترا ثم في ألمانيا وفرنسا ثم في أسبانيا وإيطاليا، والتيار الفلسفي الذي قامت عليه هو التيار العاطفي، وجمهور الرومانسية هم الطبقة الوسطى، بعد أن كان جمهور أسلافهم هم الطبقة الارستقراطية، ومن ثم فقد نهضت الطبقة الوسطى في ظل الرومانسية، وبدأت تسترد حقوقها ومكانتها.

ونهض الشعر الغنائي في ظل الرومانسية للاعتداد بالفرد ومشاعره، فصار تعبيراً عن الانفعال أو عن التصور في أعلى درجات إيقاعه اللغوي، ومن ثم ولد الشعر الغنائي في مفهومه الحديث في الأدب الأوربي، وضعف شأن المدح التقليدي، وهان شأن الشعر الحكمي والتعليمي، وتكونت الوحدة العضوية للقصيدة، فأصبحت القصيدة ذات بنية حية تنمو من داخلها في اتساق تام نحو نهايتها، على نحو ما ذهب إليه جوته وأوسكار وايلد ولسنج.

وقد خلط الشعراء الرومانسيون مشاعرهم بمناظر الطبيعة، ودعوا في شعرهم إلى الأصالة، وكرهوا التقليد، حتى كان هوجو وهو من شعراء الرومانسية يقول: يجب أن يحذر الشاعر من النقل عن أي شاعر آخر.

ويلح الشعراء الفرنسيون الرومانسيون في التعبير عن ذواتهم، وعن فلسفة الألم التي تنطوي عليها جوانحهم، وازدهرت الرومانسية في القرن التاسع عشر، وقد عارضها بعض النقاد في أوربا، وأخذوا على أصحابها إسرافهم في التشاؤم والنحيب والتغني بالألم والفناء والأطلال والتبرم بالحياة، ألم يقل الشاعر الرومانسي: إنني أحب الألم البشري؟ وألم يقل شاعر آخر: المرء طفل معلمه الألم، ولا شيء يسموّ بنا إلى العظمة كما يسمو الألم؟.

-٣-

ودعوة أبوللو لا تبعد عن دعوة الرومانسية هذه .. فقد دعا أدباؤها ونقادها إلى:

١- الثورة على التقليد، والدعوة إلى الأصالة والفطرة الشعرية والعاطفة الصادقة وإطلاق النفس على سجيتها، وإلى الطلاقة الفنية، والبعد عن الافتعال وإلى التناول الفنى السليم للفكرة والمعانى والموضوع.

٢- البساطة فى التعبير والتفكير، وفى اللفظ والمعنى والأخيلة، ويتبع ذلك التحرر من القوالب والصيغ المحفوظة وأساليب القدماء ..

٣- تركيز الأسلوب، والرجوع إلى النفس والذات وإلى العاطفة الإنسانية الصادقة، والاتجاه إلى الشعر الغنائى العاطفى، وإلى التأمل الصوفى.

٤- الغناء بالطبيعة الجميلة وبالريف الساحر.

٥- الغناء بالوحدة والألم والسأم والقلق النفسى والعذاب الروحى.

٦- العناية بالوحدة العضوية للقصيدة، وبالانسجام الموسيقى.

وهذا الاتجاه العام لمدرسة أبوللو هو نفس الاتجاه الرومانسى فى الآداب الأوربية.

وفى ظل الرومانسية نهض الشعر الغنائى، لأنه شعر ذاتى لا موضوعى، وتكونت الوحدة العضوية للقصيدة، وظهرت شخصية الشاعر فى قصيدته واضحة، وكان جوته وهو من رواد الرومانسية فى الغرب يقول: "يجب أن يحذر الشاعر من النقل من أى شاعر آخر"، لأنه يريد أن يكون تعبير الشاعر إنما هو عن ذاته لا عن ذات غيره، فشخصية الشاعر هى كل شىء فى الشعر عند الشعراء الرومانسيين، ومن بينهم جوته وشكرى.

وألح الشعراء الرومانسيون فى التعبير عن ذواتهم وعن فلسفة الألم التى تنطوى عليها جوانحهم.

وقد ازدهرت الرومانسية. فى القرن التاسع عشر الميلادى ..

(٤)

والنزعة الرومانسية يغذيها فى نفس الشاعر الدكتور عبد العزيز شرف حياته فى الريف مع الطبيعة الجميلة، والمشاهد الفاتنة والحقول الواسعة، والأفق الممتد، والسماء الزرقاء، والنجوم الفضية .. وكل ذلك مما يغرس فى نفسه حب الطبيعة والهيام بها، والفناء فيها، وفى الديوان قصائد كثيرة تتحدث عن الطبيعة وتناجيها، وتهتف بها ..

يقول من قصيدته "مدينة الأحلام":

وحينمـــــا يغـــــرد الـــــزرزور

ويـــــــــتميل البـــــــــدور

ويهتف المزمار بالأحزان إذ تموت

ليـــــــــحق الديجـــــــــور

فـــــي طيفـــــك المســـــحور

وحينما يغرد الزرزور في مدينة الأحلام

ليبصـــر الحديقـــة التـــي انتـــهت

تـــذوب لحظـــة لترشـــف الســـلام

إلى قصائد ومقاطع كثيرة من قصائد في الديوان تتحدث عن الطبيعة بلهفة وحب وهيام، حتى ألفاظ الشاعر يستمدها من الطبيعة، فيقول مثلا من قصيدته (إيزيس) - ص١٩ من الديوان:

في خمائل الشعور.. في جدائل الحسان

بحثت عنـك .. فـي الزمـان والمكـان

لعل شعرك الجميل .. كالصفاء.. كالأمان

يدلنـــي .. عليـــك فـــي الأزمـــان

وفي القصيدة نفسها يقول:

أهـــــواك يـــــا إيزيـــــس

فـــي مراكـــب الأنغـــام ..

ويـــا بنـــات الحـــور،

تلحـــن لي فـــي وجنـــات النـــور

يعانق العصفور في رحابها الأنسام..

فـــي مدائـــن الزهـــور

مســـــافر .. يطـــــير

فـــي العـــالم المســـحور.

يذوب في نشيدها كقطرة من نور

وحين يتحدث عن محبوبته يقول:

وهـــــذى الصبيــــــة

تعيــش بحلــم الــورود كــوردة

إن الطبيعة والريف وجمالها الأثيرى يأخذان بعقل الشاعر ووجدانه كل مأخذ وهذا شأن الشاعر الرومانسى دائما وأبدا ..

والديوان كله شعر غنائى وجدانى ذاتى لا موضوعى، وشخصية الشاعر وذاته هى أولا وقبل كل شىء أظهر الأشياء فى الديوان، وهذا شأن الشاعر الرومانسى أيضا ..

وما أجمل ما يقول الشاعر من قصيدة حب عنوانها "لا تغضبى":

مجنونتى .. مجنونتى .. لا تغضبى
إن كنت أوشك أن أمر واختبى
فأنا أحبك .. قلتها .. وأقولها
يا حلوتى .. يا منية القلب الصبى
عينى تقول: أحبها .. ومشاعرى
تهفو إلى الوجه الحبيب الطيب
تهفو إلى حلم اللقاء .. لحظة
أنسى هنالك ما ألم بمركبى
قد كدت أغرق يا حبيبة ساعة
فى بحر عينيك العميق الملعب
كم كنت أهتف .. يا حبيبة عانقى
أحلامنا الخضراء .. لا تعذبى

إلى آخر هذه القصيدة الجميلة المعطرة بشذى الحب والأحلام، والديوان كله "من نبع الحب" قصيدة حب، والحب ولا ريب موضوع غنائى ذاتى أن وقف

الشاعر منه موقفا رومانسيا. فلا عجب أن يكون الشاعر الرومانسي النزعة والهوى والمذهب. يقول الشاعر:

بعد ليل عاد حلمي، عاد لي حبي وقلبي
ورأيت الحب أنغاما أضيئت بين ركبي
هي أنغام نشاوى، طاهرات حالمات
تملأ الكون انتصارا هز عطف الكائنات

ويقول أيضا:

وكانت نبع إلهامي.. وآمال وأحلامي
تطير النفس أشواقا لرؤية ظلها النامي
وفي الذكرى لها خفق أحزان بأيامي
تطمئن بأن الحب معدن عمرنا السامي

والشاعر الرومانسي حين يتحدث عن وطنه وعن القيم الإنسانية. يمزج ذلك دائما بالحب، وبأحلام العذريين، كما كان يفعل صالح جودت مثلا، وكما فعل الدكتور الشاعر صاحب الديوان، يقول من قصيدته "إيزيس" أيضا:

!إيزيـــــس .. يـــــا إيزيـــــس!
يـــا شـــوقا أبـــدى الأشـــجان،
كـــادت تطوينـــي نـــيران البركـــان
وقـــرأت كتـــاب المـــوت
وعـــبرت بحـــار الليـــل
عـــبر ســـطور الأبديـــة
اقـــرأ قـــدام النـــور
مـــن ســـفر "خروجـــي" أغنيـــة
وأغنـــي فجـــر "نـــهار" الإنســـان ..
فجـــر الحريـــة

وفي قصيدته "مازلت يا وطني .. النهار" يقول الشاعر:

تتوسد الصدر الحنون، تنام في الجفون الأمين
وعلى جناح الخصب تسبح في بحيرات السنين

وهناك في المرسى: تغني أغنيات لا تلين
نحيا على أمل الربيع - الحلم - في الفجر الجنين

نهر الحياة يصوغنا في كل يوم من جديد
من ألف ألف لا تزال نعانق الفجر الجديد

ولأنهم لا يعلمون بأننا عشاق مصر
نمضي لنصنع دائما فجر الحياة لكل حر

لا تحزني - يا مصر - إن طال الجهاد ليوم نصر
إن عاش شعبك ضائقا، فاليسر آت بعد عسر

يا مصر كجد كحق لاح، فعانقي إشراق فجر

وكذلك نجد في قصيدته "الكنانة الخضراء" يقول فيما يقول فيها:

كنانتي الخضراء ..
تمد رأسها إلى السماء
وتذرف الدموع في فرعين
يحملان حلم أمها إلى العلاء
فوق معاني الحزن والبكاء
يقيم حلمنا العظيم في الأحشاء
منارة
ومشعلا . للحب في السماء

يـــا مصـــر يـــا عليـــة المكـــان

يـــا قمـــة التـــاريخ للإنســـان

لـــــن يـــــهزم الإنســـــان

والحيرة والعذاب والشك والريب والسراب كلها لغة الرومانسيين، وما أكثر ما نجد الشاعر الرومانسي الأبوللي، بن رابطة الأدب الحديث، الدكتور عبد العزيز شرف، يلقى قراءه بعذاباته وآلامه وأشجانه وأحزانه، وكان الشعر بكاء وحزن ودموع..

يقول فيما يقول .. من قصيدته "حيرة":

هـــل حقـــا أنـــك تـــهوانى
ويعـــانق قلبـك قلبـى الحـانى
وترانـــى أجلـــى أغنيـــة
رتلـــها روح الأكـــوان
أم أنـــك جئـــت تخـــبرنى؟
مـــا عـــاد الهجـــر بإمكـــانى

ومن قصيدته "شك" يقول"

هـــل حقـــا إنـــك تعشـــقنى
فلمـــاذا الشـــك يعـــانقنى!
هـــل حقـــا إنـــك تـــهوانى
فلمـــاذا الحـــب يؤرقنـــى!

ويستمر المنولوج الداخلى فى استرساله، فتقول حبيبته له:

ولمـــاذا حبـــك حـــيرنى
ولمـــاذا صمتـــك يرهقنـــى
هـــل حقـــا إنـــك تحلـــم بـــى
أم أنـــك جئـــت تفـــارقنى
هـــل أحيـــا فـــى أوهـــى وهـــم
فـــى أحلـــى حـــب يرهقنـــى

ويرد على هذه الحيرة شاعر "من نبع الحب" فيقول:

فـــى صمـــت الليـــل أحـــن إليـك
وأنـــا جـــى روحـــا تحرقنـــى

إلى آخر هذا الحوار النفسى، المنولوج الداخلى كما يصح أن نسميه ..

الشاعر: هلال ناجي
وديوان "مرفأ الذكريات"

وعرفنا في هلال ناجي، من دواوينه: "ساق على الدانوب"، "الفجر آت يا عراق"، "أغنية حزن إلى كركوك".

ويحدد لنا معالم شخصيته، وسمات شاعريته.

وقد عرفنا هلال ناجي شاعرا أنيق الأسلوب، عميق الفكرة رمزى الصورة غالبا، يسير في في اتجاه قومي عربي واضح، تتضح الرؤية الشعرية في أغلب قصائده، ويضع يده على موضوعه الفني، وعلى عناصر هذا الموضوع الذاتية، دون لبس أو عناء.

وفي هذا الديوان إضافات كثيرة على هذه الصورة، فقد أصبحت القصيدة عند هلال ناجي، مكتملة البناء الفني، واضحة الشخصية الذاتية، ظاهرة التعبير عن ملامح الشاعر الداخلية وتفكيره الوجداني. وصارت تجربة القصيدة، ووحدتها العضوية، وإلهامها الشعري، وأداؤها الفكري والتعبيري وكل قيمها الفنية، أقرب إلى الاكتمال، وأوفى بمطالب القصيدة، وضروراتها، وتمتمات وشيها وكل مقوماتها الشخصية.

وعندما نريد أن نحدد الإضافات الجديدة لشاعرية هلال ناجي، التي يعطينا إياها هذا الديوان الجديد، نرجع إلى قصيدة مثل قصيدته "وعاء الزهر" التي نظمها الشاعر في استكهولم.

وكان قد زار المتحف الوطني في هذه العاصمة الجميلة، فشاهد وعاء زهر عربي، أضخم من حجم الرجل، يشمخ بردائه المصفر عند باب قاعة من قاعات المتحف، وهو من صنع فنان أندلسي في القرن الثاني عشر الميلادي، ووقع في أيدي أسرة اسبانية بعد محنة الأندلس، ثم انتقل بعد قرون إلى بروسيا، وامتلكته أميرة بروسية، تزوجها ملك السويد، وحملته معها فيما حملت من هدايا زواجها، وآلت هذه القطعة الفنية النادرة أخيرا إلى المتحف الوطني في السويد:

وفي مطلعها يتحدث الشاعر عن رحلته خارج وطنه وزيارته استكهولم، واسترعت انتباه الشاعر هلال ناجي، وهو يقف أمامها، ويتأملها، في صمت وخشوع، في تموز عام ١٩٦٣م، وكان بينها وبين الشاعر حديث صامت طويل تسجله هذه القصيدة:

عندما لفت القلوع ركابي
وطوتني البحار عن أحبابي
ومضت بي الأيام في كل درب
تضحته السماء بالأطياب
في جنان السويد طاب شرابي
ورشفت الرحيق دون حساب

ثم ينتقل، مباشرة، إلى المتحف وتفكيره في زيارته فيقول:

قلت أمضي إلى المتاحف ألقي
ما حوته من الفنون العجاب

وهو في كل ذلك يقتضب ويفاجئ ويقص ويسجل، وذلك مغفور للشاعر ما دام في مقدمة قصيدته. ثم يبدأ في التأني، وينظر في عمق "وتأخذ شاعريته في الانطلاق والانعتاق، فيقول في وصف الطبيعة المجلوة في صباح ذلك اليوم الذي سار فيه إلى المتحف الوطني:

كان صبحا موشحا بغيوم
كوشاح الحسناء دون اجتلاب
طرزته من الإله أكف
معجزات في فنها الخلاب
مد فوق الخليج معطف نور
زركشته نواسم من غباب
وتراءى الجمال من كل ركن
فقباب تدور حول قباب
ورفوف الطيور تشمخ حينا
ثم تهوي من حالق كالشهاب

وقلـــوع تجـــيء خلـــف قلـــوع

فـــي اقـــتران الطبيعـــة الخـــلاب

والصورة هنا واضحة فى رؤيتها الشعرية، صورة صباح ذلك اليوم الموشح بالغيوم، الغيوم الجميلة، التى تشبه وشاح الحسناء، وصورة الأفق المدبج بهذا التطريز العجيب الذى نسجته أكف الإله، فى إعجاز فنى خلاب، والخليج الذى كأنما مد الله فوقه معطف نور زركشته نواسم الغاب، والجمال يتراءى فى كل ركن، فقباب تدور حول قباب، والطير يرف ويشمخ محلقا أو هاويا من الأفق كالشهاب، وقلوع السفن تجيء الخليج خلف قلوع وترسم منظرا فريدا باسما. كل ذلك فى شاعرية متألقة ونسج أخاذ، وخيال شرود، ووعى وتسجيل كاملين لكل روائع المنظر العجيب لصباح ذلك اليوم، ولمناظره الفريدة فى رؤيا البصر، وهى صورة متألقة بهيجة لا مثيل لها فى إشعاعها وجمالها ..

وقادت الشاعر خطواته إلى المتحف، ودلفه، وتنقل بين قاعاته، وهنا يحدث الحدث الفنى، وتجيء المفاجأة الرابعة، ويدوى فى سمع الشاعر همس وعاء الزهر العربى له ومناجاته إياه:

وانتهى بى المسير فى خير دار

زخـــــرت بـــــالفنون والآداب

كـــان صبحـــا موشـــحا بغيـــوم

كوشـــاح الحســـناء دون اجتـــلاب

حـــين دوى فـــى مســـمعى حفيـــف

مـــن وعـــاء شـــهدته فـــى البـــاب

والشاعر يصور المفاجأة هنا فى ذروة وقعها، وشدة تأثيرها، وذلك بدء العمل الفنى الحقيقى. ويأخذ الشاعر فى تصوير لقائه لهذا الوعاء الأندلسى، وشوقه إليه، وحنانه له، وصدى ذلك، العميق فى نفسه:

الوعـــاء العجيـــب كـــان شموخـــا

رغـــم يتـــم وصفـــرة فـــى الثيـــاب

كلقـــــاء الأعـــــراب للأعـــــراب

فـــى صحـــارى شـــديدة الأجـــداب

كـان شـوقي إليـه كـان خشـوعي

كـان توقـي لصوتـه الجـذاب

وأتـاني كلامـه مثـل وحـي

حملتـه الأحقـاب للأحقـاب

ونقف هنا عند أبعاد الصوت: الشموخ والصفرة في الثياب واليتم، وشوق الشاعر إلى هذا الوعاء الزهري، وخشوعه أمامه، وصمته حيال صوته الجذاب. وفرحه بعد فرحة لا تعادلها إلا فرحة العربي بلقاء العربي. في صحراء شديدة الأجداب، وإنصاته لحديثه الرائع كأنما هو وحي حملته الأحقاب للأحقاب .. وهي كلها لقطات فنية نادرة.

وكان لابد للشاعر بعد ذلك من أن يسجل حديث وعاء الزهر، فماذا همس به في أذن الشاعر، وماذا قصه عليه .. يقول هلال ناجي يكمل الصورة الشعرية لهذا الحدث الكبير، والتجربة الطريفة:

أيـهاذا الحفيـد، يـا بلبـل الشـعر

أتـاني وقـد سـئمت اغـترابي

لا تذرنـي ظمـآن كالكـأس للخمـر

كشـوق السـقاة للأعنـاب

كحنـين الفـراش للأطيـاب

وكحلـم الرعـاة بالأعشـاب

حملتنـي الأكـف فـي شـبه قـهر

لملـوك الإفرنـج فـي الأحقـاب

وأرانـي مـن بعـد عـز وحيـدا

كالبعـير المفـرود بـين الروابـي

أتقري الخطى، ففـي كـل قـرن

عربـي أشـيمه فـي الركـاب

هو عندي كـالحلم كـالأمل الحلـو

كفيـض مـن الأمـاني العـذاب

ثم يمضي عجلان في شبه سهو

عن همومي وغربتي ومصابي

ضاع عمري قبل الصباح وعادت

كالحات الهموم تطرق بابي

والحديث هنا عن الغربة والوحدة والضياع والفراغ والحنين، وعن الأحقاب التى طواها وعاء الزهر في شبه قهر، والأكف تحمله، متنقلا بين ملوك الإفرنج، وعن فرح الوعاء بلقاء عربي، وقد لا يتأتى له هذا اللقاء إلا كل قرن من الزمان، وكيف يخلفه الزائر العربي في شبه سهو عن همومه وغربته ومصابه؛ وعن شباب الوعاء الذى ضاع قبل الصباح، وعادت الهموم تطرق بابه .. وهو حديث في صميم العمل الفني، وكله جدة وإلهام نادر.

ويتابع الشاعر الحديث مأخوذا مبهورا. فيقول:

يا سميري وصاحبي وخليلي

ونجيي من بعد طول اغتراب

أين قومي هل مزقتهم صروف

داميات بأشرس الأنياب؟

أم تراني شطحت فالقوم قومي

في شموخ وعزة وجناب

فلماذا إذن يعيشون هملا

دون رأي أو سطوة أو جواب

ولماذا إذن أضاعوا عزيزا

دون درء لأوهن الأسباب

ضاع قومي في الداجيات وعادت

كالحات الأعوام تطرق بابي

والسؤال هنا عن التاريخ، تاريخ قومه العرب في الأندلس وأين هم، وماذا صنعت بهم السنون، وكيف يعيشون، وكيف ضاعوا في الداجيات؟ سؤال مثير عن عرب الأندلس، وكيف بددتهم صروف الليالي، وذهبوا مع الأيام وكالحات الأحداث. وكان لابد من هذا السؤال، بعد أن تحدث الوعاء عن نفسه، عن وحدته وغربته وكآبته؛ وهو في صميم العمل الفني الذى تناوله الشاعر.

وينتقل الشاعر أثر ذلك إلى تسجيل صدى هذا البحث الدامي في نفسه. فيقول:

في رفيف الضحى طويت كتابي
وهرقت النبيد من أكوابي
عاد صبحي دجى، وعاد نهاري
نابغيا يشير بالهم ما بي
(أين قومي؟) تدق كالهم بابي
في مقيلي وفرحتي واكتئابي
يا وعاء الزهور، هاك جوابي:
بات قومي في فرقة واحتراب
مزقتهم من الخلاف نيوب
وتوارت أمجادهم في الضباب

وبذلك تنتهي القصيدة، التي ضمت تجارب شعرية عميقة، تدور حول وحدة الشاعر في رحلته إلى أوروبا، وقطعه لهذه الوحدة برشف الرحيق دون حساب، وبتفكيره في زيارة المتحف الوطني، وحول وصفه لصباح ذلك اليوم الجميل، ووقوفه أمام وعاء الزهر وجها لوجه في متحف استكهولم، وحول حديث الوعاء إلى الشاعر، وصدى ذلك الحديث العميق في نفسه .. وذلك كله من صميم البنية الفنية للتجربة التي عاناها وعاشها واستلهمها.

والقصيدة في رأيي قمة الشعر المعاصر، وفيها صدى عميق للشعور القومي العربي في نفس الشاعر، وتماثل سينية البحتري في وصف إيوان كسرى، وقصيدة الشاعر في ديوانه: "ساق على الدانوب" في جمل عربي رآه في حديقة الحيوان بفينا.

وإذا كنا نريد تمييز هلال ناجي بشيء فإننا نؤثر أن نميزه بقصيدته "وعاء الزهر" فهي وشي من عبقرية ونسج من شاعرية محلقة مبدعة صناع. فالفكر الشعري والتجربة والصورة الشعرية بأدواتها من موسيقى وخيال وألفاظ وتعابير فنية. والعاطفة، وروح الشعر وجوهره ولبه وخالصه، متميزة فيها كل التمييز، مصورة فيها بوضوح شديد ..

وهي من الشعر العمودي الذي يجمع بينه وبين الشعر الحر قصائد هذا الديوان.

شاعر الملاحم كامل أمين
١٩١٥ -

شاعر موهوب، من أعضاء رابطة الأدب الحديث، وهي حي يعيش مع المرض حتى اليوم.

كتبت عنه في كتب عدة لي، وفي كتابي "الشعر والتجديد" دراسة موجزة (ص٢٩٣ - ٣٠٥).

أول دواوينه الشعرية هو "نشيد الخلود" وله من الملاحم:

-ملحمة السموات السبع.
-ملحمة عين جالوت.
-ملحمة حطين.
-وغيرها.

وصدر له ديوان ثان هو "الأشواق".

وفي كتابي "الشعر والتجديد" أوردت له عدة قصائد، منها:

-الإعصار ص٤٣٠.
-الشرط الأول ص٤٣٥.
-يشتري مقبرة ص٥٠٦.
-عيد ص٥٠٨.

وهي التي يقول منها:

هل كنت تتبرع لولا الحزن أغنية
فمن رأى ميتا بالموت محمود
ومن رأى قبل شعري في الدموع غنى
لقال للدين فيها أنت عبود
قولوا لمن أوصدوا دوني صحافتهم
لا تحسبوا أن باب الخلد مسدود
إن عشتم لقد أوعشته لكم
أذقتكم كيف يشوى اللحم سفود[1]
وعلمتكم يميني كيف تسكتكم
وفوقكم مجلس الآداب مهدود

---

[1] السفود: الشواية.

مدرسة الشعر الجديد

-١-

كل تراثنا الشعرى يتمثل فى القصيدة العربية العمودية التى ورثناها عن امرئ القيس وحسان وجرير والبحترى والمتنبى والبارودى وشوقى وأضرابهم من الشعراء الذين أغنوا الشعر العربى، ولقحوه بالأخيلة الطريفة، والمعانى الجديدة، والأغراض المنوعة، والأساليب العربية الأصيلة، وبالموسيقى المأثورة ذات التفاعيل الارتكازية العذبة، التى كشف عن أصولها الخليل بن أحمد (-١٧٠هـ)، ولفيف ممن تابعوه من نقادنا الأصلاء، الذين أضافوا إلى أوزانه أوزانا أخرى شبيهة بما كشف عنه الخليل من بحور.

إن كل هذا التراث الشعرى الأصيل جزء من كيان القصيدة العربية، التى لا تسمى قصيدة شعرية حتى تكون أبياتها من بحر شعرى واحد، وحتى تلتزم فيها قافية واحدة.

*****

وإن كان شعراؤنا المعاصرون بتأثير الرغبة فى التجديد، وتسهيلا على أنفسهم من قيود الفن والتزاماته، جازوا لأنفسهم أن تشتمل القصيدة على عدة أوزان، إذا تعددت مواقفها وأفكارها، ونظموا من ذلك قصائد عدة، من أشهرها قصيدة "الشاعر والسلطان الجائر" لإيليا أبى ماضى.

كما أجازوا كذلك تعدد القوافى فى القصيدة الواحدة، مجاراة لفن الموشحات الأندلسى، وتحرروا بذلك من سلطان القافية. فجعل الكثير منهم لكل مقطع قافية. اذا كان كل مقطع يمثل تيارا فكريا متميزا فى القصيدة.

*****

ومع ذلك بقى للقصيدة العمودية سلطانها العظيم لموسيقاها المؤثرة، ونغمها الموقع، وجمالها الفنى الأخاذ.

والفن هو الفن، لابد فيه من القيود، والمثل الفرنسي المشهور يقول: "لايحيا الفن بغير قيود"، فمن خلال القيود الفنية تظهر عبقرية الشاعر وموهبته الأصيلة، وعمق تكوينه الفني المتميز.

*****

ومع ذلك في تراثنا الشعرى: نظام الأرجوزة، وعكس البحور المعروفة، والأوزان التى أحدثها المولدون، والموشحات والمسمط، والمربعات وما شاكلها... وفيه كذلك الكثير مما أضيف إلى هذا التراث في مختلف العصور، وبخاصة في عصرنا الحديث .. ومنه تنويع القافية، وتنويع الوزن في القصيدة الواحدة، كما ذكرنا، مع بقاء الروح الشعرى الأصيل للقصيدة، وبقاء هيكلها العربى العمودى ذى التأثير الموسيقى الرفيع.

-٢-

وبدأت مدارس الشعر الجديد تدعو إلى التجديد في القصيدة الشعرية:

فدعا مطران ومدرسة "أبوللو" إلى "الشعر المرسل" المطلق من التزام القافية، وإلى الشعر الحر، لتصبح القصيدة العربية - كما يقولون - أكثر مرونة وطواعية فيما يرى الشاعر، وليمكن استخدامها في الشعر القصصي والمسرحي والملحمي الطويل النفس، ولتكون أكثر تعبيرا عن ذاتية الشاعر ومشاعره العميقة.

حجج كثيرة، برروا بها هذا التجديد، وإن كان شوقي قد طوع القصيدة العمودية، فجعلها صالحة للشعر القصصي والمسرحي، وكذلك فعل أبو ماضي وعزيز أباظة وعلي باكثير وغيرهم.

*****

والقافية لم تحل بين الشعر العربى القديم والحديث وبين ظهور الملاحم فيه، ومن مثل ذلك قصيدة ابن المعتز (٢٤٧ - ٢٩٦هـ) أو ملحمته في ابن عمه الخليفة المعتضد بالله العباسي (٢٧٩ - ٢٨٩هـ)، وقصيدة ابن عبد ربه الأندلسي (-٣٢٨هـ) في الخليفة الأموى الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠هـ)، وملحمة حافظ إبراهيم (١٨٧٢ - ١٩٣٢) العمرية، وملحمة أحمد محرم (-١٩٤٥) المشهور "الإلياذة الإسلامية". وقصدية شوقي (١٨٦٩ - ١٩٣٢) في دول الإسلام، وغيرها: فالشاعر

الموهوب لا تعوقه أبدا قيود الوزن والقافية، كما يقول الدكتور أحمد زكى أبو شادى (١٨٩٢ - ١٩٥٥) فى مقدمة ديوانه "الينبوع".

ولكن الداعين إلى التجديد، وباسمه، تحدثوا عن هذا الشعر الجديد، وإن لم يحددوه، وإن اختلفوا فى فهمه وتصوره، ومن بينهم العديد من الكلاسيكيين الاتباعيين، كالزهاوى والرصافى (-١٩٤٥).

والكثير من الرومانسيين، كمطران (-١٩٤٩)، وعبد الرحمن شكرى (-١٩٥٨)، وإبراهيم عبد القادر المازنى -١٩٤٩). والعقاد (-١٩٦٤)، وغيرهم.

ودعا أحمد أمين (١٨٨٦ - ١٩٥٤) إلى التجديد فى عنصرى الوزن والمعنى معا، ليكون الشعر مع العصر.

ورأى الزهاوى أن القافية فى القصيدة تمثل حركة النادب فى نهاية كل مقطع من مقاطع حزنه.

ورأى د. زكى المحاسنى (-١٩٧٢) فى كتابه "نظرات فى أدبنا المعاصر" أن وحدة القافية فى القصيدة العربية تشبه شكل الصحراء العربية، نفسها، التى تمتد ساحة منها وراء ساحة، فى تماثل كامل، يشبهه سرد القصيدة العربية - الجاهلية.

وهناك شاعر من رواد النهضة الشعرية فى فرنسا هو "لويس أراجون" نظم بعض قصائده على نهج قريب من النهج الشعرى العربى. وعد ذلك كشفا جديدا، فقسم بيته إلى مصراعين وقفاهما تقفية عربية.

-٣-

وبدأت الدعوة إلى الشعر الجديد أو الحر، أو المنطلق - على اختلاف فى اسمه - تظهر بين بعض النقاد والشعراء المعاصرين، ومن بينهم مطران (-١٩٤٩)، وأبو شادى (-١٩٥٥) .. وإن لم يحددوا معنى هذا الاصطلاح تحديدا تاما، والأرجح أنهم أرادوا به الشعر المتحرر من بعض القيود الفنية الصعبة، كالوزن والقافية.

على أن هذه الدعوة تأثرت فى أكثر الأمر بمذهب الشاعر الأمريكى "والت هوتمان" الذى هجر الأوزان فى معظم شعره، وكذلك لم يهتم بالقافية، ووجه جل اهتمامه إلى الإيقاع الموسيقى للشعر، وكان بعض الشعراء فى أوروبا قد شكوا فى ضرورة الوزن للشعر، وإن لم يلق رأيهم أنصارا كثيرين فى أمريكا وفى بلجيكا، بل لم يصادف رأيهم نجاحا يذكر فى إنجلترا وفرنسا.

وفى عام ١٩١٧ نشر "اليوت" ديوانا شعريا خرج فيه على نظام الشعر القديم وزنا وقافية، وعنوانه "أوراق العشى".

ونظم من الشعر الجديد مايكوفسكى وبعض الشعراء.

ونحن نعلم أن فى أوربا مدارس أدبية تتبنى تحطيم القديم بحثا عن شىء جديد، من مثل مدرسة التعبيرين، ومدرسة العبثيين، وغيرهما. وفى مجموعة "فجر الإنسانية" التى أصدرها الشعراء التعبيريون صدى لذلك.

ومع ما وصلت إليه القصيدة العمودية من تخفيف القيود الفنية المفروضة فيها على أيدى المعاصرين لم يكن هناك حاجة أو ضرورة إلى شىء آخر، مع أن الفن هو الفن لابد فيه من القيود، ولا يحيا الفن بغير القيود، بل إن الفن عند نيتشه هو اللعب بالقيود والمهارة فى هذا اللعب.

ولا ننسى أن القصيدة العمودية بعروضها الموروثة قد قلدها الشعر الفارسى والتركى، بل والعبرى أيضا كما أنها استخدمت فى كل أنواع الشعر: الغنائى والقصصى والملحمى والمسرحى، وبذلك صارت مطواعة للتعبير عن مطالب الحياة وأفكار الشاعر.

ولقد غالى بعض الرعاة إلى الشعر الحر، فزعموا أن عمود الشعر قد انتهى إلى الأبد، وانتهت معه القصيدة العمودية إلى غير رجعة كما يتصورون وانتهى معها الشعراء العموديون بلا رثاء أو بكاء أو وفاء، كأنما هم أعداء، لا يستريح شعراء الشعر الحر إلا إذا أجهزوا عليهم. ودعا لويس عوض إلى تحطيم عمود الشعر تحطيما كاملا. ورأى بعض أبواقه أن الشعر هو الشعر الجديد. وما عداه ليس شعرا على الإطلاق.

-٤-

والخروج على الوزن الشعرى مع ملاحظة تنغيمات موسيقية خاصة يسمى شعرا حرا عند أبى شادى والسحرتى، الذى يقول: ليس الشعر الحر ضربا من الفوضى، بل أن له صناعة فنية تخلق إيقاعات موسيقية، وإن خالفت الإيقاعات التقليدية الموروثة. وسماه السحرتى شعر اليوم والشعر الحر ثم صار الشعر الحر فى رأى نازك الملائكة فى كتابها "قضايا الشعر المعاصر" لا يطلق إلا على تنويع التفعيلات فى أشطر القصيدة، ولبا كثير ومحمد فريد أبو حديد، وسهير القلماوى وأبى شادى،

ولويس عوض، والمازني، وغيرهم تجارب كثيرة تمثل أولية الشعر الجديد أو الشعر الحر.

*****

ومن الشعراء الذين ينظمون الشعر الحر من يتأثرون بالطريقة القديمة، فيلتزمون في أحيان كثيرة القافية، كنزار قباني والفيتوري ومنهم من يتركها كنازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، والبياتي.

وكان بعض الذين ينظمون منه يقيدون أنفسهم بالشكل الهرمي، فيبدأون البيت الأول بتفعيلة، والثاني بتفعيلتين، والثالث بثلاث، والرابع بأربع، والخامس بخمس تفاعيل. ثم يعودون في البيت بعده إلى أربع تفاعيل، فثلاث فاثنتين، فواحدة. والكثير لا يقيد نفسه بهذا الشكل الهرمي فيختار بحرا من البحور ذوات التفعيلة الواحدة ويجعل البيت مستقلا بمعناه سواء أداه الشاعر بتفعيلة أو بأكثر، فقد يكون البيت عندهم عشر تفاعيل وقد يكون تفعيلة واحدة.

ومن شعراء الشعر الجديد - الحر - من لا يقيد نفسه ببحر من البحور، ويتوهم موسيقى داخلية خاصة به ينظم عليها قصيدته ..

وهكذا صار الشاعر (الحر) لا يتقيد بنظام التفاعيل العروضية، ولا يقيد البيت الشعري بنظام الشطرين، وكأن التفعيلة العروضية هي الأداء الموسيقي للشعر الجديد، ولذلك يسمى شعر التفعيلة، وإن كان البعض يترك التفعيلة نهائيا باسم التجديد.

كيلاني سند
١٩٢٥ - أول نوفمبر ١٩٧٩

شاعر موهوب، وموهبة نادرة نظم الشعر العمودي والشعر الحر؛ وأجاد إجادة بارعة، وأغلب شعره من الشعر الجديد (الحر)، ولذلك صفته في المدرسة الجديدة.

من مواليد محافظة أسيوط من قرية أبو محمد، حصل على الشهادة العالية من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، ثم حصل من الكلية ذاتها على الدكتوراه عام ١٩٧٤م.

عمل بالتدريس وبعد حصوله على الدكتوراه عين مدرسا في كلية التربية بالفيوم التابعة لجامعة القاهرة - وهو من أعضاء رابطة الأدب الحديث القدامى.

صدر له من الدواوين:

-قصائد في القنال ١٩٥٦.

-في العاصفة ١٩٦٠.

-قبل ما تسقط الأمطار ١٩٦٦.

-في انتظار المطر ١٩٧٦.

ورسالته للدكتوراه هي عن حازم القرطاجني شاعرا وهي مطبوعة في الهيئة العامة للكتاب، وله ابن واحد هو خالد كيلاني حسن سند.

كتبت عنه في الجزء الثاني من كتابي "الأدب العربي الحديث" ص٢٢١-٢٨١.

كما كتبت عنه في كتابي الشعر والتجديد (١٤٥ - ١٤٨، ٤٩٧).

وله كتب ودراسات أدبية مطبوعة، منها:

-ذو الرمة.

-تجارب شعرية.

-إلى دراسات أدبية كتبها لطلابه في كلية التربية بالفيوم ومن شعره قصيدته الأولى من ديوانه "قبل ما تسقط الأمطار"، ويقول منها:

أقسم أني ما قصرت
سرت، جريت، مشيت على الشوك
مشيت ما قصرت
ما وفرت ضياء العين
ما وفرت
اسكن الطرقات المكتظة بالأحجار
ما تركت لي أن اختار
وأنا كالعصفور وزندي
لا يصمد وسط التيار
مع الأشرار
يا كلماتي:
يا خيمات تحميني من
وهج الصيف أو الأمطار
مما يرفع رأسي زهوا
أني ما سطرت الأحرف لغوا
ما دنست طريق الشعب

الدكتور كمال إسماعيل

شاعر جاء من عبقر

وفي يمنى يديه ديوان جديد من نظمه، يمثل صفوة ما انتهى إليه الشاعر من مفهوم لعصرية الشعر، بالعودة إلى الأعراف الموسيقية للجنس الشعرى، والرجوع إلى الصوت والكلمة والتراكيب بوصفها البناء الشعرى.

القصيدة عنده بناء لغوى تمسحه يد شاعر متذوق بكف من حرير، لتعود بهذا البناء إلى عبقرية الشاعرية وأصالتها .. وعمودية القصيدة عنده الدعامة الكبرى لفن الشاعر:

وتحيـــا فـــي عمـــود الشـــعر لا هـــذا الـــذي يفـــرى

وشاعرنا د. كمال إسماعيل في هذا الديوان "الانتساب إليها" أى إلى الوطن الحبيب مصر، التى لا تبرح ذهنه وفكره ومخيلته أبدا فى حله وترحاله، يعرف للشعر قدره، ويعود به إلى منابعه الأولى، ليرسمه لحنا جميلا، وإلهاما روحيا خالصا خالدا.

المضمون هو الانتماء والوفاء والولاء لمصر، والتصوير لكل ملامح الفكر والثقافة والحياة والطبيعة والحضارة فيها،وللقاهرة الأسطورة الخالدة الرابطة على ضفتى النيل، آخذة بالأمر ساحرة فتانة .. وحسبك أن تقرأ مثل قصيدة: حاضرة ألف عام أو مصر فى الضوء الساطع، أو الانتساب إليها، أو مصر اليوم، أو أدخلوها بسلام. وغيرها، فلسوف تجد قلبا ينبض بكل معانى الحب للوطن التليد.

الديوان كله نغم شعرى أخاذ، لحن جميل، فيه من رمزية الرمزيين الكثير من الأصباغ والألوان، تقرأ في قصيدته "الفاكرة الأولى":

فقلـت: أأنـت مـا ترلنـك
مـا لرميـه، هـل آرثـر

ويسترسل في حوار عميق بينه وبين من يسمون أنفسهم المجددين.

أأنـت نـزار قبـانى
الأطـراب والمزهـر

والـترصيع فـي الأسـطر
أاليـوت ونعـي العصـر
وتضمـين مـن المـاضي
مـن اليونـان والقيصـر

ويسترسل في الرد على هؤلاء:

فقلـت: لأنـف شمـانزي
نـزار فيـك مسـتحضر
وبـدر شاكر السـياب
متبـوع ومسـتقطر
وإن كـان نـزار عارفـا
بـالزيف والجوهـر

ويظل في استرساله في الحوار في لغة عذبة عميقة، شعره إلهام لا صنعة:

وقـد أشـارت لشـعري وهـي قائلـة
أن أصـرف الشـعر فـي بيـت التفـاعيل
وقـد أرتنـي بـه بيتـا بنـى نسـقا
الله ألهمنيـه، رب جـبريل
ويعـزف البعـض فـوق الخـير والنيـل

تسع عشرة قصيدة عمودية، وخمس من شعر التفعيلة مجاراة لدعاة التجديد، أربع وعشرون قصيدة، احتواها هذا الديوان الجديد في موسيقاه الشعرية ذات التركيب العمودي.

والصورة الشعرية الجديدة، والبناء الفني المتلاحم للقصيدة عند الشاعر، والوحدة العضوية، إلى التجربة الشعرية العميقة .. كل ذلك صداه عميق في الديوان. والمضامين والأفكار والمعاني الشعرية عند الشاعر لا تأتي له من أول وهلة، بل يغوص عليها غوصا، ليستخرجها من أعماق نفسه ومشاعره، مما يجعلنا نقول: انه شاعر الخاصة لا شاعر الجماهير

تحية للديوان وللشاعر د. كمال اسماعيل

فتحى سعيد

شاعر عاش ورحل فى نضرة الزهر وشعره كان يصوغه من جمال الفجر، وصوره الخلابة كانت تشي به كما يشي بالحسناء شذى العطر .. ذلك هو فتحى سعيد الشاعر المسافر إلى الأبد.

والذى رحل عنا وهو فى السابعة والخمسين (١٩١٣ - ٢٠ يناير ١٩٨٩م).

وقرأناه في دواوينه الأحد عشر:

فصل فى الحكاية	١٩٦٦
أوراق الفجر	١٩٦٧
مصر لم تنم	١٩٧٣
دفتر الألوان	١٩٧٥
مسافر إلى الأبد	١٩٧٩
إلا الشعر يا مولاى	١٩٨٠
رباعيات السلوم	١٩٨٠
بعض هذا العقيق	١٩٨١
الفلاح الفصيح	١٩٨٢ مسرحية شعرية
أغنيات حب صغيرة	١٩٨٦
ثرثرة على مائدة ديك الجن	١٩٨٨

وفى كتبه السبعة:

الغرباء	١٩٦٦
شوقى أمير الشعراء - لماذا؟	١٩٧٨
أبو الوفا: رحلة الشعر والحياة	١٩٧٩
عشاق لكن شعراء	١٩٨٠
فى بلاط الصحافة والأدب	١٩٨٥
السفر على جواد الشعر	١٩٨٨
عن الشعر والشعراء	١٩٨٨

قرأناه:

كاتبـــا.

وأديبـــا.

وناقـدا.

وصحفيا.

كاتب أسلوبه فيه روعة السحر، وانسياب النهر.

وأديب بلاغته فيها صفاء البدر ومعانيه فيها عمق البحر.

وناقد يجيد التحليل والتفسير فى حيدة وإنصاف وعدالة حكم.

وصحفى مزج بين حقائق الصحافة وخيال الشعر وبلاغة الفن فى تعادل عجيب ..

لكأنما كان فتحى سعيد يتنبأ بنهاية حياته حتى ليقول فى ديوانه "أغنيات حب صغيرة" من قصيدته "سأحيا غدا .. أنه سيحيا بعد أن يلقى الردى:

يحيا فى مهرجانكم هذا.

يحيا فى عقول الجيل الجديد.

يحيا فى ضمير الشعب.

يحيا فى نبض الوطن.

يحيا فى صحف الذكرى.

يحيا فى تراث الأجيال.

ويقـــول:

وتمتم العراف حين قلب اليد

تود أن تعيش، غير أنه سدى

فالموت أينما ذهبت راصدا.

وتعشق الصعود غير أنه القدر.

يشاء غير ما تشاء، لن تفر، خذ الحذر.

ففى الصعود يكمن الخطر.

وسوف تنحو مرة من الردى.

وبعدها تحابه الردى.

أنه ابن الدوقة التى تتبع صفط الحرية مركز إيتاى البارود .. الذى تلقى على والده العالم والمدرس والأستاذ بلاغة الحريرى والمنفلوطى ومصطفى صادق الرافعى وأحمد شوقى، فكتب الشعر صغيرا .. وسارت به الأيام إلى حيث تخرج من قسم الاجتماع فى كلية الآداب ليعمل فى السلوم إخصائيا اجتماعيا لثمانى سنوات..

ثم ليعمل صحفيا فى الجمهورية لعام، ثم صحفيا فى مجلة الإذاعة والتليفزيون أكثر من عشرين عاما .. مع رفيق حياته جلال العشرى .. وفيها كتب أجمل الفصول الأدبية الممتعة.

ثم ليعمل رئيسا لتحرير مجلة الشعر أخيرا وقبل وفاته بعام.

إلى عضويته فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة.

وفى مجلس إدارة اتحاد الكتاب .. وقبيل رحلته الأبدية سافر مع زميله ورفيق حياته جلال العشرى إلى روسيا فى زيارة أدبية ممثلا لاتحاد الكتاب.

وعادا من الرحلة حيث مات جلال .. ولحق هو به فى عالم الأبدية بعد أسابيع قلائل ..

الشاعرة جميلة العلايلى

في الحادى عشر من أبريل ١٩٩١ لقيت ربها الشاعرة الأبوللية المبدعة جميلة العلايلى، بعد حياة طويلة حافلة بالإبداع الشعرى، فلقد عاشت للشعر، ومع الشعر، ومن أجل الشعر، على امتداد حياتها التى قدمت فيها للأدب العديد من الدواوين الشعرية الرصينة، من أشهرها نبضات شاعرة، كما خلفت العديد من المؤلفات القصصية والأدبية.

وكانت جميلة العلايلى من أسبق الشاعرات إلى الانضمام لجماعة أبوللو منذ قيامها عام ١٩٣٢م.

وأصدرت مجلتها الأدبية الأهداف منذ نهايات العقد الخامس من هذا القرن وظلت تصدرها نحو ربع قرن قدمت فيها لقرائها زادا كبيرا من الأدب والشعر والفكر.

وقد عاشت مع المرض فترة طويلة في أخريات حياتها، وعانت كذلك الكثير من الأزمات المالية، بسبب مجلتها وكتبها التى كانت تطبعها على نفقتها الخاصة.

وشعرها الإسلامى والوجدانى والصوفى والوطنى درة متألقة فى جبين الشعر النسوى العصرى.

وجدير بالهيئات الأدبية أن تعنى بنشر تراث الشاعرة وحفظه للأجيال.

فهـرس

الموضوع	الصفحة
	٢٨٣

الموضوع	الصفحة

تم بحمـد الله

مـع تحـيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية